أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٥٤٠) شعبان ١٤٣١هـ - يوليو-أغسطس ٢٠١٠م

الشيخ حمزة يوسف:
مسلمو أوروبا ضحايا الإهمال والهجرة الاقتصادية

الوظيفة أمانة

الدروس المستفادة من أزمة اليونان

التقعيد الفقهي المقاصدي وأثره في فقه الدعوة

أجهزة الإنعاش.. حقيقتها وحكمها

Ministry Of Awqaf and Islamic Affairs
إدارة الثقافة الإسلامية

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

إصدارات شهرية في الفكر والأدب والثقافة

- منبر فكري وثقافي وأدبي .
- إسهام متنوع في موضوعاته ومناهجه ومصادره .
- رؤية تأصيلية للمفاهيم والأفكار .
- بيئة تواصلية مع المفكرين والأدباء و الكتاب لنشر إنتاجهم العلمي ضمن سلسلة « روافد » .

(00965) 22487310 - 99255322

www.islam.gov.kw/thaqafa www.islam.gov.kw/rawafed

الافتتاحية

الصيف ضيعت...

ما فات من عمرك لا عوض له وما حصل لك منه لا قيمة له، والوقت في نظر العقلاء هو أعلى ما في الوجود وهو رأس مال الإنسان في حياته، وكل شيء نستطيع استرداده إلا الوقت، فإنه إذا ضاع لا يعوض، فلا تضيع صحة جسدك، وفراغ وقتك بالتقصير في طاعة ربك، والثقة بسالف عملك، فاجعل الاجتهاد غنيمة صحتك، والعمل فرصة فراغك، فليس كل زمان مسعدك، ولا ما فات مستدركا.

وللفراغ زيغ أو ندم، وإن يكن الشغل مَجْهَدة، فالفراغ مفسدة، ولا تمض يومك في غير منفعة، فالعمر أقصر من أن ينفد في غير المنافع، والعاقل أجل من أن يفني أيامه فيما لا يعود عليه نفعه وخيره، أما علمتم أن كل جزء من الزمان يذهب بمثله من الأعمار؟ أما تحققتم أن العمر رأس مال الإنسان؟

وتتفاوت أحوال الناس مع الأوقات، من عدم تحديد الهدف من الحياة، والجهل بقيمة وأهمية الأيام والساعات، مع ضعف العزيمة والإرادات.

فيا مُضيّع الأوقات، لو علمت نفاستها ما أضعتها؛ فإن الله قد حفظ لكل عامل عمله، وأحصى على كل عاص زلله.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي
العدد ٥٤٠
العام السابع والأربعون
شعبان ١٤٣١ هـ
يوليو - اغسطس ٢٠١٠ م

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
تمام أحمد الصباغ
د. طاهر خذيري
عبادة السيد نوح

التنفيذ والجرافيك
أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني
الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
manager@alwaei.com

المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة.

«الأوقاف» تقيم مجالس سماع صحيح البخاري ٦

هل العرب في العصر الجاهلي كانوا أمة منغلقة؟ ١٠

الدروس المستفادة من أزمة اليونان اليونان ١٦

الاستنساخ وصراع المشروعية ٤٠

أجهزة الإنعاش.. حقيقتها وحكمها ٤٨

الطفل التوحدي.. كيف نفهم طبيعته؟ ٧٦

التوزيع
وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات
هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١)
• اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر
• لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ٢٥/ ١٨٤
• سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
• الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢
• مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦
• المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة
• مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
• الإمارات العربية المتحدة ٢٦٦٥٣٩٤ - ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع - دار الأهرام
• المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
• سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذبية . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
• قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.
• المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

موضوع الغلاف

الإخلاص في العمل الوظيفي والإتقان في العمل عمومًا أمر دنيوي لكنه تعبدي يتقرب به العباد إلى رب العباد.

داخل العدد

حوار مع الداعية الأميركي حمزة يوسف	١٤
التراتيب الإدارية في عهد الفاروق رضي الله عنه	٢٣
فن التعامل مع الضغوط من حولك	٣٤
المنهج السياقي ودوره في فهم النص	٣٦
اللغة بين اختلاف المواضعة وتفرد الوظائف اللغوية	٥٦
العلامة الشيخ عبدالله الغديان في ذمة الله	٨٣

كلمة العدد

قراءنا الكرام

التسيب الوظيفي والفساد الإداري الذي استشرى في العديد من الدول العربية والإسلامية وأصابها في مقتل وأثر سلبًا في عملية التنمية في شتى مجالاتها الفكرية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية... الخ، دفعنا الى التركيز على الملف الوظيفي حيث نشرنا على نهجه عدة موضوعات لعل أبرزها: الأمانة الوظيفية، التراتيب الإدارية في عهد الفاروق عمر رضي الله عنه، مثل عليا في السلوك الإداري، حوار مع الخبير الإداري عادل الجمل، اتقان العمل في الإسلام، فن التعامل مع الضغوط التي تصاحب العمل الوظيفي.

كما خصصنا ملفًا آخر للدراسات الشرعية تضمن عددًا من الموضوعات لعل أهمها: المنهج السياقي ودوره في فهم النص، الاستنساخ وصراع المشروعية، التقعيد الفقهي المقاصدي، أجهزة الانعاش.. حقيقتها وحكمها، واذا ما اضفنا لهذين الملفين ملفين آخرين هما ملف الأدب واللغة وملف الأسرة ادركنا تمامًا اهمية الكتابة التخصصية القائمة على البحث والطرح الموضوعي الهادف والتي تسعى المجلة لتأصيلها وترسيخها بعيدًا عن التكرار والإنشاء والتهميش والله الهادي الى سواء السبيل.

«الوعي الإسلامي»

الأسعار والاشتراكات

- داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

- الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٧ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٧ ريالات • الإمارات: ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٢ جنيه • السودان: ٥٠٠ جنيه • موريتانيا: ٢٠٠ أوقية • تونس: ٢ دينار • الجزائر: ١٠ دنانير • اليمن: ٧٠ ريالا • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة • سورية: ٣٠ ليرة • المغرب: ١٠ دراهم • ليبيا: دينار واحد • اوروبا: ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • اميركا ودول العالم: ٣ دولارات أو مايعادلها.

بحضور أكثر من ١٠٠٠ مشارك ومشاركة سمعوا أكثر من ٧ آلاف حديث

«الأوقاف» تقيم مجالس سماع صحيح البخاري

التحرير

انطلاقاً من الحرص على إقامة مجالس العلم التى تحفها الملائكة وتغشاها الرحمة دشنت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مجالس سماع صحيح الإمام البخاري التي تنظمها إدارة الثقافة الإسلامية تحت رعاية نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون القانونية و وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية المستشار راشد الحماد في مسجد الدولة الكبير خلال الفترة من ١٤-٢٠١٠/٥/٢١ بحضور طلبة العلم والباحثين، إضافة إلى وفود خليجية كبيرة.

والعلماء المسندون لهذه المجالس هم: الشيخ أحمد علي السورتي «من المملكة المتحدة» والشيخ صبحي جاسم السامرائي «من العراق» والشيخ محمد قاسم الوشلي «من اليمن» والشيخ ثناء الله ابن عيسى خان «من باكستان» والشيخ محمد إسرائيل الندوي «من الهند» والشيخ عبدالوكيل بن عبدالحق الهاشمي «من المملكة العربية السعودية» والشيخ محمد الشجاع آبادي «من باكستان» والشيخ وليد عبدالله المنيس «من الكويت».

إن هذه المجالس تكللت بالنجاح وحققت المبتغى منها، وذلك يرجع إلى أنها تعنى بقراءة حديث الرسول الأكرم محمد ﷺ والذي جاء منقولا في صحيح البخاري عن طريق عديد من الأسانيد الصحيحة الواردة في الصحيح، فحديث النبي هو خير الأحاديث وأطيبها، وإقامة مثل هذه المجالس والاهتمام بها يدل على إيمان إدارة الثقافة بأهمية الحديث النبوي الشريف والعمل على نشره وتعليمه للناس، حيث إن الحديث نقل على يد أفضل الأسانيد الصحيحة والمعتمدة عند علماء المسلمين، وبحمد الله فقد تم خلالها قراءة أكثر من ٧ آلاف حديث وأثر في صحيح الإمام البخاري.

إن إدارة الثقافة الإسلامية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أبدت حرصًا كبيرًا لاهتمامها بالسنة النبوية الشريفة، وذلك من خلال عزمها على تنظيم هذه

المجالس تدل على إيمان الوزارة بأهمية الحديث النبوي والعمل على نشره وتعليمه للناس

المجالس لسماع صحيح الإمام البخاري، خاصة أن الأمة تعيش في زمن قل فيه العلم وكثر فيه الجهل، فطلب الحديث وبثه بين الناس من أروع الأعمال التي تقرب إلى الله تعالى.

إن علماء الأمة الأوائل صنفوا المصنفات الضخمة في الحديث النبوي وقعّدوا قواعد تلقيه من حيث سنده ومضمونه واجتهدوا في وضع معايير لتعديل الرواة ثم شرعوا في وضع الشروح المتنوعة لذلك الكنز العظيم من أحاديث الرسول ﷺ لما لها من المرتبة العظيمة، كونها المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وقد جاءت مفسرة وشارحة لآيات القرآن الكريم، فهما صنوان لا يفترقان ومنبعان متعاضدان، من خلال أقواله ﷺ وأفعاله التقريرية التي صحت نسبتها إليه.

وفي الإفتتاح قال وكيل وزارة الأوقاف د.عادل الفلاح: إن الوزارة حرصت في خطتها الاستراتيجية، والتي جعلت غايتها الكبرى خدمة العلوم الشرعية، أن تفرد لمجالس السماع مناسبات حميدة خلال السنة، ولهذا أقامت عدة مجالس لسماع الحديث النبوي من خلال قراءة الصحاح والمسانيد والسنن، وأضاف «إننا اليوم نقيم هذا المجلس المبارك لسماع أصح كتاب في الحديث النبوي تلقته الأمة بالقبول والتقدير وأعطته المكانة اللائقة بسنة النبي ﷺ ألا وهو صحيح الإمام البخاري».

وزاد أن فضائل هذه السنة الحميدة لا تعد ولا تحصى إذ يكفيها فخرًا أنها إحياء لسنة تدارس العلم النبوي الشريف بين شبابنا وشاباتنا ورجالنا ونسائنا ويكفيها مباركة أنها داخلة بإذن الله في مسمى «الذين تحفهم الملائكة ويذكرهم الله فيمن عنده» ويكفيها حسنًا أنها تأتي لتعطي قراءة كتب الحديث قيمتها العلمية والتربوية من خلال الحرص على أن يتصدى لإقرائها المتخصصون الذين

جانب من مجلس السماع

الشيخ أحمد علي السورتي

الشيخ ثناء الله خان

الشيخ محمد آبادي

الشيخ صبحي السامرائي

الشيخ عبد الوكيل الهاشمي

الشيخ محمد الندوي

الشيخ محمد الوشلي

الشيخ أ.د. وليد المنيس

أتقنوا هذا الفن رواية ودراية.

من جانب آخر قال رئيس وفد دولة قطر د. سعيد المري في كلمة ألقاها نيابة عن الوفود المشاركة: إن هذه المجالس وبهذه الصورة التي هي عليها اليوم في الكويت ما كنا نراها إلا في كتاب، بل ولم تكن إلا في عصور متقدمة، إذ لم نر ولم نسمع باجتماع ما يربو على الألف مستمع في هذا العصر ولا في العصور السالفة القريبة حتى خص الله سبحانه وتعالى بذلك دولة الكويت في هذه الأيام مع مزجها في هذا السماع بين الأصالة والمعاصرة.

وأشار إلى أهمية هذه المجالس في تلاقي أهل العلم من ذوي الخبرة، والمدارس المختلفة، واستفادة بعضهم من بعض، والوقوف على عديد من أقوال أهل العلم في أحكام الدين، مما يسهم في سعة أفق طالب العلم، ويوقفه على وسطية الإسلام وعدالته، إضافة إلى تنزل الرحمات والبركات ودفع النقم والآفات.

وشكر المري دولة الكويت حكومة وشعبًا، وخص بالشكر وزارة الأوقاف الكويتية ممثلة بوزيرها ووكيل الوزارة والوكيل المساعد على حسن الضيافة وكرم الرعاية.

من جهته اعتبر رئيس الوفد التركي نوزاد صواش أن الوصول إلى ختام جلسات سماع صحيح الامام البخاري رحمه الله في حد ذاته يعتبر إنجازا كبيرا لكل من ساهم في هذه المجالس الكريمة التي جاءت من أجل إحياء حديث الرسول ﷺ والذي جاء في صحيح الامام البخاري والمسانيد التي اعتمد عليها في نقله للأحاديث.

وأضاف: من أهم الأمور التي جذبتنا وشدتنا إلى المشاركة في هذه المجالس أنها مختصة بتلاوة الحديث النبوي الذي جاء في كتب صحيح الإمام البخاري، إضافة إلى أنها احتضنت عددًا كبيرًا من المشايخ والعلماء الأفاضل والأجلاء الذين لهم دور كبير وواضح في مجال الحديث والرواية والذين حرصوا على المشاركة فيها، وحتى تعم الفائدة على جميع المشاركين في المجالس ويستفيدوا من هذه التلاوات المباركة للأحاديث.

وكيل الوزارة مع الضيوف

ثقوب في البناء الفكري

السنوسي محمد السنوسي

يظل العقل المسلم مُطالَبًا باستمرار لأن يعمل على تحصين بنائه الفكري ومنهجه الربّاني المتفرِّد، وأن يكون يقظًا من أن يتسرب إلى وعيه ما يناقض أصوله، أو يبدِّل ثوابته، أو يصرفه- ولو قليلًا- عن مهمته ومسؤوليته.

ومن المعلوم- لدى دارسي تاريخ الحضارات وطرق تفاعلها وتلاقحها- أن الأفكار لا تتسرب من حضارة إلى أخرى دفعة واحدة؛ إنما تبدأ في الانتقال تدريجيًا فكرة بعد فكرة لتأخذ مكانًا ثابتًا في الحضارة المنقولة إليها حتى تشكِّل- حينئذ- ثقوبًا في البناء الفكري لتلك الحضارة يصعب الفكاك منها أو تنقيتها.

والأداة التي تسلكها الأفكار والمفاهيم للنفاذ والانتقال؛ تتمثل بالدرجة الأولى في «المصطلحات»، ومن هنا تأتي أهمية النظر والتدقيق في استعمال المصطلحات الوافدة قبل إدخالها في البناء الفكري والخصائص الذاتية لحضارتنا؛ لأن المصطلحات- في أية لغة- ليست وعاءً لغويًا فحسب، إنما هي مضمون يدل على الذات والهوية الحضارية التي تنبع منها.

والمتأمل في مسيرة صراعنا مع الصهيونية- مثلًا- ومن ورائها الغرب الاستعماري، الذي زرع الكيان الصهيوني في قلب العالم الإسلامي لتفتيته والسيطرة عليه؛ يجد أنهم قد شنُّوا بجانب عدوانهم العسكري على أرض المسلمين ومقدساتهم، حربًا أخرى موازية- لا تقل ضراوة- على المنهج الإسلامي بأفكاره وقيمه وثوابته، واستخدموا في ذلك عشرات بل مئات المصطلحات؛ لتشويه الحقائق، وتزييف التاريخ، وإحداث ثقوب وخروقات في بنائنا الفكري بحيث أصبحنا نعيش في زمن تغيير الخرائط «الإدراكية» والمصطلحات والمفاهيم، كما هو الحال في تغيير الخرائط «الجغرافية»!!

فهم حين يتحدثون عن «الشرق الأوسط»، يهدفون إلى تغيير هوية البلاد العربية والإسلامية، وإدخال الكيان الصهيوني في علاقات ثقافية واقتصادية مع الشعوب العربية، وحين يتحدثون عن «القدس الشرقية والقدس الغربية» فإنهم يقصدون انتزاع حق المسلمين الثابت في استعادة كامل مقدساتهم، كما أنهم يطلقون وصف «الإرهاب والعنف» على جماعات المقاومة؛ ويعملون على الخلط بين حق الشعوب في الدفاع عن نفسها وبين أعمال العنف والقتل غير المبررة شرعًا وقانونًا، ويتحدثون أيضًا عن «المدنيين» الإسرائيليين، في محاولة منهم للإيحاء بأن الكيان الصهيوني مثل باقي دول العالم، به مدنيون وعسكريون، بينما يتعامون عن حقيقة ثابتة وهي أن الكيان الصهيوني جيش له دولة، وليس دولة لها جيش!!

والأدهى من ذلك أن نجد من بين العرب مَن يتحدث عن عذابات اليهود

باحث وصحفي في مجلة «التبيان»

القرآن الكريم حذر من استخدام الألفاظ التي يستخدمها غير المسلمين خاصة إذا اختلفت دلالاتها

على مرّ التاريخ، وأن الوقت قد حان لإنهاء كل هذه المعاناة! في حين يتجاهل تمامًا الحديث عن الاضطهاد الواقع على الفلسطينيين، مع أن سبب معاناة الفلسطينيين هم اليهود، في الوقت الذي لم يكن فيه الفلسطينيون يومًا سببًا لمعاناة اليهود!

بل وجدنا من يحاول إبراز اغتصاب اليهود لفلسطين والصراع بينهما، وكأنه أمر يخص الفلسطينيين والإسرائيليين وحدهما، وليس صراعًا يشمل الأمة الإسلامية كلها؛ دفاعًا عن مقدساتها وأرضها الإسلامية.

إن الإسلام كما عُني بتصحيح العقائد والتصورات، ونَقْل الناس من عبادة الأوثان إلى التوحيد الخالص، والإيمان النقي، والفطرة السليمة، فإنه عُني- أيضًا- بضبط الألفاظ التي هي وعاء لتلك التصورات، ليكون الوعاء والمضمون متناسقين غير متناقضين، لذا نبَّه القرآن الكريم إلى ضرورة التفرقة بين لفظ وآخر حين يختلف معناهما، قال تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ ءامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات:١٤)، فقد أمر الأعراب باستعمال لفظ «الإسلام» بدلًا من «الإيمان»، وأخبرهم أنهم قد دخلوا في الإسلام ولكن لم تتحقق قلوبهم بعد بالإيمان.

وحذر القرآن- أيضًا- من استعمال الألفاظ التي يستعملها غير المسلمين، خاصة إذا اختلفت دلالتها، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا

وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٠٤).

قال القرطبي في تفسيره: «حقيقة راعنا في اللغة: أرْعنا ولنَرْعك؛ لأن المفاعلة بين اثنين؛ فتكون من رعاك الله، أي: احفظنا ولنحفظك، وارقبنا ولنرقبك، ويجوز أن تكون من: أرعنا سمعك، أي: فرِّغ سمعنا لكلامك، قال ابن عباس: كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ: راعنا على جهة الطلب والرغبة- من المراعاة- أي: التفت إلينا، وكان هذا بلسان اليهود سبًّا، أي: اسمع لا سمعت، فاغتنموها وقالوا: كنا نسبّه سرًّا فالآن نسبه جهرًا؛ فكانوا يخاطبون النبي ﷺ ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ، وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود: عليكم لعنة الله، لئن سمعتها من رجل منكم يقولها للنبي ﷺ لأضربن عنقه، فقالوا: أولستم تقولونها؟! فنزلت الآية، ونُهوا عنها؛ لئلا تقتدي بها اليهود في اللفظ وتقصد المعنى الفاسد».

إن المصطلحات ليست منبتة الصلة عن الحضارة التي تنشأ في أحضانها؛ فالحضارة- أيُّ حضارة- بما تنتجه من قيم ومفاهيم ومصطلحات تشبه- كما يذهب نفر من الباحثين- الكيانَ العضويَّ الواحد، بحيث لا نستطيع أن نفصل عضوًا عن بقية الأعضاء.. بل يكون كل عضو بحاجة إلى بقية الأعضاء حتى يؤدي هو ذاته عملَه على أتم وجه!

ومن ثم، نستطيع أن نقرر أن نقل الألفاظ من بيئة حضارية إلى بيئة حضارية أخرى، دون الأخذ في الاعتبار الأجواء والملابسات التي تولّدت فيها تلك الألفاظ، يؤدى بالضرورة إلى حالة من التلبيس والتدليس الفكري.

ولسنا بتأكيدنا على ضرورة استخدام المصطلحات التي عرفت بها حضارتنا وتميزت بها، ندعو إلى الانكفاء على الذات، أو الانغلاق عن التواصل مع الآخرين، أو نرفض الاستفادة من الخبرات والمنجزات الحضارية، التي هي إرث مشترك للإنسانية كافة، إنما نقصد التأكيد على ذاتنا الحضارية وتعميقها، ورفض الذوبان أو «الدمج» في الحضارات الأخرى، كما نشدد بذلك على ضرورة التحاور مع الآخرين من مواقعنا، وقيمنا الثابتة، وبنائنا الفكري المتفرِّد.

تهمة لابد من دفعها

هل العرب في العصر الجاهلي كانوا أمة منغلقة؟

د.رفيق حسن الحليمي

يبدو أن لدى شريحة من المفكرين العرب ولدى كثرة من غير العرب صورًا نمطية سائدة في كثير من المؤلفات والأدبيات ومدارس التعليم.. وهي أن العرب في العصر الجاهلي كانوا أمة منغلقة على نفسها، ولم يكن لهم صلات مباشرة مع غيرهم من الأمم والشعوب التي كانت في الجوار وعلى مقربة منهم! وردت هذه المقولة على لسان أحد المثقفين من غير العرب في حوار ثقافي أجري أخيرًا، ويبدو أن هناك جملة أخرى من الأحكام المتسرعة المغرضة يطلقها غير المنصفين بلا هوادة على العرب والمسلمين على حد سواء، بعض هذه الأحكام يصدر عن جهالة عمياء وقلة اطلاع، وبعضها الآخر يصدر عن نزغات شيطانية ونفوس مريضة تستهدف النيل منهم وتشويه صورتهم.

وللحقيقة نقول: إذا كان هناك انغلاق وعدم اتصال مباشر مع الآخرين فإن هذا ينطبق على مجموعات القبائل العربية التي عاشت وسط الجزيرة وكانت رمال الصحراء المتحركة تحول دون تواصل واتصال مباشر مع غيرهم من الأمم والشعوب المجاورة، وقد كان لهذا «الانغلاق» أثر كبير وفائدة عظيمة على مستوى نقاء اللغة (سيأتي الحديث عنه لاحقًا)، أما العرب الذين عاشوا في الحواضر مثل مكة (أم القرى) والمدينة والطائف والأنبار والحيرة فقد كانوا منفتحين إلى أبعد الحدود وإلى أكثر مما يتصوره دعاة الانفتاح في هذه الأيام.. وبين أيدينا من التراث التاريخي والأدبي واللغوي الصحيح الذي يزهو بصدقه ويعلو ببرهانه ما يؤكد بطلان تهمة الانغلاق المزعوم.

هجرات القبائل المختلفة

يقسم الباحثون سكان الجزيرة إلى أهل المدر (وهم الحضر أهل المدن)، وأهل الوبر (وهم سكان البوادي والصحراء) الذين يعتمدون في حياتهم على الرعي والتنقل وتتبع مواطن الكلأ (العشب)، وهناك قسم ثالث جمع في حياته ومعيشته بين أهل المدر وأهل الوبر فكانوا بين بين، فلا هم بدو رحل منغلقون انغلاقًا تامًا، ولا هم حضريون منفتحون انفتاحًا شاملًا (١).

لعل أروع ما قدمه عرب الجاهلية للحضارة الإنسانية النظام العشري عمدة الحساب وركيزته

في تاريخ الجزيرة قبل الإسلام خرجت إلى الفرات وبلاد الشام الكبرى ومصر والحبشة موجات متلاحقة من هجرة القبائل، يعتقد أن بدايتها كانت بسبب انهيار سد مأرب، ويصعب في هذه العجالة تتبع هجرات تلك القبائل ويكفي أن نشير إلى بعضها.. فقبيلة تغلب وإياد وهما قبيلتان عربيتان سكنتا الفرات، وقبيلة بني كلب وهي من كبرى القبائل العربية استوطنت بلاد الشام وكان لها نفوذ واسع، وهناك من ذهب إلى أن الأحباش سكان إفريقيا عرب خلص «يعودون في أصولهم الى عرب بني الهون من خزيمة وبني الحارث من كنانة وبني المصطلق من خزاعة» (٢).

هذه هجرات من الداخل إلى الخارج، غير أن هناك هجرات عكسية كانت من الخارج إلى الداخل، فقد هاجر اليهود إلى بلاد العرب منذ قديم الزمان كلما اشتد عليهم ضغط الخصوم أو قست عليهم المجاعات، وأخذت المسيحية تتسرب إلى بلاد العرب منذ القرن الرابع الميلادي، فهذه بلاد العرب حركة دائبة من داخل إليها وخارج منها.. داخل آت بثقافات مختلفة وخارج يرجع بثقافات مختلفة حتى قيل: لم يصل إلى أحد خبر من أخبار العرب والعجم إلا من العرب، وذلك لأن من سكن مكة أحاط بعلم العرب العاربة وأخبار أهل الكتاب، وكانوا يدخلون البلاد للتجارات فيعرفون أخبار الناس، وكذلك من سكن الشام خبر بأخبار الروم وبني إسرائيل واليونان، وهذا الحراك الحيوي يدفع إلى إنكار العزلة المدعاة إنكارًا شديدًا (٢).

الرحلات التجارية

كان للعرب في العصر الجاهلي رحلتان أساسيتان، ورد ذكرهما في القرآن الكريم «رحلة الشتاء والصيف» ففي الشتاء يرتحلون إلى الجنوب (اليمن) حيث كانت مركزًا تجاريًا لكل من يأتيها عبر البحار، وفي الصيف يرتحلون إلى بلاد الشام التي كانت خاضعة للإمبراطورية الرومانية، وإلى جانب هاتين الرحلتين كانت هناك رحلات ثانوية إلى الحبشة وإلى بلاد فارس، ولم تكن لتتم تلك الرحلات إلا بمعرفة دقيقة لمسالك المفاوز وممرات الطرق، ومواقع النجوم ليهتدوا بها في سيرهم ليلًا، وكان لابد لتحقق ذلك من تأمين طرق القوافل بالمعاهدات والتحالفات (الإيلاف) مع من يمرون عبر أراضيهم داخل الجزيرة وخارجها «فكانت هناك العهود الخارجية التي تعقد بينهم وبين الرومان أو الفرس أو اليمنيين أو الحبشيين أو غيرهم لجلب التجارة والسماح بالاتجار» (٣)، فكان هاشم بن عبدمناف قد أخذ كتاب أمان من قيصر الروم فأقبل هاشم بذلك الكتاب فجعل كلما مرّ بحيّ من العرب بطريق الشام أخذ من أشرافهم إيلافًا (٤)، وخرج عبدالمطلب بن عبدمناف إلى اليمن فأخذ من ملوكهم عهدًا

أكاديمي فلسطيني

لمن تجر إليهم من قريش، وأخذ الإيلاف كفعل هاشم، وخرج عبدشمس بن عبدمناف إلى الحبشة فأخذ إيلافًا، وخرج نوفل بن عبدالمطلب فأخذ عهدًا من كسرى وإيلافًا ممن مرّ به من العرب (٥)، وكان يحرس القوافل التجارية جموع غفيرة من الأحباش المقيمين في مكة، كانوا قد أخذوا الولاء من قبيلة قريش (٦).

كان يتقدم تلك القوافل أرباب التجارة وأصحاب رؤوس الأموال من زعماء القبائل ورؤسائها، والتاجر الفطن لا تقف عيناه على عروض التجارة والبيع والشراء فقط، وإنما يراقب عن قرب حياة الناس وعاداتهم وتقاليدهم ووسائل معيشتهم من مأكل وملبس وعمارات وقصور مشيدة وزراعة وصناعة، وهل هناك مظهر أقوى من التبادل التجاري للتعبير عن الانفتاح الحضاري بين الأمم والشعوب المختلفة والوقوف على أنماط الحياة وألوان المعيشة.

التعريب

بدأت حركة التعريب منذ العصر الجاهلي يوم أن بدأ العرب يختلطون بغيرهم من الأمم والشعوب، وللتجار قصب السبق في ذلك، فكانوا يستمعون إلى أحاديث البشر ولغاتهم فيقتبسون منها ما كانوا بحاجة إليه لسد العجز في لغتهم، وكان الآخرون كذلك يأخذون من لغات العرب التجار ما طاب لهم من لغتهم وما لم يكن موجودًا في لغاتهم، حيث تتسرب تلك المفردات الأجنبية من كلا الطرفين- بوعي ومن دون وعي- إلى الألسنة فيخضعونها لمنطق لغاتهم ولأصواتهم التي جبلوا عليها، هكذا كان الحراك التجاري- كما هو معروف- لا يقف عند حدود البيع أو الشراء، وإنما يتخطى ذلك إلى الأخذ والعطاء وإلى التأثير والتأثر، يعود التاجر محملًا بما حظي به من عروض تجارية مختلفة، كما يعود وهو يحمل إلى جانب لغته بضع كلمات أجنبية «دخيلة» فيطوعها إلى منطق لغته فيكون التعريب، ويدخل اللسان العربي

(المعجمية) ما صح تعريبه فيستعمله العرب من خاصة وعامة من دون نفور أو غضاضة لأنه أصبح- بعد التعريب- عربيا أو كالعربي، وأما ما يستعصي على لسانه ولا يخضع لعملية التعريب فيظل دخيلًا أجنبيًا لا تعترف به اللغة على أنه عربي أو كالعربي.

ويفعل الرجل الأجنبي بما سمع من كلام العرب مثلما فعل العربي، فيخضع المفردات العربية التي اقتبسها إلى منطق لسانه فيبدل بعد الأصوات التي لا تتلاءم مع لغته، وقد يحذف بعضها حتى ينطقها بالكيفية التي يستطيعها لسانه، وتصبح الكلمات العربية أصلاً مفردات أجنبية، ويستعملها المتحدثون على أنه من لغتهم وتدخل المعجم الأجنبي.

ولا نستغرب- بعد هذا- أن نجد كتاب «المعرّب» للإمام الجواليقي وقد حصر فيه المفردات المعربة التي انتهت إلى أسماعه، ولعل جولة سريعة في هذا العمل المعجمي تكشف عن مصادر المفردات المعربة من بلاد شتى، كان للعرب التجار الدور الأكبر في نقلها وتعريبها، ولا يخلو معجم عربي من الإشارة إلى أصول الكلمات المعربة، كما لا يخلو معجم أجنبي مطول (غير مدرسي) من الإشارة إلى أصول الكلمات التي انتهت إليهم.

أساليب الحكم في الجاهلية

من المعروف أن لكل قبيلة زعيمًا تكون مقاليد القبيلة في حلها وترحالها وفي سلمها وحربها وفي أنماط حياتها ومقدراتها بيد زعيم هذه القبيلة أو تلك، وحكمه نافذ إذا ما قضى أمرًا، وفي مجلسه تعقد المشاورات لفض النزاعات واتخاذ القرارات للحرب أو السلم أو للإغارة والغزو، وأكثر ما يكون ذلك في البوادي (أهل الوبر)، وأما في المدن وبخاصة في مكة فالأمر يختلف فلكل قبيلة زعيم، ويلتقي زعماء القبائل والعشائر في مجلس يضم الزعماء، جميعًا، وغالبًا ما يرأس ذلك المجلس زعيم واحد، للتشاور في كبريات الأمور وعقد العهود والمواثيق والأحلاف، وقد أغرى هذا المظهر الحضاري (تجمع زعماء القبائل للتشاور في الأمور) بعض الباحثين إلى القول: إن مكة عرفت نوعًا من الحكومة الجمهورية في أيامها الجاهلية (٧)، وكان لهذه الجمهورية دار تتداول فيها الرأي في مختلف مشكلاتها التجارية والسياسية والاجتماعية، وتعقد فيها المعاهدات السياسية وقد يكون الاجتماع حول الكعبة، ولا يغيب عنا «حلف الفضول» الذي شهده النبي ﷺ وهو فتى، ثم حلف قريش ضد بني هاشم بعد ظهور النبي ﷺ وكتابتهم «الصحيفة» المشهورة وتعليقها في جوف الكعبة توكيدًا لأنفسهم (٨).

وذهب د.طه حسين إلى أبعد من ذلك عندما قرر أن الأنصار في المدينة ربما اطلعوا على نظام الحكم في أثينا (وجود وزيرين يحكمان معًا، وتقاسم السطلة بينهما)، فعندما اجتمع المهاجرون والأنصار في سقيفة بني ساعدة إثر وفاة النبي ﷺ لاختيار من يخلفه قالوا: منا وزير ومنكم وزير، ورد عليهم المهاجرون بقولهم: نحن الأمراء وأنتم الوزراء.

وبشهادة بعض الباحثين فإن المسلمين عندما خرجوا للفتوحات الإسلامية لمحاربة الوثنية ونشر العقيدة، وأصبحت لهم دولة تمتد في مشارق الأرض ومغاربها قد نجحوا في أمرين

أولهما: التجارة، وقد نجحوا فيها منذ العصر الجاهلي، وتحولت معها مكة إلى أكبر مركز مالي وحق لها أن تسمى «أم القرى» لما كان يؤمها في موسم الحج من قوافل

الحجيج، تأتيها من كل فج عميق ليشهدوا عكاظ وليطوفوا بالبيت العتيق، وفي عكاظ كانت تعرض أنواع التجارة المختلفة فتتزود بها القبائل من شرق الجزيرة وغربها وشمالها وجنوبها، تعقد فيها الندوات وينشد الشعر ويصدر الحَكم حكمه فيسير الشعر الجيد وينتشر في البوادي والحواضر، يحمله الحجيج كما يحملون متاعهم من عروض البيوع والتجارة.

ثانيهما: نظام الحكم، حيث أقاموه على العدل والمساواة والتسامح تحت مظلة الدين الحنيف، واحترام الشعوب المنضوية تحت لواء الإسلام، وإعطاء تلك الشعوب حقوقهم التي أقرتها لهم العقيدة الإسلامية، وفي صعيد تلك الدولة قبل المسلمون التعددية العرقية، والتنوع الحضاري والثقافي، ولم يصطدموا مع تلك الشعوب- على كثرتها وتنوعها- على أساس من التمايز العرقي أو الديني.

النظام العشري

وهو طريقة مبسطة لكتابة القيم الحقيقة للأعداد، بدأ بالعد على الأصابع واستعمال اليدين باعتبارهما عدادًا مريحًا (٩)، وهو فرز توصل إليه العربي من خلال الحساب في البيع والشراء فكان العربي- حتى لا يضل ولا ينسى- يعد بأصابع يديه الخمس أو العشر ويعقد إصبعًا كلما عدّ رقمًا، وقد انتقلت ظاهرة العد بالأصابع وعقد كل إصبع عند كل رقم إلى قراءة القرآن وعدّ آياته لمزيد من التثبت والتحوط، فكانت تتنزل خمس آيات أو عشر أو أكثر أو أقل وكان بعض المسلمين يعدون الآيات في الصلاة، وكان الرسول ﷺ أول من سن عقد الأصابع في عدّ الآيات في الصلاة، وكان إذا حدث فيما يتصل بالأعداد عدّ كما تعدّ الأعراب (١٠).

أصبح العد على الأصابع ظاهرة شائعة في مختلف البيوع، سواء أكانت صغيرة أم كبيرة، وعندما أرادوا تدوين الحساب في شكل أرقام حسابية اصطدموا في بادئ الأمر بالرقم عشرة «١٠» كيف يكتبونه، ثم هدتهم بديهتهم إلى اختراع «الصفر» (بمعنى العدم) وهو دائرة صغيرة توضع على يمين الرقم، وكانت الأرقام المستخدمة آنذاك عند العرب هي الأرقام الأجنبية المستخدمة في الغرب حتى الآن، أخذها الغرب عن العرب، وأما الأرقام المستخدمة عند العرب في هذه الأيام «١-٢-٣» فهي أرقام هندية أخذها العرب عن الهنود.

ولعل أروع ما قدمه عرب الجاهلية للحضارة الإنسانية النظام العشري، عمدة الحساب وركيزته، وأما الصفر فقد أخذه الغرب مع ما أخذ عن العرب، وكانت الأرقام الرومانية: (واحد اثنان ثلاثة أربعة) (١-١١-١١١-١V) قد خلت من الصفر ومازالت تكتب على بعض أنواع الساعات، ولم يكتف الغرب باستعارة الصفر، بل أخذوا الكلمة وأصبحت «زيرو» (zero)، كما أخذوا كلمة «صك» وأصبحت «شيك» (check)، وهناك آلاف الكلمات العربية ذات الدلالات العلمية والفلكية أخذها الغرب مباشرة عن العرب في عصور لاحقة للعصر الجاهلي عندما خرجوا للفتوحات وهي ليست موضوعنا، ويعتقد أن الخوارزمي (ت ٨٥٠م) وهو من علماء المسلمين في القرن الثالث الهجري له الفضل في تعريف العرب والأوروبيين بنظام الأعداد الهندي.

الانغلاق المحمود

لعل كلمة «الانغلاق» تنطبق أكثر ما تنطبق على القبائل العربية التي عاشت في وسط الجزيرة، تحيط بها الصحاري الممتدة والرمال المتحركة من كل جانب، بحيث أصبح احتكاكها بغيرها من الأمم والشعوب المجاورة أمرًا متعذرًا من دون اختراق تلك الرمال، واجتياز الصحاري، وقد أدت تلك العزلة المفروضة عليهم إلى المحافظة على لهجاتهم والإبقاء على نقائها وأصالتها وسلامتها من شوائب العجمة ومن الأجنبي الدخيل من الكلمات، وهو أمر اختلف كثيرًا عن القبائل التي عاشت على أطراف الجزيرة، وكانت على احتكاك دائم واتصال مستمر تجاريًا وثقافيًا مع غيرها من الشعوب، فتأثرت ألسنتهم بلغات الأجانب، وقد أدرك العرب وفي مقدمتهم قبيلة قريش منذ العصر الجاهلي ذلك الأمر فدفعهم ذلك إلى أن يرسلوا أبناءهم الى مواطن الفصاحة والأصالة والنقاء اللغوي ليشبوا أصحاء في أبدانهم ولغاتهم، ويؤثر عن النبي ﷺ قوله: «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش وأني نشأت في بني سعد بن بكر» (١١)، وهذا يدل على أن بعض القبائل كانت تزهو على سائر القبائل بفصاحتها (١٢)، وقد أدرك العرب هذه الحقيقة فاتخذوا خطوات عملية للتغلب على ظاهرة فساد الألسنة (المحتمل) والسعي إلى تنشئة الأجيال في بيئات لغوية سليمة تتمتع بدرجة عالية من الأصالة والنقاء، بعيدًا عن المؤثرات الأجنبية الدخيلة، وتجدر الإشارة إلى أن قبيلة قريش تعد أفصح القبائل العربية، غير أنها لم تسلم من المفردات الأجنبية لأنها أصبحت في الإسلام حاضرة وعاصمة ودار إقامة لعامة المسلمين، وعندما أراد اللغويون في القرن الثامن للهجرة جمع اللغة العربية ووضع قواعدها وتأصيل أصولها بعيدًا عن اللهجات التي تأثرت بالأجنبي لم يأخذوا عن لغة قريش ولا عن غيرها ممن جاوروا الأمم، ووجدوا ضالتهم المنشودة في لغات تلك القبائل «المغلقة» التي تعذر اتصالها بالأمم المجاورة، حقًا إنه الانغلاق المجد المحمود.

المراجع

١- ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي ص ٦١٨.
٢- حسين نصار نشأة الكتابة ص ١٦ -١٧.
٣- المرجع السابق ص ٢٠.
٤- الإيلاف هو عهد بأمان الطريق فقط بغير حلف فيأمن صاحبه في أراضي غيره السير والمرور بتجارته من دون أن يعتدى عليه. انظر: القالي، الأمالي- النوادر ص ١٩٩.
٥- الأمالي- النوادر ص ١٩٩-٢٠٠، وانظر: نشأة الكتابة ص ١٦.
٦- كانت قريش تقسم إلى قريش البطحاء، وهم الأصلاء وكانوا يسكنون في مكة، وقريش الظواهر وكانوا يسكنون خارج مكة وفي الشعاب والتلال، وهم خليط من العوام والأحباش والموالي (الموسوعة العربية ص ١٣٧٨).
٧- نشأة الكتابة ص ٢١.
٨- المرجع السابق ص ٢١-٢٢.
٩- الموسوعة ص ٨٧٨.
١٠- أبوعمرو الداني، البيان في عد آي القرآن ص ٤١.
١١- السيوطي: المزهر ص ١٢٠.
١٢- عز الدين إسماعيل، المصادر الأدبية ص ٢٨٣.

حـــراء

جذوة متوقدة في دنيا الإعلام الإسلامي، أدرك القائمون عليها أهمية الجمع بين الشكل والمضمون، وبين المبنى والمعنى، فجاءت تحفةً فنيةً تضم أطايبَ الكلام وأفانينَ الفكر والعلم والمعرفة.

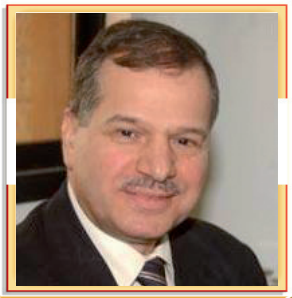

د.محمد حسان الطيان

ما تَقَعُ العَينُ منها حينَ تَلحَظُها
إلّا عَلَى فتنَةٍ من أجمل الفتَنِ

إن من يتصفح مجلة حراء يشعر منذ النظرة الأولى أنه أمام نوع مختلف من أنواع المجلات، رصدت له أعظم الإمكانات، وحشدت فيه أرقى التقنيات الفنية وأكثرها إحكاما وإبداعا، بدءا من نوعية الورق ومرورا بتناسق الألوان وانتهاءً بروعة الإخراج.

فإذا مضى في قراءة مقالاتها وتنقل بين عقول كاتبيها ومبدعيها أدرك أيّ فكر راقٍ تشتمل عليه هذه الإضمامة.. وأيّ أدب رفيع يقطر من يراع كاتبيها.. وأيّ علم غزير يتفجر من سلسالها، وسرعان ما يتبدّى له أنها مجلة استوفت معايير الجودة، وبلغت أمد الغاية إتقانا وإخراجا وفكرا ومعرفة ورفعة وأدبًا.

ولا غرو فقد تناوشتها أقلامٌ قلما اجتمعت في مجلة!

فمن معقلها في تركيا يطل علينا فتح الله كولن المفكر الشاعر والكاتب المبدع بفيوضاته وفتوحاته، ومن جارتها سورية يلقانا الأستاذ د. سعيد رمضان البوطي بفكره وقلبه، ومن أرض الكنانة تتبدى لنا آيات الإعجاز العلمي في مقالات أ د.زغلول النجار، ويتفجر الفكر الأصيل في مباحث الأستاذ الدكتور محمد عمارة، وتسمو الروح ويتوقد الوجدان مع سماحة المفتي د.علي جمعة، ومن أقاصي المغرب يطالعنا أ د.الشاهد البوشيخي بنصاعة أسلوبه وغزارة علمه، ومن الأردن تحلق بنا الشاعرة نبيلة الخطيب في عالم شعر يلامس القلوب والأرواح قبل الأنظار والأسماع، ومن العراق الجريح- فرج الله كربته- يتحفنا د. عمادالدين خليل برؤاه العميقة في التاريخ والأدب.

ومن الجزائر وماليزيا.. ومن اليمن وفلسطين.. بل من كل صقع عربي وإسلامي تستقطب حراء أروع الأقلام وأبدع الأفكار وأحلى الكلام، في مشكاة تمتزج بأجزاء النفس لطافةً.. وبالهواء رقةً.. وبالماء عذوبةً.. وبالنغم العلوي الأصيل إيقاعا وجرسًا.

إنها الكلمة الطيبة تؤتي أكلها في أبهى صورها وأزكى حالاتها ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥)﴾ (سورة إبراهيم: ٢٤-٢٥)

فليهنكم يا من تقومون على هذا الصرح الإعلامي الإسلامي إنتاجكم.. وليهنكم ما قدمت أيديكم.. وليهنكم ما أثمرت قرائحكم في هذه المجلة.

ليهنكم ما تخيّرتم من اسمها «حـــراء» مبعث النور والهداية والصفاء.

وليهنكم ما صنعتم في شكلها ووصفها حتى غدت أمثولة للحسن والبهاء.

وليهنكم ما استقطبتم لها من بارع الكتّاب والشعراء حتى تفردت بأجمل العطاء.

وليهنكم ماحققتم بها وفيها من تألق ونجاح حتى غدت نبراسا للإعلام الإسلامي المعاصر.

وليهننا معشر القراء أن فزنا بها، وإنها وايم الحق لمغنم عظيم.

ولايسعني في الختام إلا أن أتوجّه إلى كل من قام عليها بقول أمير الشعراء:

إنَّ القُلوبَ وَأَنتَ ملءُ صَميمِها
رفعَت تَهانيها مِنَ الأَعماقِ

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

منسق مقررات اللغة العربية بالجامعة العربية المفتوحة - الكويت

الداعية الأميركي الشيخ حمزة يوسف في حوار خاص:

مسلمو الغرب ضحايا الإهمال والهجرة الاقتصادية

حوار: تمام الصباغ وعبادة نوح

أكد الداعية الأميركي الشيخ حمزة يوسف أن المسلمين في أميركا يجمعهم الوحدة والحالة المادية المتوسطة، ويفرقهم طبيعة الحياة السريعة مبينا أن الجالية المسلمة في أمس الحاجة إلى عناية مركزة لأن الهجرة إليها كانت اقتصادية. وقال في حوار خاص لـ «الوعي الإسلامي» على هامش زيارته للكويت مؤخرا: إن بعض المسلمين تدينهم شكلي فقط، بينما في المعاملات بلا دين، وبالتالي يقدمون صورة سيئة جدا تشوه الإسلام لافتا إلى أن الإسلام في موريتانيا فطري وليس عندهم تصنع في إسلامهم. وأوضح أن المعماريين المنصفين من الغرب عندما يتحدثون عن أعظم المباني من الناحية الهندسية يذكرون دائما تاج محل في الهند وقصر الحمراء في غرناطة باعتباره أعظم مكان للزيارة في أوروبا.. واليكم نص الحوار:

■ حدثنا عن مسيرتكم الدعوية في أميركا.. كيف بدأت وأين وصلت؟

في أواخر الثمانينيات بدأت أكون دورات علمية والحمد لله انتشرت الفكرة التي كنت أدعو إليها حتى إن الكثير من المؤسسات الدعوية في أميركا تعمل بنفس المنهج الآن.

وقد كنت أرى أن الجالية المسلمة في أميركا بحاجة إلى عناية مركزة لأن الهجرة إليها كانت اقتصادية والمسلمون غرقوا في بحر المادية وكثير من الأبناء كانوا ينشأون في جو مغاير للمفاهيم الإسلامية، حيث إنه يجد شيئا في البيت ثم يذهب إلى المدرسة فيجد عكس ذلك، وبالتالي باتت المغريات كثيرة فركزنا على الشباب ووجدنا الاستجابة وانتشرت الدعوة.

ومنذ عشر سنوات أسسنا معهد الزيتونة لننتقل من مرحلة الدورات المركزة إلى شيء ثابت مستمر، والحمد لله افتتحنا بكالوريوس تجريبية في كاليفورنيا منذ خمس سنوات، وتخرج فوج تدريبي ونجحوا مع إمام زيد شاكر والآن ارتقينا إلى كلية فأسسنا كلية الزيتونة.

■ ما أبرز مشكلات المسلمين في أميركا؟ وهل مشكلتهم مع أنفسهم أم تعود لأسباب خارجية؟

– الأمة الإسلامية عموما تعاني التخلف داخل العالم الإسلامي وخارجه، فأنا تربيت في كاليفورنيا ودرست بأحسن المدارس في أميركا، وعندما أسلمت كأنني تبنيت هذا التخلف لأن الذي ينضم إلى الإسلام كأنه ينضم إلى مجتمع متخلف في أمور كثيرة، ولكن بدأنا التخلص من هذا في أميركا عن طريق إزالة العوائق والنظر إلى أعلى والمشاركة بما يليق بهذا الدين، فعندنا إدارة متميزة ومجلس أمناء على مستوى جيد وكلهم تخرجوا من كبرى الشركات في أميركا، فنحن نرى التيارات الأخرى بضاعتها فاسدة ولكنها تعرض بطريقة جذابة والشباب ينجرفون وراءها.

■ كيف نحسن من بضاعتنا في الغرب؟

– نحن في أميركا نهتم بأمر المسلمين وهذا من واجباتنا، ونريد أن نفهم الشعب بأن الكون فيه علاقات، ونفهمهم أن الظلم مشكلة، فهناك من في العالم العربي يريد الانتقام منهم، ولكن نحن نريد مساعدتهم لأن الرسول كان يحب البشر والناس جميعا حتى اليهود.

■ انتم الآن تتبنون موضوع التعليم.. لماذا التعليم بالذات؟

– هناك تركيز على التعليم لأننا نرى أن الجهل اكبر عدو للإنسان سواء المسلم أو غير المسلم، وليس فقط الجهل في العلوم فعندهم علوم يبنون بها الجسور ويصلون بها إلى القمر، لكن العلوم الإنسانية والمتعلقة بالسماء غائبة، فهناك كون وهناك خالق له وهناك أشياء تؤثر على الإنسان وأفعاله، فالإسلام دين عبرة.

■ ما دور وسائل الإعلام في دعم عملية التعليم؟

– في الماضي كان العالم الإسلامي يضم علماء في كل التخصصات والثقافة واسعة، لكن مع ذلك يسر الله لنا إيصال الرسالة بطرق أخرى، فنحن نقوم بالبث المباشر وغير المباشر من المسجد والوسائل الحديثة مثل الحاسوب والانترنت.

■ هل مشكلة أميركا مع الإسلام نفسه أم مع المسلمين؟

– لا نستطيع تعميم المشكلة، فهناك عشرات الملايين من المسلمين والمكسيكيين الذين لا يعرفون أي فكرة عن الإسلام، وهناك عشرات الملايين من السود الذين يحبون الإسلام وليس عندهم أي مانع،

التيارات الأخرى بضاعتها فاسدة ولكنها تعرضها بطريقة جذابة
السياحة الحقيقية تعني السير في الأرض والنظر إلى العبر

وهناك من النصارى من يكره الإسلام ككرهه لأي دين مثل اليهودية، وهناك في الإدارة الأميركية أناس ليس عندهم أي عداوة تجاه الإسلام، وفي المقابل هناك أناس عندهم عداوة، لذا فإن أميركا فيها أشكال وأنواع.

■ يقال إن الدعوة الإسلامية في أميركا تنتشر بين السود أكثر من البيض.. هل هذا صحيح؟

– نعم هذا صحيح، أولا لأن السود من أصول افريقية وعندهم ميول لهذا الشيء، فكثير من الذين أتوا إلى أميركا كانوا عبيدا مسلمين وهذا ثابت في التاريخ، وعندما تكون هناك أقلية مضطهدة في مكان ما فإنها تبحث عن بديل ولا تريد أن تحاكي من يظلمها، ثم إن الدين في نظرهم هو الرجل النصراني المعلق أمامهم وهو رجل ابيض كما ذكر الكثير منهم فكيف اعبد اله البيض وهم يظلمونني، يعني بعض اللاهوتيين عندهم قالوا بإن هذا الإله عنصري، لكن الآن المكسيكيون يسلمون والبيض يسلمون، ففي فرنسا ٢٥٪ من اللواتي تنقبن ممن اعتنقن الإسلام، وهذا يزعجهم ويخافون منه.

ولكن للأسف نجد أن بعض المسلمين تدينهم شكلي فقط، ففي المعاملات يفتقدون الى أحكام الدين، فمثلا في أوروبا نجد أن نسبة الجرائم لدى المسلمين أعلى بكثير من غيرهم، وبالتالي يقدمون صورة سيئة جدا تشوه الإسلام، ونحن نريد للإسلام أن ينتشر بشكله الصحيح.

■ لماذا يتعجب الغربيون عموما من انتشار معدلات الفساد في العالم الإسلامي؟

– نعم هم يتعجبون، لأنهم وجدوا عبر منظمات الأمم المتحدة في تقارير الشفافية أن الفساد في دول العالم الإسلامي أعلى المعدلات في العالم، فكلفوا أناسا في بريطانيا لمعرفة هل الإسلام فعلا يجعل الفساد ينتشر بين المسلمين.

■ هل يتحدث المنصفون من الغرب بموضوعية عن الإسلام؟

– نعم هناك منصفون، فالمعماريون عندما يتحدثون عن أعظم المباني من الناحية الهندسية يذكرون دائما تاج محل في الهند وقصر الحمراء في غرناطة، باعتباره أعظم مكان للزيارة في أوروبا بواقع ٢٥ مليون زائر سنويا، لان الإخلاص والإحسان في العمل ظاهر في هذه المباني، بينما وجدت أن أقبح المباني في العالم الآن موجودة عندنا وحتى في الدول الإسلامية الغنية.

■ ألا ترون أن للسياحة دورا في اطلاع الآخرين على ثقافتنا وحضارتنا؟

– عندنا أزمة سياحية في كثير من دول العالم الإسلامي، وللأسف السياحة الآن أصبحت وسيلة للفساد، ولكن السياحة الحقيقية تعني السير في الأرض والنظر إلى العبر، والتزاور من أعظم أسباب التعرف على الشعوب، وهناك أناس اسلموا عند زيارتهم للمغرب حيث أعجبوا بالحضارة وتساءلوا من بنى هذه الحضارة.

■ مسلمو أميركا.. ماذا يجمعهم وماذا يفرقهم؟

– الذي يجمع المسلمين عموما أنهم متوسطو الحال وهذا شيء جيد، يعني الفقر عندنا اقل من الأميركيين العاديين، عندنا فقراء لكن ليس مثل العالم الإسلامي، وأيضا الحزبية لم تتمكن منهم إلى حد كبير، الجميع يصلون في نفس المسجد مهما كانت اختلافاتهم الفكرية والمذهبية. أما الذي يفرقهم فهو طبيعة الحياة في أميركا، فالحياة سريعة والإنسان منهمك في مهامه وأشغاله، وقليلا ما يجد فرصة للتزاور والتواصل الاجتماعي.

■ ما رأيك في القرارات الأخيرة التي أصدرتها بعض الدول الأوروبية بخصوص الحجاب والنقاب؟

– هم عندهم إحساس بأن المسلمين لا يضيفون شيئا ايجابيا إلى مجتمعاتهم، بينما في أميركا يوجد مسلمون أطباء ومهندسون يشاركون في الحياة العامة لذا تجد نسبة العنصرية اقل، لكن في أوروبا المسلمون للأسف ضحايا إهمال، فكثير من آبائهم هاجروا كعمال غير متعلمين وثقافتهم محدودة وسكنوا في أماكن صعبة حيث تنتشر المخدرات والزنا، فهم ينشأون في هذه البيئة.

■ هل هناك خوف من الحكومات الغربية من جراء اعتناق الغربيين للإسلام؟

– هم يخافون أن يعتنق المسلم فكرا جهاديا، فأنا لا أنكر أن الجهاد أصل في ديننا وإن كل دولة لها الحق في الدفاع عن نفسها، لكن العنف العشوائي الذي نجده في هذا العصر والمنظمات الإرهابية هذه ليست من الإسلام، فعندما أعيش في أميركا يجب علي أن احترم القانون وان أؤدي واجبي كمواطن صالح.

■ ما هي رؤيتك لمستقبل العالم الإسلامي؟

– أنا لست بكاهن، الله يقول العاقبة للمتقين والعاقبة لنا إن شاء الله، ونحن مؤمنون والتفاؤل من ديننا والرسول ﷺ كان يعجبه الفأل وكان يتفاءل خيرا وكان يقول تفاءلوا بالخير تجدوه، فنحن نؤمن بإله كريم ورحيم والمستقبل إن شاء الله مزدهر، ورسولنا يقول إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها، ونحن غرسنا الزيتونة في أميركا وإن شاء الله تؤتي ثمارها.

الدروس المستفادة من الأزمة الاقتصادية في اليونان

عبدالحافظ الصاوي

حلم الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي داعب الكثير من الدول، سواء كان هذا الانضمام في صورة عضوية كاملة، أو الدخول في اتفاقيات تمكن بعض البلدان من تعامل نشط اقتصاديا مع الاتحاد، وفي كلتا الحالتين دفعت هذه الدول ثمنًا باهظًا لهذه العلاقة مع الاتحاد الأوروبي، تمثل في قبول أجندة العولمة المحررة من كافة القيود، مما أوجد نوعًا من المعضلات الاجتماعية، وتركيز الغنى في شرائح محدودة، واتساع رقعة الفقر، وتفريط الدولة في ملكيتها للمشروعات العامة، والدخول في مشروعات إنشاء وتحسين للبنية الأساسية كلفت هذه الدول الكثير وحملتها بالديون، وفي نفس الوقت لم تجد من الاستثمارات الخارجية ما يعوضها عن هذه التكلفة.

اليونان واحدة من الدول التي نالت عضوية الاتحاد الأوروبي عام ٢٠٠١، وتنازلت عن عملتها الوطنية ودخلت فيما سُمي بالوحدة النقدية لليورو، وكانت النتيجة بعد نحو عشر سنوات وجود اقتصاد هش، قائم على الفساد وتكدس الثروة، وأحلام واهية لتدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر، وسرعان ما انكشفت عورة هذا الاقتصاد في مواجهة الأزمة المالية العالمية.

ملامح بنية الاقتصاد اليوناني

يبلغ عدد سكان اليونان نحو ١١ مليون نسمة، ويعتمد الاقتصاد بشكل أساسي على نشاطي السياحة والصناعات البحرية، ويبلغ الناتج المحلي لليونان في العام الواحد نحو ٢٤٠ مليار يورو، وقد بلغ العجز بالموازنة العامة لليونان حسب آخر التقديرات ١٢,٧٪ من الناتج المحلي الإجمالي، وقدرت ديون اليونان، بنحو ٣٠٠ مليار يورو.

وفي ظل شروط الانضمام للاتحاد الأوروبي، التي تم التوصل إليها في اتفاقية ماسترخت، فإن معدل العجز بالموازنة العامة يجب ألا يزيد عن ٣٪، كما أن الدين العام يجب ألا يزيد عن نسبة ٦٠٪ من الناتج المحلي الإجمالي، وفي حالة اليونان وصل إلى ١١٥٪.

ومن هنا نجد أن هناك مخالفات من قبل الاقتصاد اليوناني لشروط الانضمام للاتحاد الأوروبي، تمثلت في زيادة العجز بالموازنة العامة لما يزيد عن أربعة أمثال السقف المتفق عليه، وكذلك الدين العام زاد بمعدل ٥٥٪ عن المعدلات المسموح بها، وهو ما يطرح تساؤلًا مهما عن دور الأجهزة الرقابية على صعيد الاقتصاد اليوناني، ومؤسسات الاتحاد الأوروبي.

لا توجد وصفة جاهزة للنمو والتنمية تصلح لكافة البلدان فلكل دولة خصائصها الاقتصادية وإمكانياتها من الموارد المالية والبشرية والطبيعية

جوهر الأزمة الاقتصادية

وجد الاقتصاد اليوناني نفسه أمام حالة من الاعتماد شبه التام على الاقتراض، في ظل تبني اقتصاديات العولمة المتوحشة، حتى وصل إلى تصنيفات ائتمانية غير مقبولة، وبخاصة بعد الأزمة المالية العالمية، حيث بدت مؤسسات الإقراض أكثر تحسبًا من ذي قبل، فعجزت دولة اليونان عن دفع المرتبات والمعاشات، وكذلك عن سداد قيمة سنداتها الدولية التي حلت آجالها، مما أوجد نوعًا من الهلع في أسواق المال الأوروبية، وتلك التي تتداول فيها السندات اليونانية خارج أوروبا، ولم يتوقف الخطر على التخوف من عدم سداد اليونان لديوناها فقط، ولكن لمستقبل وجودها داخل الاتحاد الأوروبي، كما أثير تساؤل حول مستقبل الوحدة النقدية الأوروبية، وبقاء اليورو كعملة موحدة للاتحاد الأوروبي، وخاصة في ظل تراجع أسعار اليورو أمام العملات الدولية الأخرى. وقد طرحت بعض التصورات لخروج اليونان من هذه الأزمة، من خلال تخليها عن عضوية الاتحاد الأوروبي، والعودة إلى عملتها الوطنية، مع إجراء تخفيضات كبيرة تمكنها من زيادة صادراتها وتنشيط اقتصادها.

العلاج المر

بعد أن تعرضت اليونان للوقوع في شبح الإفلاس، لعجزها عن دفع ديونها في مواعيدها المحددة، ووجود حالة من الهلع في أسواق المال الأوروبية، أتت الشروط الأوروبية لتفرض نفسها على حكومة اليونان، وهي في مجملها شروط إذعان تتعارض مع مصلحة الاقتصاد اليوناني. قدم الاتحاد الأوروبي قرضًا جديدًا في شكل مساعدات بفائدة سنوية قدرها ٥٪، يدفع على دفعات، بعد أن تعلن اليونان عن تطبيق جاد لحزمة من الإجراءات الاقتصادية، صدق عليها البرلمان اليوناني، وما زالت تثير مشكلات بالشارع اليوناني من خلال المظاهرات والاضرابات العامة، وتتمثل الإجراءات التي فرضها الدائنون الجدد لليونان في الآتي:

تخفيض أجور العاملين في الحكومة والقطاع العام والقطاع الخاص، ورفع

باحث اقتصادي

الضرائب، ورفع سن المعاش إلى ٦٥ عامًا، ورفع سن التقاعد لمن يخضعون لبرامج المعاش المبكر.

هذه الإجراءات المطروحة، ستطبقها اليونان خلال السنوات الثلاث المقبلة، حيث إن المنطق الاقتصادي السليم يقول: إنه في حالة الركود ومخاوف المستثمرين من القطاع الخاص من شبح إفلاس الدولة يجب أن يزيد الإنفاق العام، ولا يقلص كما هو مطلوب من اليونان الآن، والأمر الآخر هو أن العبرة ليست في تخفيض أجور العاملين، لأن المستثمر لا يعنيه خفض أجور العاملين بقدر ما يعنيه تنشيط الطلب على منتجاته حتى يستمر في الإنتاج، فمع انخفاض أجور العمالة، واستمرار حالة الركود، لن يكون قرار المستثمر تعيين المزيد من العمالة، بل سيكون طرد ما لديه من عمالة، أو تقليص عددهم لأقل قدر ممكن.

والمثير للدهشة، أن الحل الأوروبي أتى في ظل الحكمة التي تقول: «داوني بالتي كانت هي الداء»، فاليونان تعاني من عدم قدرتها على سداد الديون، وبدلاً من أن تُقدم لها مساعدات حقيقية تتمثل في قرض حسن، بالإضافة إلى ضخ استثمارات حقيقية لمؤسسات الاتحاد الأوروبي في شريان اقتصاد اليونان، أتت المساعدة في شكل قرض بمعدل فائدة هو الأعلى في سوق الإقراض، فألمانيا تقترض من السوق العالمي بمعدل ٢,٥٪، بينما الاقتصاد المعرض للإفلاس في اليونان يتم إقراضه بنحو ٥٪.

والأخطر من ذلك أنه تم تقييم الأزمة من منظور مالي، ووضع لها العلاج في هذا الإطار، بينما الأزمة الحقيقية هي أزمة القطاع الإنتاجي، الذي تعرض للتشويه والتقليص من خلال برامج الخصخصة، ولم يتم تحقيق إضافة جديدة لبنية الاقتصاد في اليونان، ليضيف نشاطًا آخر غير السياحة والصناعات البحرية.

والجدير بالذكر أن هذه المساعدات التي قدمتها الدول الأوروبية لليونان، لم تأت في إطار مؤسسي للاتحاد الأوروبي، ولكن من

خلال اتفاقيات ثنائية بين اليونان ودول أوروبية، لعدم وجود آليات داخل الاتحاد الأوروبي تنظم عمليات تقديم الدعم المالي، ومن هنا وجدنا موقف المانيا المتشدد تجاه الأزمة باليونان، وإعلانها أنه لا توجد آلية في الاتحاد الأوروبي لتقديم الدعم المالي، وأن تقديم دعم مالي لليونان سوف يفتح الباب لدول أخرى بالاتحاد الأوروبي، معرضة لنفس مشكلات اليونان، مثل البرتغال، وإيطاليا، واسبانيا، وايرلندا.

الدروس المستفادة

اللحاق بنادي الاتحاد الأوروبي، لا يعني بالضرورة تحقيق اقتصاديات الرفاهية والتقدم الاقتصادي، بل يعني اتجاه الدولة لترسيخ قواعد قوية لاقتصادها تتمثل في وجود قواعد إنتاجية حقيقية، يمكنها التعامل في ظل ظروف مختلفة.

دفعت اليونان مثل غيرها من الدول الكثير لتهيئة اقتصادها للدخول للاتحاد الأوروبي، وبخاصة على البنية الأساسية، وفي الوقت ذاته لم يكن هناك زيادة في معدلات الأداء والنمو الاقتصادي للاستفادة من هذه البنية الأساسية، مما جعلها عبئًا على الاقتصاد اليوناني أكثر منها ميزة يستفاد منها، ومن هنا يجب على كل الدول أن يكون نُصب أعينها أن الاستثمار في البنية الأساسية لابد أن يكون بحساب، خاصة إذا كانت عمليات تمويل مشروعات البنية الأساسية تعتمد على الاقتراض من الخارج أو الداخل، وتمثل عبئًا على الموازنة العامة للدولة.

ثمة وجود للفساد داخل الاتحاد الأوروبي كمؤسسة، أو داخل دولة، تمثلت في إخفاء اليونان لمؤشراتها الاقتصادية التي تخالف شروط عضوية الاتحاد الأوروبي، ومن هنا يجب النظر إلى تجربة الاتحاد الأوروبي على أنها في إطار ما أصاب المؤسسات المالية والاقتصادية في أميركا وغيرها من حيث تغلغل الفساد، وأن الدرس المستفاد من التجربة في اليونان وغيرها من الدول الأخرى، أن تتم عمليات مراجعة حقيقية لمواجهة الفساد وعدم التهاون مع من روجوا له أو ساعدوا على ممارسته.

لا توجد وصفة جاهزة للنمو والتنمية تصلح لكافة البلدان، فلكل دولة خصائصها الاقتصادية وامكانياتها من الموارد المالية والبشرية والطبيعية التي يجب تعظيم الاستفادة منها، ولا مانع من قبول الوصفات الخارجية في إطار أجندة وطنية تراعي خصوصيات كل دولة، ولعل تجربة ماليزيا وغيرها من البلدان الأسيوية خير مثال على ذلك.

لابد من إعادة النظر في آلية سعر الفائدة (الربا) نظرًا لما ترتب عليها من أضرار ملموسة فاقمت من أزمة المديونية والتضخم، والمقامرة في أسواق المال، وتظل المشاركة آلية مقبولة ومجربة لا ينتج عنها سلبيات سعر الفائدة.

سمحت أزمة اليونان للمؤسسات المالية الدولية (البنك والصندوق الدوليين) أن تطل برأسها مرة أخرى لتسترجع دورها، بعد أن كانت الأزمة المالية العالمية قد علمتنا بمخاطر أجندة هذه المؤسسات، وطالب العديد من المسؤولين في الدول الغربية بمراجعة سياسات هذه المؤسسات.

ضوابط النشر

حرصاً من إدارة مجلة (الوعي الإسلامي) على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقاً لما يلي من الشروط:

ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصاً في مجال كتابته وأن تؤهله ثقافته للكتابة في الموضوع الذي يتطرق إليه .
- أن يرسل صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية.
- أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.
- أن يكون العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف، والفاكس وضرورة إرسال البريد الالكتروني.

ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحاً فريداً يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- أن تكون الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تكون المراجع في هوامش المقال مشاراً إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- الالتزام التام بالأمانة العلمية.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تكون الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات مقرونة بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال منشوراً في الصحف والمجلات المطبوعة والالكترونية.

ملاحظة: المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

الوظيفة أمانة

إعداد : التحرير

لدى الرجوع إلى حكمة الله إذ خلق الناس ليبلوَهم في ظروف الحياة الدنيا، ثم يحاسبَهم ويَفْصلَ القضاء بينهم، ويجازيَهم في حياة أخرى، بعد برزخ فاصل بين الحياتين، يُلاحَظ أنّ الوظيفةَ في إداراتَ المجتمع الإسلاميّ فرْعٌ من فروع الأمانة العامّة التي عُرضت على النفوس الإنسانية، حين كانت في عالم الذّرّ.

لقد اعترف كلّ إنسان وهو في عالم الذّرّ لله عز وجل بربوبيّته، بعد أن أعطي الإرادة الحرّة، وقدرات الفهْم، وأعلمنا الله بهذا الاعتراف الذي نسيناه وبقيت في ذواتنا الفطرة العقلية والمشاعر الوجدانية التي تَهدينا إليه، فقال الله عز وجل في سورة الأعراف: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾.

وبعد الاعتراف لله عز وجل بربوبيته، عرض الله على الإنسان الواعي حمل أمانة الدين وشروطها ونتائجها.

وهذا العرض نفسُه عرضه الله على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملن الأمانة، لكن الإنسان استعدّ لحملها، طمعا بما في حملها من تشريف له وتكريم، وأملاً بالخلود السعيد في جنات النعيم.

وتتلخّص هذه الأمانة بأن يعْبر رحلة امتحانه وهو يملك الإرادة الحرة، وقدرات الإدراك والفهم، ونوازع الخير والشر، والأهواء والشهوات، على أن تُسخّر له بخلق الله الأشياء والقوى في ذات نفسه وجسده، وفي الكون من حوله، ليمتحن في ظروف حياة أولى، هي حياة دنيا، وتكون مادّة امتحانه الإيمان والإسلام والعبادة.

(بتصرف من كتاب: الموظف المسلم ومسؤولياته
للشيخ: عبدالرحمن حسن حبنّكة)

الأمانة الوظيفية

رشيد الحسن

إنّ حملًا ثقيلًا وواجبًا كبيرا وأمرا خطيرا عُرض على الكون سمائه وأرضه وجباله، فوجلت من حمله، وأبت القيام به، خوفًا من عذاب الله تعالى، وعُرضت هذه الأمانة على آدم عليه السلام، فحملها واستقلّ بها.

قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب:٧٢)، فمن لم يؤدّ الأمانة كان له من هذا الوصف- وصف الظلم والجهل- بحسبه، ومن قام بالأمانة فقد انتفى عنه هذا الوصف بإذن الله.

والأمانة في التعريف هي: خُلُق يعفّ به الإنسان عما ليس له به حق، ويؤدي ما عليه من الحقوق.

والأمانة كانت من أبرز صفات الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.. فنوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب عليهم السلام، كلٌّ منهم كان يقول لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾(سورة الشعراء).

ونبينا محمدٌ ﷺ كان يُعرف بالأمين قبل النبوّة، وكان حريصًا على تولية الأمناء؛ فقد قال لأهل نجران: «لأبعثن عليكم أمينًا حقّ أمين، فاستشرف له الناس، فبعث أبا عبيدة بنَ الجراح».

وقال ﷺ: «الخازن الأمين الذي يؤدي ما أُمر به طيبةً نفسه أحد المتصدّقين»

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة، وأشياء عدها.. وأشد ذلك الودائع.(صحيح الترغيب والترهيب)

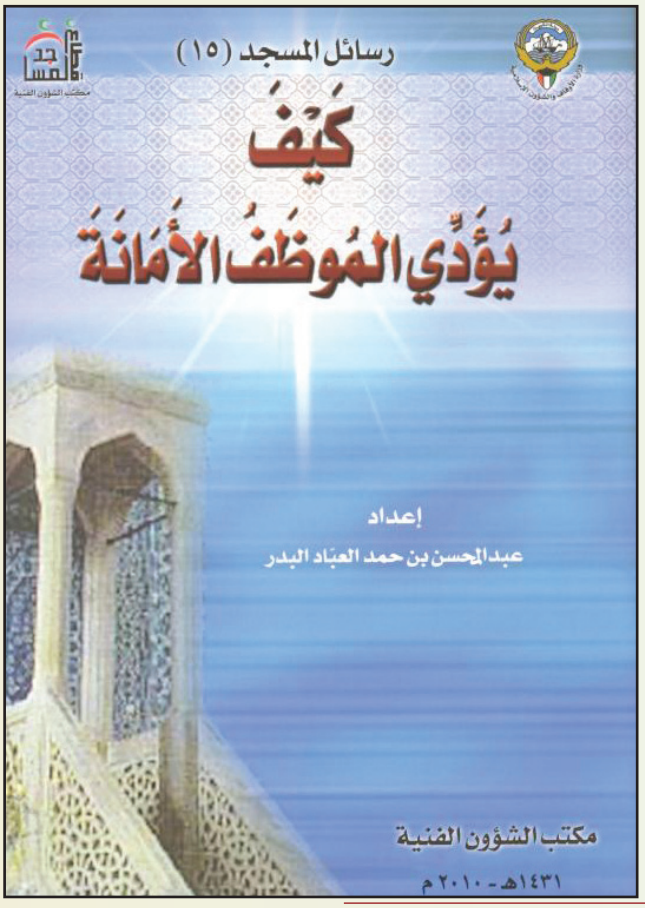

وتعتبر الوظيفة وأسرارُها أمانة عظيمة، ومن أعظم الأمانات وأجلّها شأنا وأعظمها قدرًا، والموظفُ مسؤول عنها أمام الله وأمام مسؤوليه بحفظ أسرار هذه الوظيفة، وعدم التفريط بهذه الأمانة، ولذلك لما طالب أبوذر الغفاري رضي الله عنه بوظيفة ردّ عليه النبي ﷺ فقال: «يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها»(مسلم).

أين هذا التوجيه من وضع الكثيرين ممن يتسابقون إلى الوظيفة دون أن يفكروا في تبعاتها ومسؤولياتها، والسؤال عنها يوم القيامة! بل أين هذا التوجيه عن كثير من الموظفين الذين يتهاونون فيها وفي أوقات عملهم في حين يفترض أن يقوم الموظف بواجبه خير قيام في نطاق ما حدد له من مهام!

ومن أبرز مظاهر التهاون والتسيب الوظيفي تأخرُ الموظف عن الدوام وخروجُه في أثنائه أو قبل انتهائه، وانشغالُه طوال

باحث شرعي

ساعاته بقراءة الصحف والحديث عبر الهاتف والمزاح مع الزملاء، وكذا خروجُه لإحضار أبنائه من المدارس، أو خروجُه لإنهاء بعض مصالحه وأعماله الشخصية، وغيرُها من السلوكات الوظيفية التي تدخل في إطار ما يسمى بالتسيب الوظيفي، ما يؤدي في نهاية الأمر إلى إهدار ساعات العمل وتعطيل مصالح الناس وخفض الإنتاجية وإغراق البلاد في الفساد وإهدار المال العام، كما يؤدي إلى تعطيل كثير من المشاريع أو تقديمها على نحو لا يتطابق مع المواصفات التي كان ينبغي أن تتقدم بها، وبالتالي يؤدي إلى غياب المساواة والعدالة بين

من أبرز مظاهر التهاون والتسيب الوظيفي تأخرُ الموظف عن الدوام

الموظفين وتعطيل المصلحة العامة، وإنفاق جزء كبير من رواتب الموظفين على غير مستحقيها.

ومن مظاهر تضييع الأمانة الوظيفية أيضًا أن يستغل الرجل منصبه الذي عين فيه لجرِ منفعة إلى شخصه أو قرابته، فإن التشبعَ من المال العام جريمة قال ﷺ: «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقًا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول» أبوداود، قال تعالى: ﴿ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ (آل عمران: ١٦١).

ولما سئل الشيخ محمد بن عثيمين- رحمه الله- عن تأخر البعض عن وظيفته نصف ساعة، أو يخرج من الدوام أيضًا قبل نصف ساعة، أجاب:الظاهر أنّ هذا لا يحتاج إلى جواب؛ لأنّ العوض يجب أن يكون في مقابل المعوض، فكما أنّ الموظفَ لا يرضى أن تُنقص الدولة من راتبه شيئًا، فكذلك يجب ألا ينقص من حق الدولة شيئًا.

حتى بلغ الحال بالشيخ أنه كان يفتي للمؤسسات المهنية بأنه إذا كان خروج الموظفين للصلاة في المسجد سيترتب عليه التفريط في حقوق العمل، فإنّ عليهم أن يصلوا في مقرات العمل، ومن ذلك مثلًا قوله في الشرح الممتع:

«بعض الموظفين لا يخافون الله، فإذا خرجوا إلى الصلاة خرجوا إلى بيوتهم، وربما لا يرجعون، ففي هذه الحال نقول: صلوا في مكانكم، لأن هذا أحفظُ للعمل وأقوم، والعمل تجب إقامته بمقتضى الالتزام والعهد».

من هنا فإني أقترح أن تكون هناك خدمة خاصة بالبريد للموظفين في كل دائرة حكومية، يقضي الموظف من خلالها كلّ معاملاته في كافة الدوائر دون الحاجة إلى خروجه من دوامه.

-وإذا احتج " البعض بأنه لا يوجد عمل أصًلا، لأنّ العمل قليل؟وأنه ربما يظل يومَه كاملا ولا يوقع إلا على ورقة أو ورقتين.

قلنا له: أنت مربوط بزمن لا بعمل، يعني قيل لك: هذا الراتب مقابل أن تحضر من وقت كذا إلى وقت كذا، سواء أكان هناك عمل أم لم يكن، فما دامت المكافأة مربوطةً بزمن، فلابد من أن يستوفى هذا الزمن، ولا يجوز لك أن تخرج حقيقة إلا بإذن لأنه قد يأتي- وأنا قد رأيت هذا بنفسي- في بعض الدوائر الحكومية، يأتيه المُراجع ربما في الأسبوع مرة أو

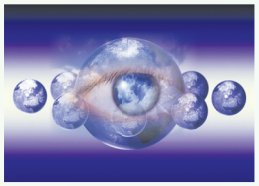

مرتين ولا يجده فيكون قد تكلف المراجع المجيء إلى هذه الدائرة ولم يجد هذا الشخص ولذا نقول: واجبا تبقى ولا يجوز لك أن تخرج إلا لشيء لابد منه.

– كما أنّ بعض الموظفين يتأخرون عن واجبهم ويخدعون أنفسهم حينما يحدثونها بأنّ هذه الأنظمة ليست أمورًا دينية، فيقولون لأنفسهم: هذه النظم ليست أمورًا دينية يجب علينا التمسك بها، أو يقولون: إنّ الأجرة أو الراتب الذي نأخذه هو من بيت المال، وهذه خدعة يغترون بها، أما قولهم:إنّ هذه النظم ليست أمورًا دينية فإنّ النظام إذا كان ولاة الأمور قد نظموه وهو لا يخالف الشريعة فإنّ الواجبَ على الرعية طاعتُهم فيه. وأما الراتبُ الذي تأخذه من بيت المال وتقولُ إنه أي: بيت المال حلال لكل أحد فإنّ هذا الراتب الذي تأخذه إنما تستحقه مقابل عمل، فإن قمت بالعمل كان الراتب حلالاً لك وإلا فما الذي يحله لك ويحرمه على الآخرين الذين ليسوا في وظيفة.

ثم إنّ هذه الأعمال عقودٌ ومواثيقُ قد وافقنا ووقعنا عليها، قال تعالى: «يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾(المائدة:١)، وقال النبي ﷺ: «المسلمون على شروطهم، إلا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما». ولأنّ الوظيفة أمانة متفرّعة عن الأمانة الكبرى التي تعني عبادة الله عزّ وجل وعمارة الكون لما فيه خيرُ الإنسانية، فإنّ من أبرز ملامح هذه الأمانة التي تودع لدى الموظف بمجرد التحاقه بالوظيفة العامة ما يلي:

– الالتزام بإنفاذ الحكم الشرعي، فالموظف فرد يقوم بعمل صالح لخدمة المجتمع، والمصلحة الأولى للمجتمع هي الالتزام بالحكم الشرعي الذي شرعه الله.

– أداء العمل بدقة وإخلاص ، فلا يستخدم الموظفُ وظيفته لتحقيق مصالحه الشخصية.

– الانضباط في وقت الدوام، لأنّ وقت الدوام ملكٌ لعمل الموظف وليس ملكًا له.

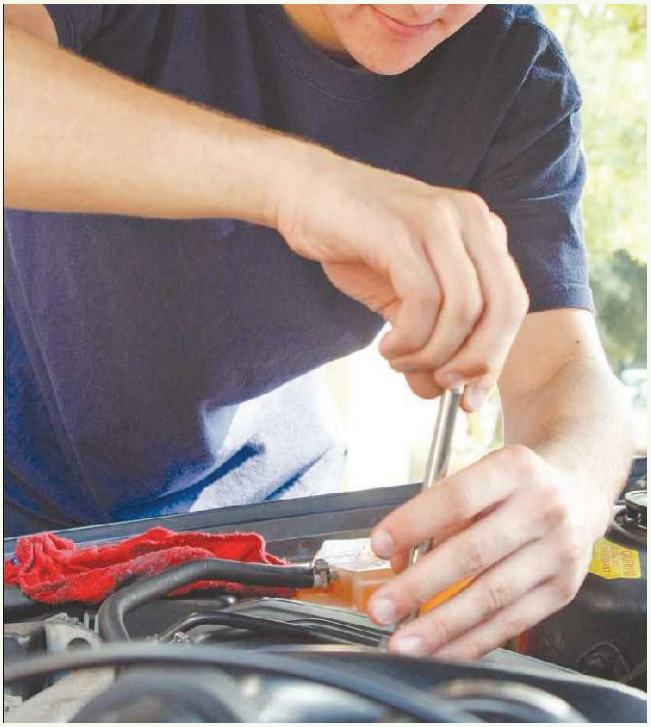

– التعامل الحضاري مع المراجعين، وذلك عن طريق حسن استقبالهم بالكلمة الطيبة وطلاقة الوجه، وأن يُشعر المراجعين بأنه لم يوجد في موقعه إلا لخدمتهم وتسهيل أمورهم، ودراسة معاملاتهم بالصدق والأمانة، وإفادتهم بما تنتهي إليه معاملاتهم بأسلوب إنساني.

ولقد صدمت حين قرأت عن بعض الموظفين الأخبار التالية:

– نظرت محكمة جنايات مدينة عربية، في قضية اختراق شرطيين قاما بالدخول إلى الشبكة المعلوماتية والنظام الإلكتروني وإلغاء مخالفات مرورية، حال كونهما موظفين يعملان في غرفة عمليات القيادة العامة للشرطة حيث طابقا الرقم العسكري مع الرقم السري وتمكنا من حذف مخالفات مرورية تقدر قيمتها بالآلاف.

ـــ وخبر ثانٍ يقول: إنّ موظفين في هيئة... كانوا يمضون ساعات طويلة يوميا مستخدمين كمبيوترات حكومية لتصفح المواقع الإباحية والتعري، في عملية إهمال كبيرة وإساءة للأمانة الوظيفية.

– وخبر ثالث يقول: قضت محكمة دولة عربية بحبس موظف ثلاثة أشهر، لتورطه في تسريب امتحانات نهاية العام الدراسي المنتهي، مستغلاً موقعه مسؤولاً عن طباعة الأسئلة وسحبها وتوزيعها على لجان الامتحانات.

أدرك أننا لسنا ملائكة، وأن الموظف العام هو إنسان مهما بلغت درجته الوظيفية، لكني أقول: «من أمن العقوبة أساء الأدب»، «ولو فكر الطائر في الذبح ما حام حول القمح».

والأمة ولله الحمد فيها الكثير من الرجال والنساء الذين يتقون الله ويراقبونه في أعمالهم الوظيفية مع أدائها بجودة وإتقان وأمانة، ويسعون لإنهاض هذه الأمة والرفع لمكانتها .اللهم وفقنا جميعًا لأداء الأمانة، وارحمنا من الإضاعة والخيانة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التراتيب الإدارية في عهد الفاروق رضي الله عنه

محمد بن سالم

إنَّ النُّظمَ الدولية قد تعدَّدتْ وتشعَّبتْ، وأصبحت مثارًا للجَدَل في المجامع الدولية، والمحافل الثقافية، وغدا كلُّ فريق ينتصر لمذْهبه، وقامتَ الدولُ لتفْرض على جماهيرها النُّظمَ والدَّساتير التي ورثتها عن الاستعمار، وكانت الدولُ المنتسبة إلى الإسلام في طليعة هذه الدول، ذلك أنها ابْتَعَدتْ عن المنهج الإسلامي، بل وأخذتْ تُحاربه، وتثير الشُّبَه حوله، وتتَّهمه بالجُمود، وعدم التمشِّي مع رُوح هذا العصر.

في هذه اللمْحة المقتضبة نعرض لبعض الجوانب التنظيميَّة الإدارية، في عهْد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي قال عنه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «كان إسلام عُمر فتْحًا، وهجرته نصْرًا، وإمارته رحْمة»، مؤكِّدين على جوانب الكمال في تلك السياسة الراشدة، قاصدين من ذلك إثْباتَ صلاحيتها لكلِّ زمان ومكان؛ ذلك أنها تنهل من مَعين التعاليم الإسلامية الرَّبَّانيَّة الخالدة، والتي تُعنَى بالحياة بكلِّ دقائقها وتفاصيلها.

أ - تقسيم عُمر للولايات، واختيار الولاة ومُتابعتهم:

عندما تولَّى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة، اتَّسَعَتْ في عهْده الدولةُ الإسلامية، وذلك بتوسُّع الفُتُوحات، حيث تَمَّ فتْح العِراق، وفارس، والشام، ومصر، فتطلَّب منه الوضْع الجديدُ أن يضعَ نظامًا إداريًّا حقيقيًّا، يُعينُه في إدارة الدَّولة الواسعة، والإشراف على تنْظيم مواردها، فعمل على تقسيم الدولة إلى ولايات، أهمها: «ولاية الأهْواز والبحرين- ولاية سجستان ومكران- ولاية طبرستان- ولاية خراسان - ولاية البصْرة- ولاية الكوفة- ولاية المَوْصل- ولاية حمْص- ولاية دمَشْق - ولاية فلَسْطين - ولاية مصر».

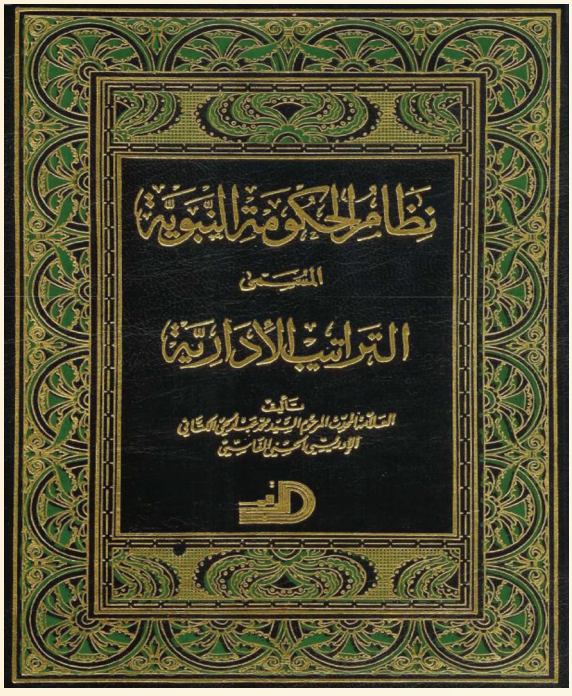

وكان عمر يختار لكلِّ إقليم واليًا، وكان يختارهم ممن يَتَوَسَّم فيهم الصلاح والمقْدرة على إدارة شؤون الولاية، والقيام بالمهام المُلقاة على عواتقهم، وكان من مهام الوالي: إمامة الناس في الصلاة، والقضاء بينهم بالحقِّ، وتقْسيم الغنائم والعُشُور، وجَمْع الزكاة والجِزْية والخَرَاج.

وكان عمر يوصي أولئك الوُلاةَ بحُسْن معامَلة الرعية، والرِّفْق بهم، وعدم تكْليفهم فوق طاقتهم، ويحملهم مسؤولية تطْبيق شرائع الإسلام وسُننه؛ فقال مُوَضِّحًا واجباتهم: «أيُّها الناس، إنِّي والله ما أرسل إليكم عمَّالاً ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أعْشاركم؛ ولكن أرسلهم ليعلِّموكم دينكم وسُننكم، فمَن فُعل به شيءٌ سوى ذلك، فليرفعه إليَّ، فوالَّذي نفس عمر بيده، لأقتصَّنَّ له منه».

وإذا كان عمر رضي الله عنه لا يرضيه ظُلْم العمَّال للرعية، فإنه كذلك يكْرَه أن يتطاوَل أحدٌ من الرَّعيَّة على العمَّال، «فهو حينما شكا إليه أهل الكوفة سعدَ بن أبي وقاص، وطَلَبَ وفْدٌ منهم عَزْلَه، قال: مَن يعذرني من أهل الكوفة؟ إن وليْتُهم التَّقيَّ ضعَّفوه، وإن وليتهم القوي فجَّروه، فقال له المُغيرة بن شُعبة: يا أمير المؤمنين، إنَّ التَّقيَّ الضعيف له تقْواه ولك ضعْفه، وإنَّ القويَّ الفاجر لك قوته وعليه فُجُوره، فقال عمر: صدقْتَ» وولاه الكوفة.

كان عمر رضي الله عنه يتابع ولاته متابَعةً دقيقة، تنمُّ عن حرْصٍ

كاتب موريتاني

على المصالح العامة للمسلمين، فكان إذا وفدتْ عليه وُفُود الحجيج، سألَهم عن أحوال أمرائهم وسيرتهم فيهم، فكان مما يقول لهم: «هل يعود مرْضاكم؟ هل يعول العبيد؟ كيف صنيعه بالضعيف؟ وهل يجلس على بابه؟ فإن قالوا لخصْلة منها: لا، عَزَلَهُ».

كما كان يسأل القُضاة ويستحلفهم عن مدى تطْبيق الوالي للعدْل.

كذلك كان لعمر مُفوَّضون رسميُّون يسافرُون إلى الأمصار، ويراجعون أعمال الوُلاة، وكان من أظهر هؤلاء المفتِّشين محمدُ بن سلمة، وهو رجلٌ حازم فائق الأمانة.

وحرصًا منه رضي الله عنه على استقرار الوُلاة، وعدم انشغالهم بأمْرٍ غير الولاية؛ فقد أجْرى عليهم مرتبات من شأنها أن تعينَهم على التَّفرُّغ لعَمَلهم المنوط بهم، ومثال ذلك: أنه أجْرى على عمار- والي الكوفة- ستمائة درهم، له ولكاتبه ومؤذِّنيه كلَّ شهر، وأجْرى على عثمان بن حنيف رُبع شاة وخمسة دراهم كل يوم، مع عطائه - وكان

خمسةَ آلاف درهم - وأجْرى على عبدالله بن مسعود مائة درهم في كل شهر وربع شاة كل يوم.

ب - القضاء في عهْد عمر:

أنزل الله القرآن على نبيِّه ﷺ متضمنًا الشرائعَ والأحكام، وقد كان النبي ﷺ هو الذي يتولَّى الفصل بين الناس، وتطبيق الحدود والأحكام، كما أنه استعان ببعض أصحابه في ذلك، فبعث معاذًا إلى اليمن قاضيًا ومعلِّمًا، وكذلك بعث عليًّا- رضي الله عنهما.

ولما تولَّى عمر بن الخطاب، وتوسَّعَت الدولة في عهْده، واختلط العربُ بسكان البلاد المفتوحة، وازدادَت القضايا في هذه الأمصار - تعذَّر على الخليفة النظرُ فيها، وكذلك الولاة، فعمل عمر بن الخطاب على فصل القضاء عن الولاية، وشرع في تعيين القضاة في البلاد المفتوحة، فولَّى أبا الدرداء قضاءَ المدينة، وشريحًا الكندي قضاء الكوفة، وعثمانَ بن أبي العاص قضاء مصر، وأبا موسى الأشعري قضاء البصرة. وقد أجرى عمر رضي الله عنه عليهم الرواتب، فجعل للقاضي سليمان بن ربيعة خمسمائة درهم في كل شهر، وجعل لشريح مائة درهم ومؤْنته من الحنطة.

وكان رضي الله عنه يتعهَّد الولاة بالنُّصح والمتابَعة، ولا أدلَّ على ذلك من كتابه لأبي موسى الأشعري، والذي يعتبر دستورًا يَسْترشد به كلُّ مَن ولي هذه المهمةَ العظيمة.ولولا خوفي من الإطالة، لعرجت على كتابه هذا، وذكرت تفاصيله، مستخلصًا من ذلك حرْصَه رضي الله عنه على إحقاق الحق، وإقامة العدل بين الناس، مما دفع القضاةَ إلى العمل على تنفيذ أحكام الله، دون أن تأخذهم في الله لومةُ لائم، مستندين في ذلك إلى الدستور العادل، الذي يخوِّل لهم التسويةَ بين الناس، فـ«الناس سواسية كأسنان المشط»، «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى». زد على ذلك ما كان يتمتَّع به القضاة من سلطات تنفيذية كاملة، تحت ظل الخلافة الإسلامية الراشدة.

جـ- الحسبة:

تَرد بعض الإشارات التاريخية إلى أن الحسبة نشأتْ منذ عهْد الرسول ﷺ فقد مارسها بنفسه، وفوَّضها أحيانًا إلى غيره، وتبعه من بعده الخلفاء الراشدون، ثم صارت بعد ذلك ولايةً من الولايات الدينية، ويرى بعضُ المؤرخين أنها نشأت في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، حيث وضع أُسسَها واختصاصاتها، وكان يقوم بها بنفسه، ثم أوكلها إلى رجل، أطلق عليه لقب «المحتسب».

وكانت مهمة المحتسب تتمثل في: مراعاة أحكام الشَّرع، وإقامة الشعائر الدينية، والمحافظة عليها، والنظر في أرباب البهائم، ومراقبة مَن يتصدَّر لتفسير القرآن الكريم، والنظر في الآداب العامة، وفي البيوع الفاسدة في السوق، والموازين والمكاييل.

وبالنظر في طبيعة تلك المهام، ندرك أن وظيفة الحسبة ومهامَّ المحتسب أشمل وأعمُّ مما تقوم به هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أيَّامنا هذه.

بل ويمكننا القول: إن

الحسبة في الصدر الأول للإسلام هي نواة لنشأة ما يعرف الآن بالشؤون البلدية والقروية، وأن أمانة المدينة المنورة هي أول بلدية في الإسلام، وذلك للتشابُه بين بعض مهام المحتسب سابقًا، وما تضطلع به البلدية اليوم من مهام.

د- تدوين الدواوين:

ترجع نشأة الدواوين إلى رواية أبي يوسف، التي تفيد أنه لما قدم أبو هريرة من البحرين ومعه خمسمائة ألف درهم، خطب عمر بن الخطاب الناسَ، وقال لهم: إنه قد جاء مال كثير، فإن شئتم أن نكيل لكم كلْنا، وإن شئتم أن نعدَّ لكم عَدَدْنَا، وإن شئتم أن نزن لكم وزنَّا لكم، فقال رجل من القوم: «يا أمير المؤمنين، دوِّن للناس دواوينَ يُعطون عليها، فدوَّن عمر الديوان».

ومن المعلوم أن عهْد عمر هو عهد الفُتُوحات، حيث كوَّن الجيوش، التي استطاع بها أن يفتح العراق وفارس والشام ومصر، ولضمان سير هذه الجيوش، وحرصًا على تجهيزها وتموينها؛ أنشأ ديوانَ الجند، الذي سجَّل فيه أسماء المقاتلين، ووجهتهم، ومقدار أعطياتهم وأرزاقهم.

وبسبب هذه الفتوح؛ فقد تدفَّقت الأموال على المسلمين، وكان لابد لهذه الأموال من نظام يتحكَّم فيها، وينظم توزيعها، ويحفظ ما زاد منها؛ لذلك بدأت التنظيمات الإسلامية تتبلْور؛ نتيجة الحاجة الماسَّة إليها، واتخذت نظمًا تنسجم مع واقع العرب والدين الإسلامي، فاستحدث ديوان بيت المال.

وظيفة الحسبة ومهام المحتسب أشمل وأعم مما تقوم به هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه الأيام

ومن هنا؛ ندرك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أول مَن وضع أُسُس التنظيم الإداري للدولة الإسلامية، بإدخاله نظامَ الدواوين، وقد عبَّر الماوردي عن أهمية خطوة عمر في استحداث الديوان؛ لكونه موضعًا لحفظ ما يتعلق بحقوق الدولة من الأعمال والأموال، ومن يقوم بها من الجيوش والعمال.

وقد اهتمَّ عمر بالأموال الواردة للدولة، وكان حريصًا جدًّا على المحافظة عليها، وإعطائها لمستحقيها، وقد كان يتعامل معها كما يتعامل والي اليتيم مع ماله، فلا يأخذ منه إلا كما يأخذ أدنى رجل من المسلمين، ومما يروى عن نزاهة عمر وترفُّعه عن المال العام: ما رواه معيقيب، الذي كان يتولَّى بيت المال لعمر: «أنه كسح بيت المال يومًا، فوجد فيه درهمًا، فدفعه إلى ابن لعمر، قال معيقيب: ثم انصرفتُ إلى بيتي، فإذا رسول عمر قد جاء يدعوني، فجئت، فإذا الدرهم في يده، فقال: ويحك يا معيقيب، أوجدتَ عليَّ في نفسك سببًا؟! أو مالي ومالك؟ فقلت: وما ذاك؟ قال: أردتَ أن تخاصمني أمَّةُ محمد ﷺ في هذا الدرهم يوم القيامة».

هـ- المركزية واللامركزية في الإدارة العمرية:

يمكن القول- بصفة عامة- أن المركزية تعني: قيام الحكومة المركزية وحدها بالوظيفة الإدارية، دون مشاطرة الهيئات الأخرى لها في ذلك.

وقد وصف أحد الكُتاب عهد عمر بن الخطاب بالمركزية في الإدارة، فقال: «لقد فرضتْ ظروف الدولة الإسلامية في عهد عمر أسلوبَ المركزية في الحكم؛ بل إن عمر قد سلك أسلوبًا مركزيًّا متطرِّفًا، لا نكاد نجد له مثيلاً في التاريخ».

ثم بعد أن أورد نصوصًا من كتب عمر بن الخطاب إلى قوَّاد الجيوش، ينصح لهم ويوجههم، قال: «ولم تقف هيمنة عمر في العاصمة على الأمور العسكرية، بل امتدَّت إلى الشؤون المدنيَّة، ومن ذلك استئذان المسلمين الخليفةَ في طريقة بناء المساكن في المدن الجديدة، وحرص الخليفة على أن يُحاط علمًا بأقاليم الدولة التي لم يذهب إليها».

وقد ردَّ عليه الدكتور القطب محمد طباية، بعد أن أوْرد أقواله تلك، في كتابه «نظام الإدارة في الإسلام»، فقال: «إنه إذا كانت كتب السيرة والتاريخ قد حفظتْ لنا مثل هذه الكتب، التي يوجِّه بها عمر عمَّاله وقُواده، ويتابع أعمالهم، فإنها قد حفظت لنا كذلك آثارًا يفوِّض فيها عمرُ الرأيَ لعمَّاله وقواده لكي يتصرفوا في مواجهة المواقف، بما تقتضيه هذه المواقف.

من ذلك قوله لمحمد بن سلمة: «إن أكمل الرجال رأيًا مَن إذا لم يكن عنده عهْد من صاحبه، عمل بالحزم، أو قال به»، وقوله لمعاوية بن أبي سفيان حين بيَّن له أسباب اتِّخاذه مظاهرَ الملك: «لا آمرك ولا أنهاك»، وردُّه على أبي عبيدة حين استشاره في دخول الدروب خلف العدو بقوله: «أنت الشاهد وأنا الغائب، وأنت بحضرة عدوِّك، وعيونُك يأتونك بالأخبار»، إلى غير ذلك من النصوص التي تدلُّ على أن عمر بن الخطاب كان ينتهج المنهج اللامركزي في الإدارة، وليس معنى ذلك أنه قد رفع يده كلية عن الولايات الأخرى؛ بل إن من حقه وواجبه الإشرافَ على هذه الولايات ومراقبتها في الحدود الشرعية».

ولعل ما ذهب إليه الدكتور طباية هو الصحيح، خصوصًا إذا عرفنا أنه من الصعب جدًّا الرجوع إلى الخليفة في كل صغيرة وكبيرة في دولة مترامية الأطراف، وفي زمن لم تتقدم فيه وسائل النقل والمواصلات، والله أعلم بالصواب.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحابته والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

الهوامش

١- الإدارة في الإسلام: رائد محمد منا العلي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
٢- دراسات في النظم العربية والإسلامية: د.توفيق سلطان اليوزبكي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، طبعة ثانية، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
٣- عمر بن الخطاب: عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربي، طبعة أولى، ١٩٧٨م.
٤- عمر بن الخطاب: محمد صبيح، دار الثقافة العامة.
٥- نظام الإدارة في الإسلام: د.القطب محمد القطب طباية، دار الفكر العربي، القاهرة، طبعة أولى، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

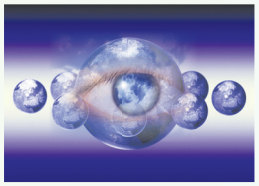

مُثل عليا في السلوك الإداري

الخضري عبدالمنعم

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم، فارفق به» (رواه مسلم).

كان للسلوك الإداري في العهد الأول للحكم الإسلامي أثر عظيم في إقامة الدولة على أساس متين يشد بعضه بعضًا، وأهم ما كان يتميز به السهر على مصالح الأمة، ورعاية العدل بين أبنائها، والقضاء على أسباب الفساد، لا فرق بين شريف ووضيع، وسرعة البت في الأمور حتى لا يستعصي علاجها بتواليها من غير حسم، والتحرر من الأثرة وحب الذات.

كان ذلك تطبيقًا أمينًا لقوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ (النحل: ٩٠)

وقوله: ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ (المائدة: ٨)، وقوله: ﴿كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ (الصف: ٣)، إلى غير ذلك من النصوص التي توجب العدل والإحسان، والمساواة بين أصحاب الحقوق في القضاء والعطاء والقصاص وصدق الكلمة والوفاء بالعهد.

الرسول ﷺ يوزع المسؤوليات على ذويها

الرسول ﷺ كان يوزع المسؤوليات على ذويها، ويحذرهم من التفريط فيها، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته» (متفق عليه)، وتراه يسوي بين الحاكم والمحكوم والشريف والوضيع في تنفيذ حدود الله، عن عائشة رضي الله عنها أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: «أتشفع في حد من حدود الله؟! ثم قام فاختطب ثم قال: «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» (متفق عليه).

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصور مسؤولية الحاكم

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه مصورًا مسؤولية الحاكم في أمته «إنما مثل العرب كمثل جمل أنف اتبع قائده، فلينظر قائده أين يقود؟ أما أنا فورب الكعبة لأحملنكم على الطريق» والجمل الأنف وهو الذي اشتكى من الحلقة التي ادخلت فيه لإخضاعه في القيادة، يقول الرسول ﷺ مشبهًا المؤمن به «...المؤمن كالجمل الأنف كلما قيد انقاد»، (وذلك للوجع الذي به، فهو ذلول منقاد).

وهكذا كان العرب في عهده أمة مطواعة، إذا أمرت ائتمرت وإذا نُهيت انتهت لما تعلمته من الآداب الإسلامية والأخلاق النبوية، وبما تركته فيهم عملية الزجر والردع من أبي بكر رضي الله عنه للمرتدين ومانعي الزكاة بعد الهزة الكبرى التي أصابت المسلمين لفراق رسول الله ﷺ، والمقصود من كلام الفاروق رضي الله عنه، ان قائد الأمة المطيعة مسؤول أعظم مسؤولية عن سلامة أمته ورخائها وطمأنينتها على مستقبلها، فعليه أن يسوسها برفق وأن يقودها إلى سبيل الأمن والعزة والكرامة والطمأنينة على مصالحها، بما يعد لها من أسباب القوة والمنعة التي ترهب العدو وتردعه، وتضمن لها السلامة من كيد الكائدين، ومكر الماكرين، ومسؤول عمن يختارهم لها من الحكام القادرين الصابرين المستيقظين الحريصين على مصالحها، الباطشين بمن يعبث بها، ولم يكتف أمير المؤمنين بذلك، بل أقسم على أن يحمل الأمة العربية على الطريق الأقوى الذي لا عوج فيه، ولا عثرات يصعب التغلب عليها، وقد بر بقسمه رضي الله عنه فقد قاد الأمة العربية قيادة حكيمة أمينة فأطاعته وأخلصت له، وتوسعت جيوشها في عهده في الفتوحات شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبا، حتى اتسعت رقعة البلاد المستظلة بظل الإسلام، الناعمة بأمنه وسلامه، الناطقة بوحدانية الرحمن الرحيم، المؤمنة بشرعية القرآن السالكة منهاجه المستقيم، كذلك يفعل القائد لأمته العظيمة.

إسناد الوظائف الإدارية

وهو ما يعبر عنه بـ «وضع الرجل المناسب في المكان المناسب» وكان النبي الكريم ﷺ لا يسند الوظائف الإدارية، على اختلاف مستوياتها وتخصصاتها، إلا لمن تثبت قدراتهم الإدارية، وملكاتهم الذهنية وخبراتهم المكتسبة، وصفاتهم الأخلاقية حتى يتسنى لهم النهوض بما يناط بهم من الأعمال، وكان ينهى عن إسناد هذه المناصب إلى من يشك في قدرتهم من الرجال، ويروى أن رجلاً سأله، متى تقوم الساعة فقال له: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة. قال: وكيف اضاعتها؟ قال: إذا وُسِّد الأمر لغير أهله، فانتظر الساعة».

كاتب مصري

كما نهى ﷺ عن اتخاذ العواطف والروابط الشخصية، معيارًا للاستحقاق في شغل المناصب فقال: «عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعمل رجلا من عصابة- أي اختار رجلا لعمل عام أو شارك في اختياره- وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» (الجامع الصغير: ج ٢ ص ٢٧٨).

وطلب أبوذر الغفاري من الرسول ﷺ يومًا أن يعينه واليا على إحدى الولايات، فوجده الرسول ﷺ غير مستوف للشروط الخاصة بهذه الولاية أو أن هناك من هو أحق منه بها فأبى عليه ذلك، وقال له: «يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها إمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها» (رواه مسلم).

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في معيار الاختيار لشغل المناصب، أو للترقي إلى المناصب الأعلى: «الرجل وقدمه، والرجل وبلاؤه» كما يقول الإمام علي رضي الله عنه «قيمة كل امرئ ما يُحسن» ويرى الماوردي في كتاب «أدب الوزير» أن نجاح العمل الإداري لا يتوقف على كثرة من يعهد إليهم بأدائه، بل يتوقف على صلاحية من يختار لهذا الاداء فيقول: «أن رجاء- أيّ نجاح- الأعمال ليس بكثرة الأعوان، ولكن بصالحي الإخوان».

ثم يقول: «الوجه الذي يستقيم تدبير الوزير في أمرهم- يقصد عماله- من قد عرف أن له من الرأي والقوة، ما يحتاج إليه»، إلى أن يقول: «اقتصر من الأعوان بحسب

رعاية العدل والقضاء على أسباب الفساد والسهر على مصالح الأمة من عوامل إقامة الدولة على أساس متين

حاجتك إليهم، ولا تستكثر منهم لتكثر بهم، فلن يخلو الاستكثار من تنافر يقع به الخلل، أو ارتفاق يتشاكل به العمل، وليكن أعوانك وفق عملك، فإنه أنظم للشمل، وأجمع للعمل، وأبعث على النصح» ويطابق ذلك القول مبدأ من أهم المبادئ في الإدارة، ويقصد به تقدير احتياجات الأجهزة الإدارية من العاملين على اختلاف تخصصاتهم ومستوياتهم الوظيفية في ضوء القياس العملي لحجم العمل في الجهاز، ومعدلات الأداء.

ضغط الانفاق وعدم الإسراف

حرص الخلفاء وغيرهم من الحكام المسلمين على تجنب الإسراف في الانفاق من مال الدولة، حتى إن عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه، كان يحث على الكتابة بأقلام دقيقة، لتصغير المساحات التي تشغلها الكتابة، للاقتصاد فيما يستهلك من صحائف الكتابة ومن المداد، فقد كتب إلى عماله يقول: «إذا كتبتم فأرقوا الأقلام، وأقلوا الكلام، واقتصروا على المعاني، وقاربوا بين الحروف، واكتفوا من القراطيس- أي صحائف الكتابة- بالقليل»، وحدث أن قيل له: «ما بال هذه الطوامير - وهو نوع فسيح من صحائف الكتابة- التي تكتب بالقلم الجليل ويمد فيها، وهي من بيت مال المسلمين»، فكتب إلى العمال «لا تكتبوا في طومار، ولا يمد فيه»، وكان جعفر بن يحيى رضي الله عنه يقول لكتابه: «إن استطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا»، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يأخذ من بيت المال إلا قوته وقوت عياله، وكسوته وكسوتهم للشتاء والصيف، ودابتين لجهاده وحوائجه وصلاته وحجه، هذا بالنسبة لنفسه، أما عماله، فكان يرى أن الراتب حق لكل منهم، يأخذه لو كان غنيا، ثم يتصدق به إذا شاء، وكان يرزق العامل منهم بحسب حاجته، والبلد الذي يعيش فيه، وقد شرح الماوردي تقدير العطاء للجند بقوله: «إن تقدير العطاء يعتبر بالكفاية، أي بما يكفي الشخص جميع طلباته... وأن الكفاية معتبرة من ثلاثة أوجه: أحدها عدد من يعول من الذراري والمماليك، والثاني عدد ما يرتبطه من الخيل والدواب، والثالث الموضع الذي يحله من حيث الغلاء والرخص».

المحاسبة على الكسب غير المشروع

كان النبي ﷺ يستوفي الحساب على عماله، ويحاسبهم على ما جمعوه من زكاة وغيرها، وما أنفقوه، فقد روي البخاري في صحيحه عن أبي حميد الساعدي، أن رسول الله ﷺ بعث واليًا على صدقات الأزد، فلماجاء إلى رسول الله ﷺ أمسك بعض ما معه وقال: هذا لكم وهذا لي هدية، فقال ﷺ «ألا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقًا؟»، ثم قال: «ما لي أستعمل الرجل منكم فيقول: هذا لكم وهذا لي هدية؟ ألا جلس في بيت أمه ليهدى له؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ منكم أحد شيئًا بغير حق إلا أتي الله يحمله، فلا يأتين أحدكم ببعير له رغاء، أوبقرة لها خوار، أو شاة تيعر (تصيح) ثم رفع يديه حتى رئي بياض إبطيه ثم قال: «اللهم هل بلغت»؟ هذا منهاج من مناهج الحق والعدل التي سارت عليها الدولة الإسلامية في فجر نشأتها، فعز بها شأنها، وانتظم كل شيء فيها، وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يقبل من بعض عماله، دعواهم أنهم ربحوا من التجارة، وقال لهم: «إنا بعثناكم ولاة، ولم نبعثكم تجارًا».

وعلم أن عمرو بن العاص رضي الله عنه - عامله على مصر- كثرت أمواله ومتاعه وعبيده وخيله، ولم تكن له تلك الثروة حين ولاه مصر، فسأل عن ذلك فذكر أن ثروته من التجارة بمصر، فلم يقتنع عمر رضي الله عنه، وأودع ما زاد من ماله في بيت المال، ومر ببناء يبنى بحجارة وجص في المدينة فسأل: لمن هذا؟ فذكروا له أبا هريرة رضي الله عنه عامله على البحرين، فلما ناقشه في مصدر ثروته قال إن خيله تناسلت، وسهامه تلاحقت، وأنه اتجر، فقال له: «لا يحل لوال أن يتجر في سلطانه» أي في نطاق اختصاصه الوظيفي، ثم قال له «انظر رأس مالك ورزقك- أي راتبك- فخذه واجعل ما عدا ذلك في بيت المال» وكذلك فعل مع عماله في ولايات أخرى.

فمتى نعود إلى ينابيع ديننا الحنيف لنرتوي منها ونقوى بها على أعدائنا.

المراجع

١-الأحكام السلطانية للماوردي.

٢- مجلة منار الإسلام الإماراتية العدد ٧٦.

الخبير الإداري والمدرب عادل الجمل للوعي الإسلامي:

القيادة الإدارية الناجحة يسبقها التكليف قبل التشريف والعشوائية وراء فشلها

حوار: منير أديب

يعاني العالم الإسلامي من سوء استغلال القيادة وسوء التعامل مع الوظائف وبالتالي تغيب المفاهيم والمعايير الضابطة لايقاع العمل، فمتى تطلب الوظيفة أو القيادة؟ ومتى تكون تكليفا لا تشريفا؟ ومتى يطلق على صاحبها لفظ سارق أو مختلس؟ كلها تساؤلات حاورنا فيها عادل الجمل الخبير الإداري والتربوي والمتخصص في علم التنمية البشرية والمدرب لعلوم التنمية الإدارية، فإلى نص الحوار:

■ متى تكون القيادة تكليفا ومتى تصبح تشريفا، وما هي التبعات إذا ما اعتبرها القائد تشريفا؟

– تعرف القيادة على أنها المنزلة أو المكانة التي من خلالها يقوم القائد او المدير بتحريك مجموعة من الافراد والتاثير فيهم وتوجيههم نحو تحقيق الأهداف، وهي المهمة التي لابد أن تتوافر في القائد أو المدير باعتبارها أهم مؤهلاته وهي إحدى أهم الصفات الرئيسية في الشخصية القائدة والفنية والوظيفية المطلوبة لها، ليتحقق النجاح والاستمرار للمؤسسة او الشركة التي يقودها.

لذلك فانه لابد من وجود منهجية في عملية الاختيار للمناصب والمراكز القيادية تقدم المصلحة العامة على المصالح الخاصة والمنافع الشخصية المحدودة، كما تقدم المهارة والكفاءة على الواسطة والمعرفة والقرابة.

وحين تغيب تلك المنهجية وتحل محلها العشوائية والفوضى في الاختيار ويصل الى المناصب القيادية القائد غير الكفؤ وغير المؤهل فان الكوارث تحل على المنصب الذي يشغله وعلى الافراد الذين يقودهم وعلى المؤسسة التي يديرها.

والمنهجية ايضا تعني وضع اسس للاختيار يتم على اساسها المفاضلة بين شخصين او اكثر لاختيار من هو اصلح للقيادة، وبعد الاختيار يتم الاختبار ثم التكليف، ومن هنا نقول للذي تم اختياره وتكليفه أعانك الله.

المختلس من يشغل وظيفة ليس أهلا لها ولا فرق بينه وبين من يختلس أو يسرق المال

وامـا التطلع الى القيادة وطلبها بدون ان تتوافر في طالبها الشروط والمؤهلات المطلوبة ولا يملك ما يقدمه سوى طلب الرفعة والمنزلة والشرف، فيعتبر دربا من دروب التهريج وضياع للمسؤولية. وشتان بين تطبيق المنهجية في الاختيار وبين تجاهلها، والمسافة بين الامرين تسع مابين الخافقين، وهي نفس المسافة مابين التكليف والتشريف.. ما بين ان يطلب المرء لمهمة وهو أهل لها، وما بين ان يطلب المرء مهمة وهو ليس اهلا لها.

ولقد كان رد النبي ﷺ واضحا وصريحا ومهذبا حينما ساله صاحبه ابوذر رضي الله عنه ان يستعمله فى احد المناصب القيادية فقال له «يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها» (صحيح الجامع)

■ إذن كيف يتحول القائد بوظيفته إلى خدمة الناس فيتحسس من خلالها مواطن التكليف لا التشريف؟

– في الحقيقة إن المناصب القيادية تتعدد وتتنوع وتختلف باختلاف وتنوع مجالات الحياة؛ فالمنصب القيادي في المؤسسة الاقتصادية يختلف عن مثيله سواء في المؤسسات السياسية

أو العسكرية أو الاجتماعية أو الخدمية، ولكل راع رعيته، كما يقول النبي ﷺ في الصحيح: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته؛ الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته».

وذلك كله يحكمه الوصف الوظيفي لكل وظيفة قيادية، من هنا فان القائد الذي ينجح في مجال تقديم الخدمات للناس، والسهر على أمنهم، وتحقيق مصالحهم، وتطوير معيشتهم، وتحسين أحوالهم، وحل كافة مشاكلهم، فتظهر له ثمرة أدائه وانجازه فينال الرضى والتكريم والاستحسان لقيامه بأداء التكليف، من الممكن أن يحدث له الشرف في الدنيا والآخرة، فالتشريف هنا هو لم يطلبه ولم يسع إليه بل أتاه التشريف لقيامه بالتكليف، فالتشريف جاء أثرا للتكليف وليس العكس.

■ ومتى يصبح صراع التكليف والتشريف صحيا لدى القائد الناجح، ومتى يطلب المرء «الولاية» لنفسه كما طلبها سيدنا يوسف كما أخبر القرآن الكريم ﴿قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ (يوسف: ٥٥)

– المسؤولية وتقديم التشريف يعد عيبا في النفس، وإساءة إلى الذات والى الناس، وأما ما كان من سيدنا يوسف عليه السلام حين كان فى بيئة

الأمانة الوظيفية وراء متطلبات العمل الناجح ومنهجية الوظيفة أحد أسباب النجاح

اختلت فيها الموازين ووسد الامر الى غير اهله فقال ذلك، فليس ذلك لشيء في نفسه (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) غير انه صاحب تفسير رؤيا الملك، بل وواضع خطة طويلة المدى لمواجهة الكارثة تمتد حتى خمسة عشر عاما، ومن ثم فليس هناك اولى ولا آمن منه على الاقتصاد ولا أحفظ منه للمخزون ولا أعلم منه بكيفية تطبيق خطته.

■ ما هي متطلبات الأمانة الوظيفية من وجهة نظركم؟

– كما انه لابد من وجود الأمانة عند الاختيار للوظيفة فانه لابد من توفر الامانة عند الأداء وهذا يقتضي من الموظف او القائد باعتباره موظفا عاما ومكلفا بأداء وظيفة معينة، حسن الأداء لانه بقبوله تحمل المسؤولية التي كلف بها بمقابل او بدون مقابل فانه بذلك يعتبر حاملا للامانة في عنقه والمطلوب منه ان يؤديها باتقان وألا يهمل او يتهاون في أدائها؛ لأن التهاون في ادائها ضياع لمصالح الناس واهدار لحقوقهم، ويعد ذلك خيانة وهو تعبير شديد الوقع وذلك لما يترتب عليه من اضرار جسيمة، كما يقول الله تعالى فى محكم كتابه: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾ (الأنفال: ٢٧).

وتعد المعرفة التامة بمتطلبات وشروط ومواصفات اداء الوظيفة والقيام على تحقيقها من اهم متطلبات الامانة الوظيفية، فهما شقان لابد منهما؛ شق معرفي وشق ادائي ومهاري، لأن عدم المعرفة والجهل بشروط ومتطلبات ومواصفات الوظيفة يؤدي الى قصور وخلل في الأداء، كما أن التقصير في الأداء الوظيفي ضياع وإهدار للأمانة.

■ وكيف يمكن تعميم هذه الأمانة على الرؤساء والمرؤوسين؟

– في المدى المنظور فان المعرفة والتعليم بين الرؤساء والمرؤوسين الى جانب اشاعة مناخ وثقافة الأمانة في الأداء الوظيفي تعتبر من اهم وسائل التعميم، غير انه تقع مسؤولية كبرى على الرؤساء بوجه عام في اشاعة جو ومناخ الممارسة الامينة عن طريق القدوة، فعين الموظف دائما على رئيسه وكما يقولون: «عمل رجل في الف رجل خير من قول الف رجل لرجل»، وكذلك قولهم: «الاعمال اعلى صوتا من الاقوال».

مما يوجب على القيادة ان تكون مثالا يحتذى به في

القاعدة الذهبية للعمل الناجح «عمل رجل في ألف رجل خير من قول ألف رجل لرجل»

الامانة والجدية والالتزام.

اما على المدى البعيد فان الامانة بكل معانيها وكافة مجالاتها تحتاج الى ان تغرس كقيمة مهمة في النشء وان يتربى عليها ويتشبع بها.

■ متى يقبل الموظف أو القائد «وظيفة» أو «مهمة» ومتى يرفضها عملا بأن القيادة في الأساس تكليف وليست تشريفا؟

– الوظائف او المهام هي في حد ذاتها اعباء ومسؤوليات، واستشعار المسؤول او القائد انه سوف يسأل عن تلك الاعباء والمهام سواء في الدنيا او بين يدي الله يجعله يتردد مرات ومرات قبل ان يقبل المهمة.

واصحاب المسؤولية الذين يناط بهم تسيير امور الناس وادارة شؤونهم، أمام امتحان صعب وسيحاسبون حسابا خاصا بين يدي الله يتناسب وحجم مناصبهم ووظائفهم كما يقول النبي ﷺ: «ما من إمام ولا وال بات ليلة سوداء غاشا لرعيته إلاحرم الله عليه الجنة» (المنذري في الترغيب والترهيب).

«ما من أمير عشيرة الا وهو يؤتى به يوم القيامة مغلولا حتى يفكه العدل او يوبقه الجور» (حسنه الذهبي).

فان رأى الموظف نفسه قادرا ومؤهلا لحمل المسؤولية والقيام عليها وادائها وتحمل كافة اعبائها وتبعاتها، هنا يجب عليه قبولها، والا فالاعتذار اولى واسلم واشرف له الف مرة من قبول منصب او مهمة قد يتسبب من خلالها في ضياع حقوق الناس وانتشار الفساد والظلم والاستبداد.

■ ومتى يمكن إطلاق لفظ «مختلس» على القائد الذي يطلب القيادة لنفسه؟

– من هذا المنظور يبدو من يحاول الوصول الى المناصب وخاصة القيادية منها بطرق غير مشروعة كالرشوة والمحسوبية والتسلق والنفاق، بجهل او بعلم ومعرفة، كالسارق الاحمق، وتعبير مختلس في حد ذاته يعكس حالة صاحبه من العمل في الخفاء للحصول على ما ليس من حقه.

ومن الممكن قياس كفاءة واداء أي موظف او مسؤول او قائد اما عن طريق الاجهزة الرقابية، أو من خلال من هو اعلى منه، او من خلال المؤشرات والنتائج، فإذا تبين ان اداءه ضعيف او سيئ او غير مناسب، ووصف بعدم الاهلية وجب عزله من منصبه وتولية من هو اولى واكفأ منه.

■ ما هي الوسائط التي يمكن من خلالها إطلاق لفظ جريمة اختلاس على الوظيفة العامة والخاصة في الفقه الإسلامي؟

– إذا وسد الأمر لغير أهله، فإذا شغل رجل وظيفة ولم يكن أهلا لها فقد ارتكب جريمة الاختلاس، والاختلاس المعنوي لا يقل بحال من الأحوال عن الاختلاس المادي العيني.

■ هل هناك مراحل للتأهيل الوظيفي على القائد أن يكتسبها ولابد أن تسبق طلب الوظيفة والولاية، وفي حال بلغ المرء هذه المراحل هل يمكنه أن يطلب لنفسه الوظيفة بغض النظر عن فهم الآخرين له على أنها تكليف لا تشريف؟

– الأمر دون تعقيد، إذا شغل المرء وظيفة وكان أهلا لها وعمل من أجلها جزاه الله بها خيرا، وإن لم يكن أهلا لها فحتما سوف يجازيه الله عليها، ولكل وظيفة مراحل من التأهيل الوظيفي لابد أن يكتسبها ولا مانع أن يطلب الرجل القيادة لنفسه إذا وجد نفسه قادرا على القيام بمهامها.

إتقان العمل في الإسلام

أشرف شعبان

في سياق حديث الإسلام عن إتقان العمل لم يجعله أمرًا دنيويًا تبغى منه منفعة دنيوية عاجلة فحسب، بل جعله أمرًا تعبديًا، يتقرب به العباد إلى رب العباد، قال رسول الله ﷺ «إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» (البيهقي).

روى أحد الصحابة، أن رسول الله ﷺ، شهد جنازة، وانتهى بها إلى القبر، ثم قال ﷺ: «سووا لحد هذا» حتى ظن الناس أنه سنة، فالتفت إليهم قائلًا: «أما إن هذا لا ينفع الميت ولا يضره ولكن الله يحب من العامل إذا عمل أن يحسن» (رواه البيهقي)، أي إنه قد أمر بالإتقان في هذا الموضع الذي لا يضر الميت فيه سقوط التراب عليه، إذ ما ضر الشاة سلخها بعد ذبحها، ولكنه التوجيه إلى إتقان العمل وإجادته، فإذا كان هذا في القبر وحال الموت، فهو في غيرهما أولى وأجدر، ولو دققنا في ألفاظ هذا الحديث الشريف لوجدنا في قوله «عملا»، هكذا دون تعريف ولا تحديد لنوع العمل، إيحاء بأن الله تعالى يحب أن يكون الإتقان سلوكًا عامًا للمؤمن، في كل أعماله، أيا كانت أعماله هذه، فهو يحسن القيام بمهنته وعباداته ومعاملاته، وهذا ما تؤكده الأحاديث النبوية والآيات القرآنية، كقوله ﷺ «إن الله كتب الإحسان على كل شيء» (رواه مسلم)، وقول الله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ (التين: ٤)، وقوله تعالى: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾ (السجدة: ٧). ويشير القرآن الكريم إلى أن الله عز وجل أتقن كل شيء، قال تعالى: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون﴾ (النمل: ٨٨)، فصفة الإتقان، وصف الله تعالى بها نفسه لتنقل إلى عباده، كما يقدم لنا القرآن الكريم مثلًا لإتقان العمل، يوضح فيه أن جهد العمال، واستخدام الأدوات، وصهر الحديد، وصب النحاس المذاب عليه، أدى إلى إقامة سد صلب منيع، بلغ من إتقانه أنه صد الأعداء عن البلاد، فلم يستطيعوا أن يتسلقوا السد لارتفاعه، ولا أن يثقبوه لصلابته، قال تعالى: ﴿قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجًا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا. قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردمًا آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارًا قال آتوني أفرغ عليه قطرًا. فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا﴾ (الكهف: ٩٤-٩٧)، ومعنى هذا أن المسلم مكلف ومطالب قبل غيره بإتقان جميع ما يصدر عنه من أقوال وأفعال، في كل عمل تعبدي أو سلوكي أو معاشي، لأن الله تعالى يحب ذلك، ولأن كل عمل يقوم به المسلم، سواء كان عملاً للدنيا أم للآخرة، لكي يكون عملاً مقبولا عند الله يجازي عليه، لابد أن يكون بنية العبادة لله وحده، قال تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣)، ولا تصح عبادة لله دون إتقان، كما أن إتقان العمل عبادة مستقلة عن العمل، فالمسلم يعمل العمل من أمور الآخرة أو الدنيا، مما ليس فيه معصية لله تعالى، بنية صالحة فيثاب على ذلك، لأن ذلك عبادة، فإن أدى ذلك العمل

إتقان العمل في مختلف مجالات الحياة محصلة التقدم والتطور التي تعيشه الشعوب المتقدمة

كاتب صحافي

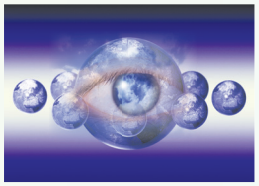

على أكمل وخير وجه، كان ذلك عملاً إضافيًّا، له أجره المستقل.

وكثير من السلبيات التي نراها في مجتمعاتنا ترجع إلى عدم قيام بعضنا بعمله على الوجه المطلوب منه، فعدم إتقان العمل يؤدي إلى إلحاق الضرر بالعامل نفسه، لأنه سيؤدي إلى زعزعة الثقة في عمله، وفي تقييم أجره على أساس عمله الهابط، ويؤدي كذلك إلى إلحاق الضرر بصاحب العمل، لأنه يدفع أجرًا لا يقابله عمل متقن، كما يؤدي إلى انصراف المتعاملين معه عن خدماته أو إنتاجه، وقد يمتد الضرر للوطن كله، فإذا كان الإنتاج عبارة عن سلع قابلة للتصدير، وكانت غير متقنة، انصرف عنها المستوردون، وبحثوا عن أسواق أخرى لاستيراد السلع منها، وإذا عم عدم الإتقان سائر الحرف وسائر أبناء المجتمع، ستكون النتيجة فقدان الثقة والاحترام بين أبناء هذا المجتمع، وانتشار الكذب والخداع بينهم، وتجرأ بعضهم على بعض بالسب والشتم وربما الدعاء بالشر، كما أن غش المسلم لأخيه في بضاعة أو عمل يدخله في دائرة قوله ﷺ «من غشنا فليس منا» (صححه الألباني)، أما إذا حاول كل واحد منا أن يتقن عمله وأن يحسن مستواه، فإن نتيجة ذلك ارتقاء الموظف في وظيفته، واكتساب الطبيب أو المعلم سمعة طيبة بين الناس، ومازال بعض الصناع يتقنون صناعتهم حتى كسبوا ثقة الناس وثناءهم في بلدهم ثم خارجها، وإتقان

أد عملك بإتقان وأحسن القيام بما أسند إليك من مهام وإن غفل عنك المسؤولون

العمل في مختلف مجالات الحياة، السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية وفي جميع المجالات، محصلته التقدم والتطور الذي تعيشه الشعوب المتقدمة، فلا يمكن لأمة أن تتطور أو تتقدم إلا إذا سادت في أجوائها قيمة الإتقان في العمل، ومن دون هذه القيمة لا يمكن لها أن تتزحزح ولو قيد أنملة عما هي فيه من تخلف، قال تعالى: ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾ (الإسراء: ٧)، وقال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ (الكهف: ٣٠)، والأجر كما يقول المفسرون أجران، أجر في الدنيا وأجر في الآخرة، وقال تعالى: ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون﴾ (الجاثية: ١٥).

ويقصد بإتقان العمل مجموعة أمور منها: إحكام أدائه دون خلل فيه، بحيث يكون مستوفيا للمواصفات المطلوبة، والالتزام بمتطلبات ذلك العمل من التقيد بالضوابط والتقنيات المنصوص عليها والمعترف بها في كل أمر، وأداؤه في الوقت المحدد دون تأخير، وبذل الجهد والوقت من أجل إخراجه في أفضل صورة ممكنة، والتفكير في تطوير ذلك العمل حتى لا يبقى العمل ضمن مستوى جامد، ومن قبل ومن بعد التوكل على الله تعالى، والدعاء بالتوفيق والسداد، والعبرة ليس بأكثرنا عملاً وإنما بأحسننا عملاً، فليس المعيار هو الكم، بل الكيف هو المهم، ومن لا يحسن لا يحمد، وقيمة كل امرئ فيما يحسن، وهناك علاقة بين الإتقان والإحسان، فالإتقان عمل يتعلق بالمهارات التي يكتسبها الإنسان، بينما الإحسان قوة داخلية تتربى في كيان المسلم، وتتعلق في ضميره، وتترجم إلى مهارة يدوية أيضا، فالإحسان أشمل وأعم دلالة من الإتقان، ولذلك كان هو المصطلح الذي ركز عليه القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ (النحل: ٩٠)، وقد وردت كلمة الإحسان بمشتقاتها المختلفة مرات كثيرة في القرآن الكريم، منها ما ورد بصيغة المصدر اثنتي عشرة مرة، بينما وردت كلمة المحسنين ثلاثا وثلاثين مرة، وبصيغ اسم الفاعل أربع مرات، واللافت للنظر أنها لم ترد بصيغة الأمر إلا مرة واحدة للجماعة، قال تعالى: ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ (البقرة: ١٩٥) والإحسان ذو جانبين، أولهما علم الحسن أو الأحسن، ثانيهما الشعور أثناء العمل بأن الله يرانا أو كأننا نراه، وهذا هو تعريف الرسول ﷺ للإحسان بأن «تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (البخاري)، فالعامل المخلص المتقن بجانب إنه هو ذلك الإنسان الحاذق لصنعته وحرفته، والذي يقوم بما يسند إليه من أعمال ووظائف بإحكام وإجادة تامة، فهو المراقب الدائم لله في عمله، الحريص على نيل مرضاة الله من وراء عمله، وهذا النوع من العمال والموظفين لا يحتاج إلى الرقابة البشرية، والبون شاسع بين من يعمل خوفًا من إنسان يغيب عنه أكثر مما يحضر، وخداعه ما أيسره، وبين آخر يعمل تحت رقابة من لا يغيب عنه لحظة، ومن لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، ومجتمعاتنا الإسلامية في تعطش وظمأ لهذا النوع من العمال والموظفين المخلصين المتقنين لأعمالهم، لكي تنهض من كبوتها وتتقدم من تخلفها، وتصير كما كانت في سالف عهدها، خير أمة قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت

للناس﴾ (آل عمران: ١١٠)، وإتقان العمل غير الحرص على الدنيا الذي نهى عنه رسول الله ﷺ في أحاديث أخرى، وإذا كان حديثنا عن الإتقان قد عم الأعمال كلها، فللعبادات خصوصية في الإتقان، فالصلاة لابد من إتقانها حتى تقبل، ويكون لها أثر على الإنسان، وذلك في كل مرحلة من مراحلها، وقبل الصلاح يحتاج الإنسان إلى إحسان الوضوء والطهارة، قال ﷺ «لا يقبل الله صلاة بغير طهور» (النسائي وابن ماجه)، وفي أثناء الصلاة يحتاج الإنسان إلى الخشوع وحضور القلب والاطمئنان في الركوع والسجود، قال ﷺ «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق صلاته» قالوا: يا رسول الله وكيف يسرق من صلاته؟ قال: «لا يتم ركوعها ولا سجودها» (رواه أحمد والطبراني وابن خزيمة والحاكم وقال صحيح الإسناد)، وقال ﷺ «لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود» (رواه النسائي وابن ماجه والبيهقي)، وفي حديث المسيء في صلاته، حيث لم يتم ركوعها وسجودها، فقال له النبي ﷺ «ارجع فصل فإنك لم تصل» والحديث متفق عليه، وفي الصلاة «يؤم القوم أقرأهم لكتاب الله» (رواه أبو داود)، وفي قراءة القرآن الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به فهو مع السفرة الكرام البررة، ولذلك فإن الله تعالى لم يطلب منا أداء الصلاة ولكن طلب منا إقامتها، وفي قصة مشروعية الأذان حينما رأى عبدالله بن زيد الرؤيا قال له ﷺ: «ألقه على بلال فإنه أندى منك صوتا» (أبوداود)، والصوم كذلك يحتاج إلى إتقان حتى يخرج الإنسان من الصوم وقد قويت إرادته وعزيمته على الطاعة وعمل الخير وحفظ جوارحه وتعود على النظام في كل شؤون حياته، ولذلك يقول الرسول ﷺ: «من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ مما كان ينبغي أن يتحفظ منه كفر ما قبله» (رواه أحمد والبيهقي)، والحج كذلك فإن هذه العشيرة تحتاج إلى إتقان في كل مرحلة من مراحلها فإعداد الزاد لابد أن يكون من الحلال «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا» (مسند أحمد)، ومغفرة الذنوب والتطهر منها لابد له من إتقان «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه» (مسلم)، وكذلك الزكاة تحتاج إلى إتقان حتى يقبلها الله تعالى ويكون لها الأثر في طهارة المال والنفس، فينبغي أن تكون خالصة لوجه الله تعالى، وأن تكون سرا، ففي الحديث «ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» (متفق عليه)، قال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾ (البقرة: ٢٦٣)، وقال عز وجل: ﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى﴾ (البقرة: ٢٦٤)، والنصوص في غيرها من الأعمال كثيرة جدا ليس هذا محل بسطها، لكنها تبين وتؤكد أهمية الإتقان في العبادات وسائر الأعمال يقول الرسول ﷺ: «إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه» (رواه مسلم)، وفي الحديث الصحيح في ذبح البهائم «وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة» (رواه مسلم)، ومن الأمور التي يجب إدراكها لتنمية الإتقان في حياتنا، ربط تصرفاتنا جميعًا برضا الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ (الكهف: ٢٨)، ويقول عزل وجل: ﴿وسيجنبها الأتقى. الذي يؤتي ماله يتزكى. وما لأحد عنده من نعمة تجزى. إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾ (الليل: ١٧-٢٠)، وكذلك طلب المعية من الله، قال تعالى: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ (النحل: ١٢٨)، ويستلزم إتقان العمل لياقة العامل جسمانيًا وعقليًا حتى يكون قادرًا على الأداء الجيد للعمل، كما يستلزم الاهتمام بتدريبه وتعليمه واطلاعه على أحدث ما توصلت إليه فنون الإنتاج، والمجتمعات التي تهتم بإتقان العمل توفر حوافز لذلك، بحيث يجد من يتقن عمله جزاء على ذلك، بينما في المجتمعات المتخلفة لا تجد أي حوافز لذلك، فالراتب هو نفسه، بل في بعض الأحيان في هذه المجتمعات يكون المقياس هو المحسوبيات، حتى وإن عملت وأجهدت نفسك وبذلت طاقتك يأتي شخص آخر لم يعمل شيئا، لكن لعلاقته بهذا المدير أو بهذه الجهة يقدم عليك، فلماذا يتعب الإنسان نفسه مادام لا يوجد فرق في الأمر؟! كما أنه من الملاحظ أن أي عمل في بلادنا يبدأ قويًا ثم يدخل عليه الضعف، لأن وراء أي عمل مؤسسين هم حقًا المؤمنون به وبأهدافه، المضحون بكل ما لديهم من غالٍ ونفيس من أجله، أما التابعون فأغلبهم ممن أغراهم بريق النجاح الذي حققه الرواد، فالتحقوا به ليأخذوا منه لا أن يعطوا له.

أخيرًا أخي المسلم أد عملك بإتقان، وأحسن القيام بما أسند إليك من مهام، وإن غفل عنك المسؤولون، ولم يكافئك أرباب العمل، حتى وإن كان الراتب زهيدًا، لأنك بإتقانك هذا تعمل ما يحبه الله تعالى، ومادام الله تعالى مطلعًا عليك فاطمئن لأنه هو القائل: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ (الرحمن: ٥٩)، فعليك أن تسعى لكي تتقن عملك، وتطلب التوفيق والأجر من الله، فهل نعي قيمة هذا المفهوم؟ هل نسعى بعد هذا الفهم إلى تفعيله في أوساطنا؟ هذا هو المؤمل، والله الموفق، وعليه التوكل.

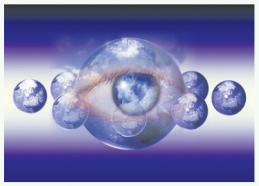

فن التعامل مع الضغوط من حولك

خالد محسن الحارثي

لا تعتقد أن أحدًا يستطيع العيش بلا ضغوط، المهم كيف نتعامل مع الضغوط، ونقلل من تأثيراتها الضارة علينا، فالضغوط في مراحلها الأولى تكون عبارة عن عوامل محفزة للإنسان لأداء واجباته ولنجاحه.

أما إذا زادت عن حد احتمال الشخص، فإنها تنقلب إلى الضد، فقد ثبت أن زيادة الضغوط اليومية، تكمن وراء ٢٥ في المائة من حالات الانهيار العصبي اليومي، فقد أصبح الشخص مطاردًا بمطالب الدراسة الفائقة، والعمل، والمسؤوليات الأسرية، والأعباء المنزلية...، وأصبح كل إنسان يلهث في الحياة بلا راحة، إذ أصبحت لديه طموحات لا تنتهي.

هذه الضغوط أضافت أسبابًا جديدة للإصابة بالاكتئاب والتوتر، والإجهاد، وفقدان الرغبة في العمل، وحدة الخلافات مع الآخرين، سواء في المنزل أو العمل، لأتفه الأسباب.

كيف تتعامل مع الضغوط ؟

– عش في حدود يومك، فإن أفضل طريقة للاستعداد لمواجهة الغد، هو أن تركز جهدك وحماسك في إنهاء عمل اليوم على أحسن ما يكون، وأن تبذل قصارى جهدك في حل المشكلة الصغيرة أو الفرعية التي حملها لك اليوم على الفور، وبعدها ستتوالى الحلول لباقي المشكلات الفرعية.. ومن ثم حل المشكلة الكبرى التي تضغط عليك.

إجادة فن الاسترخاء هو الحل لمواجهة الإرهاق والقلق الناجمين عن الضغوط

– يقول «ديل كارنيجي» مؤسس معهد العلاقات الإنسانية بنيويورك: «عندما تواجه مشكلة ما، ابدأ في استخلاص جوانبها المختلفة، ثم حلل هذه الجوانب بطريقة محايدة، وأخيرًا اتخذ قرارًا حاسمًا تبدأ في تنفيذه على الفور، وعندئذ ستشعر بأنك أكثر طمأنينة».

– مع حل مشكلة ما، هيئ نفسك لقبول أسوأ الاحتمالات، ثم اشرع في إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

– إذا كنت تعاني من الضغوط في حياتك، فاكتب أمامك هذه الأسئلة الأربعة، لكي تخرج بعدها بالقرار المناسب.

١– ما المشكلة بالضبط؟

٢– ما السبب الأصلي للمشكلة؟

٣– ما الحلول الممكنة والمتاحة؟

٤– ما هو أفضل هذه الحلول التي يمكن تطبيقها عمليا، وفي أقرب وقت؟

– عندما تتأزم الضغوط، ابدأ فورًا في إحصاء الجوانب الإيجابية في حياتك، بدلًا من تركيز تفكيرك في متاعبك، وفي معاناتك، وسوف تكتشف حقيقة أنه قد يكون لديك ١٠ في المائة من المشكلات التي تضغط عليك من مختلف الجوانب، لكن توجد ٩٠ في المائة من أمورك الخاصة

باحث سعودي

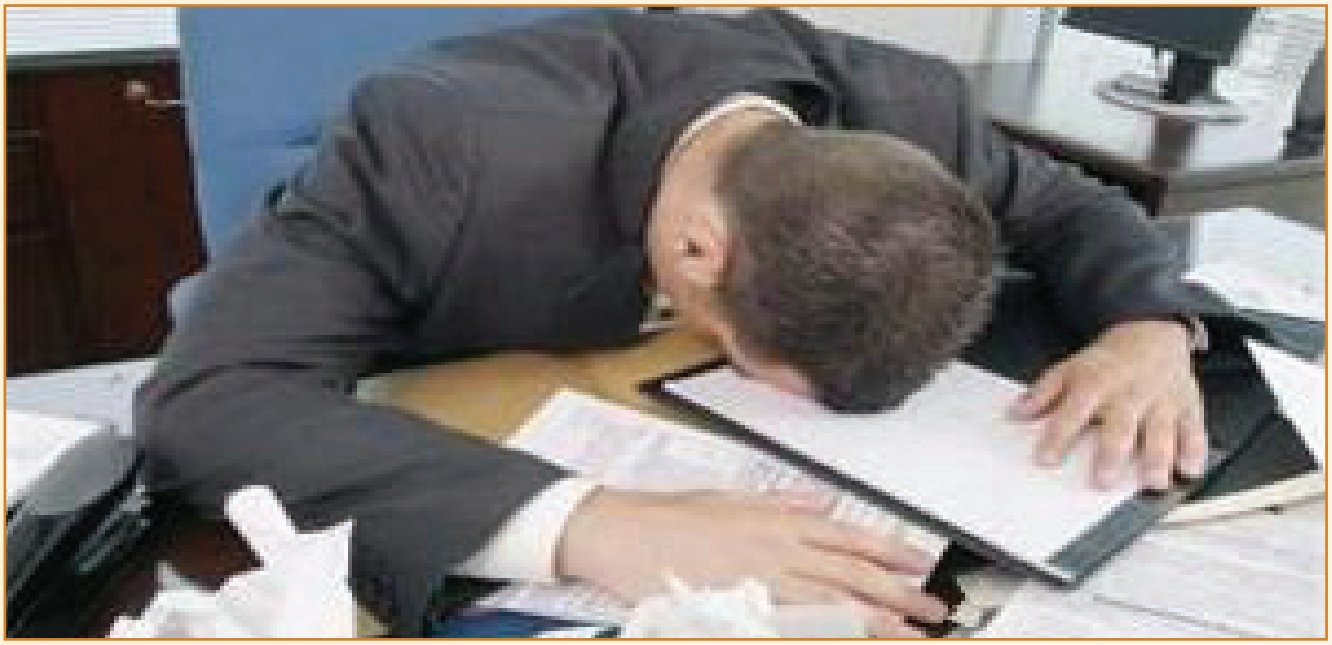

والعامة تسير سيرًا حسنًا.

ومن هنا، فإن تفكيرك المركز في الجوانب الإيجابية لحياتك، سوف يبعث في نفسك الطمأنينة، والثقة في النفس، لقهر الضغوط من حولك.

- تقبل الأمور السيئة بأقل انفعال ممكن، وعدم غضب من جراء الأحداث المحيطة بك.

- يؤكد أساتذة التحليل النفسي أن اجادة فن الاسترخاء، هو الحل لمواجهة الإرهاق والقلق الناجمين عن الضغوط.

- في كل مجال من مجالات حياتك، سواء في المدرسة، أو في العمل، أو في البيت، حاول أن تقوم بإنجاز الأهم، ثم المهم.. يوميًا.. فتخف وطأة الضغوط عليك.

- إذا كنت تعاني ضغوطًا مالية، فإليك نصيحة علماء الاقتصاد العالميين:

١- خصص مفكرة لكي تسجل فيها نفقاتك، حتى يمكن أن تعرف جوانب إنفاق مالك.

٢- ضع لنفسك ميزانية، توازن فيها بين «الدخل» و«النفقات» على أن تلتزم باحتياجاتك الأساسية.

٣- تعلم فن الشراء الذي يضمن لك أفضل شراء، بأقل ما يمكن من مال.

٤- دبر لنفسك رصيدًا ينفعك وقت الشدة، وابدأ حتى بقروش قليلة.. وسوف تزيد، حتى لا تضطر في يوم إلى الاقتراض.

٥- لا تحمل هموم البيت إلى العمل، ولا متاعب العمل إلى البيت.

٦- تعلم أن تقول «لا» للأشياء التي لا تستطيع القيام بها، حتى لا تلقي عليك أعباء زائدة، لا تستطيع أن تحلها.

- الرياضة علاج هائل وصحي للتوتر، وبخاصة المشي لمسافات طويلة بين أحضان الطبيعة، فهو يفرغ الشحنات الزائدة عن طاقة تحمل الشخص، كما أنه يساعد على التأمل، والتفكير المتأني الذي يوصل إلى حلول سليمة للمشكلة القائمة بضغوطها.

- النوم العميق مهم، ويساعد على ذلك المكان الهادئ، والحمام الدافئ قبل الذهاب إلى الفراش، وشرب بعض المشروبات الخفيفة مثل «النعناع» أو «الينسون».

- قلل من شرب الشاي والقهوة، لأنهما يزيدان من توترك، وفي الوقت نفسه لا تلجأ بالمرة إلى الاستعانة بالكحوليات أو المخدرات، فهي وسائل خادعة لا تعالج الضغوط وإنما تدمر الجسم.

- كلما زاد صبرك واحتمالك، زاد قبولك للأمور على ما هي عليه، بدلًا من إصرارك على أن تكون الحياة مطابقة لما تريدها أن تكون عليه، ومع نفاد الصبر تكون الحياة محبطة للغاية، ويسهل عندها ازعاجك ومضايقتك، أما الصبر فيضيف إلى حياتك بعدا من السكينة، وراحة النفس وطمأنينة القلب.

- أدرك حقيقة أن الحياة ليست مثالية، ولن تكون أبدًا كذلك، فلا تشعر بالأسى على نفسك، وذلك بتشجيع نفسك على بذل أقصى جهد فيما تقوم بعمله، واستغل كل قواك في تحسين معيشتك، أو تحسين المجتمع حولك.. تذكر أن الحياة ليست «طوارئ متصلة»، فلا تنس أن تمرح قليلًا مرحًا بريئًا، أو تعطي نفسك بعض الراحة، ولا تلم نفسك أو تعاقبها إذا لم تستطع أن تحقق أهدافًا معينة، خلقتها أنت بنفسك.. جدد أهدافك.

- اتخذ لنفسك الحكمة القائلة: «ما الحياة إلا اختبار»، فعندما تنظر إلى الحياة بتحدياتها المختلفة، على أنها اختبار، أو سلسلة من الاختبارات، تبدأ في النظر إلى كل مسألة تواجهك على أنها فرصة للنمو، والاندماج في المجتمع، ولقهر ما يتحداك، ويضغط عليك.

«المنهج السياقي» ودوره في «فهم النص» و«تحديد دلالات الألفاظ»..نماذج تطبيقية من القرآن الكريم (٢/١)

د. مسعود صحراوي

سنحاول في هذه المقالة التعريف بأداة معرفية (إجرائية) حديثة توفرَ لها قدرٌ هام من «الكفاية العلمية» الضرورية في اللسانيات المعاصرة وعلم الدلالة الحديث، فحققت نجاحا معتبرا في دراسة النصوص على اختلاف أنساقها المعرفية في حقول العلوم الإنسانية المختلفة، وهذه الأداة المنهجية هي «السياق»، وسنحاول ربط هذا المفهوم الإجرائي بأصول علمية إجرائية قال بها علماؤنا القدامى ووظفوها في فهمهم لـ«دلالات اللفظ» في النص العربي عموما والنص القرآني خصوصا، إثراء للمعرفة الإنسانية عامة وإبرازا لدور علمائنا الأجلاء في تأطير معارف عصرهم، ولأصالة بحثهم، وسنضرب أمثلة تطبيقية من نص الكتاب العزيز تُظهر كيف يكون للسياق دور قوي في فهم معاني الألفاظ القرآنية وضبط دلالاتها.

الإطار المفاهيمي

لما كان «السياق» مرتبطا ارتباطا قويا بـ«النص» لأنه مجاله الذي يطبق فيه، فإننا نرى أنه من المناسب أن نُعرّف بمفهومين أساسيين تدور عليهما محاور هذه المقالة، وهما: النص والسياق. وسنحاول التبسيط والاختصار الشديد في ذلك نزولا عند مقتضى الحال.

١- النص: من المعلوم أن المراد بمصطلح «النص» في المعرفة اللسانية المعاصرة غير المراد به في تراثنا العربي الإسلامي؛ فالمعاصرون يعرّفونه بأنه مجموعة من الأحداث الكلامية ذات معنى وغرض تواصلي، تبدأ وجودها من مرسل للحدث اللغوي وتنتهي بمتلق له، ومؤهلة لأن تكون خطابا، أي أن توجّه إلى شخص بعينه(١)، ومن ثَمّ فهم يشترطون وحدة موضوع النص ووحدة مقصده(٢). و«النص»، في تصور كثير من المعاصرين، يتجاوز الكينونة اللغوية المحدودة ولا ينحصر في مقولات اللغة على الرغم من أنه متشكل منها، بل يراعي الواقع الخارجي، ومن ثَمّ فإن النص هو المعادل اللغوي للواقع الإنساني والكوني.

أما العلماء العرب المسلمون القدامى- ولاسيما الأصوليين- فقد كان لمصطلح

العلماء القدامى كانوا مدركين لأهمية السياق في تحديد المعنى وواعين بدوره في توجيه الدلالات اللغوية

النص عندهم مفهوم آخر فتحدثوا في «النص» بعبارات كثيرة أشهرها ما ذكره الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) بأنه «هو المستغني بالتنزيل عن التأويل»(٣) أي هو الكلام الذي لا يحتمل تفسيرا أو تأويلا لأن ظاهره يغني عن كل ذلك، وهو الذي أبانه الله لخلقه نصا ظاهرا بينا، ويبدو أن تعريف الشافعي هذا قد لقي قبولا لدى علمائنا القدامى فرددوه من بعده، ولاسيما الإمام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) وابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) وغيرهما... ولم يخالفوه إلا في بعض الجزئيات...(٤) وواضحٌ أننا لا نقصد هنا ما ذهب إليه أسلافنا، وإنما نريد بـ«النص» مفهومه اللساني الحديث كما يطلقه اللسانيون المعاصرون.

وعليه فإن «لسانيات النص» كما نقول في المغرب الكبير أو «علم لغة النص»، كما يقول إخواننا المشارقة- هي علمٌ ناشئٌ وحقلٌ معرفي جديد تكوّن بالتدريج في السبعينيات من القرن العشرين، وبرز بديلا نقديا لنظرية الأدب الكلاسيكية التي توارت في فكر «الحداثة» و«ما بعد الحداثة».

وأما في التراث العربي فقد بحث بعض علمائنا في «النص» ونظّروا له ولم يتوقفوا عند التنظير للجملة كما يحلو لبعضهم أن يردد؛ فمن علمائنا الذين قدموا إسهاما علميا ناضجا (في مجال التنظير والتطبيق النصي) الإمام عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) في «نظرية النظم» (كتاب: دلائل الإعجاز)، وتبرز قيمته «النصية» في أنه جمع بين علوم كثيرة كـ«النحو» و«علم المعاني» و«علم البيان» و«التفسير» و«دلالة الألفاظ» و«المعجمية» و«المنطق»... وألّف بين أشتاتها في تناغم عجيب واتخذ منها أدوات معرفية متضافرة على تحقيق هدف واحد هو: خدمة النص القرآني وبيان إعجازه. وقد كانت فكرة «الانسجام النصي» واضحة في ذهن عبدالقاهر وضوحا متميزا حتى إننا نجده يعبر عنها بقوله: «واعلم أن مَثَل واضع الكلام مَثَلُ من يأخذ قطعا من الذهَب أو الفضة فيذيبُ بعضَها في بعض حتى تصير قطعة واحدة...»(٥).

ومنهم جمهور علماء أصول الفقه، ولاسيما الذين بحثوا منهم في حقلَيْ «دلالات

أستاذ التعليم العالي المساعد بجامعة الأغواط - الجزائر

الألفاظ» و«معاني الأساليب وما يترتب عليها من قواعد وأحكام»(٦)، وتعرضوا للثنائيات الدلالية التي وضعوها تحت عناوين: العام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمفصل، والمحكم والمتشابه... (٧) فقد كان السادة الأصوليون جامعين للشروط العلمية والأدوات التحليلية التي تحققت لها «كفاية علمية» ممتازة في البحث النصي. وهذه الثنائيات تشمل الشروط الجوهرية والوظيفية والمعرفية للنص القرآني الكريم.. وليس المقام مناسبا لتفصيل الكلام في ذلك.

ومنهم صنفٌ آخر، هم المفسرون، والذين قاموا بجهود كبيرة في «تحليل» النص القرآني كلٌ على طريقته؛ فقد سلكوا إلى فهمه طرائق منهجية شتى أهمها طريقة «السياق» كما سنذكر لاحقا. ولكن المفسرين يتفاوتون في الأدوات المعرفية المعتمدة بين أثرية ولغوية ومنطقية.

وقد أدرج علماؤنا القدامى- ضمن مفاهيم النص- مفهوم «القصد» وهو الغرض الذي يبتغيه المتكلم من الخطاب و«الفائدة» التي يرجو إبلاغها للمخاطَب، فلن يكون هناك «نص» ولا «خطاب» دون «قصد».

٢- السياق: أشار علماؤنا القدامى إلى قاعدة ذهبية مضمونها أن أفضل طريقة للتفسير هي تفسير القرآن بالقرآن(٨)، وتعد هذه الملاحظة، في رأينا، إشارة إلى منهج قويم في «علم الدلالة» والذي أصبح يعرف اليوم بـ«المنهج السياقي»، وهو المنهج الذي جعل للسياق الدور الحاسم في فهم النصوص وتحديد معاني الألفاظ وضبط دلالاتها، فقد اتفق اللسانيون المعاصرون على أن علاقة الكلمة مع الكلمات الأخرى في «النص/ الخطاب» هي التي تحدد معناها.

وقد كان علماؤنا القدامى مدركين لأهمية السياق في تحديد المعنى وواعين بدوره الحاسم في توجيه دلالات العلامات اللغوية ولاسيما في نص القرآن الكريم؛ فقد صرح ابن قيّم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) أن السياق «يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين

المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة... وهذه من أكبر القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته»(١١). نجد في هذا النص الهام إشارة إلى أمرين:

■ مفهوم «السياق الأصغر» أو «السياق الخاص» للنص القرآني، ودوره في تحديد الدلالة.

■ علاقة التكامل الوظيفي/الدلالي بين السياقين «الأصغر والأكبر»، إذ كثيرا ما يفسّر أحدهما بالآخر، أي يفسّر سياق بسياق.

والأول (السياق الأصغر) محدود ضمن وحدات دلالية أو تركيبية معينة كالآية القرآنية مثلا، أو ما يسبق الآية وما يلحقها من الكلمات أو الآيات، بينما الثاني (السياق الأكبر) شامل لما بين دفتي المصحف لا تحده فواصل الآيات والسور والأجزاء، وهو نوعان:

- الأول يراد به النص القرآني في كينونته الكلية الشاملة، ومراعاةُ هذا النوع أمرٌ هام جدا، وهو الذي أشار إليه علماؤنا بقولهم: فما أُجمِلَ منه في موضع فقد فُسر في موضع آخَر.

- ونوع يندرج ضمنه ما سموه «علم المناسبة» أي مناسبة أواخر السورة المتقدمة لأوائل السورة التي تليها، والمناسبة هي المشاكلة والمقاربة والشبه، ومرجعها في آيات القرآن إلى معنى رابط بينها، عام أو خاص، عقلي أو حسي أو غير ذلك... (١٢)

ونجد في تراثنا عددا كبيرا من العلماء ممن يعتنون بالسياق الأصغر ويعتدّون به في تحديد الدلالة ويتغافلون عن السياق الأكبر، ولكن الأصل في القرآن أنه منسجم متناسب آخذ بعضه برقاب بعض، وعلى الرغم مما قد يوجد من استثناءات توحي بعدم المناسبة فإنه حقٌ على المفسر أن يتطلب مناسبات لمواقع الآيات ما وجد إلى ذلك سبيلا موصلا(١٣)، ولكن عليه أن يتفادى التكلّف في ذلك.

ومما ينم عن فهم علمائنا للسياق ودوره في بيان معنى دقيق أو تخصيص نص مطلق أو تبيان ما أشكل فيه الغرض والقصد أنهم يمتاحون من معطيات السياق ويعتضدون به مطمئنين إلى كفايته الإجرائية حتى قال قائلهم: «من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولا من القرآن، فما أُجمل منه في موضع فقد فُسر في موضع آخر»(١٤) وهي إشارة بليغة «للسياق الأكبر أو العام» للنص القرآني، وهو الإجراء الذي تسمية البنيوية المعاصرة «الناظم المنهجي» أو الذي تسميه بعض مدارسها «الرؤية المنبثقة»، وهذا يقتضي أن المعنى (أو الدلالة) ينبثق من داخل النص ولا يفرض

عليه من الخارج...

وقد أخذ بالمنهج السياقي في التفسير جمعٌ من المفسرين في مقدمتهم إمام المفسرين ابن جرير الطبري الذي «جمع بين الرواية والدراية... فهو يسرد الأقوال ويناقشها ويبين أولاها بالصواب، أو يرى رأيا آخر في الآية»(١٥)، وكثيرا ما يحتكم إلى السياق الخاص أو العام(١٦)، ومنهم فخر الدين الرازي في «مفاتيح الغيب»، ومنهم جار الله الزمخشري في «تفسير الكشاف»، ومن المحدثين محمد الطاهر ابن عاشور في تفسير «التحرير والتنوير»... ونشير إلى أن حديث علمائنا الأجلاء عن السياق لا يمكن الإحاطة به في هذا المقام لكثرته وغناه. غير أنه قد يؤخَذ على مفسرينا وعلمائنا أنهم لا يلتزمون بالسياق دائما على الرغم من وعيهم بدوره في التفسير، كما قلنا، ولعل ذلك راجع إلى تعدد الأدوات المعرفية التي استخدموها في التحليل، إذ لم يكن السياق هو الأداة المنهجية المهيمنة بل كانت تزاحمها أدوات أخرى من العلوم الأثرية والمنطقية.

٣- السياقان اللغوي وغير اللغوي: هذا، ويقسم السياق إلى نوعين آخرين.. لغوي وغير لغوي:

أما السياق اللغوي (أو الكلامي) فهو النص/الخطاب ذاته بمستوياته اللغوية المعهودة: النحوية والمعجمية والدلالية، وهو سياق داخلي «منبثق»، لا يخرج عن حدود العبارة اللغوية بكينونتها النصية، وهذا النوع يتضمن من القرائن النصية (اللفظية والمعنوية) ما يرشد إلى مراد المتكلم من الخطاب، ولا يكون في سلّمه الإجرائي أيٌّ مكوّن خارجي للمعنى والتأويل.

أما السياق غير اللغوي فيراد به ظروف الخطاب وملابساته الخارجية والتي تشتمل على الطبقات المقامية المختلفة المتباينة التي ينجز ضمنها الخطاب، والتي سماها علماؤنا: سياق الحال، أو المقام، وقالوا: «لكل مقام مقال»(١٧)، ويشمل ذلك الزمان والمكان وحال الأشخاص: المتكلمين والمخاطبين... وهذا النوع يشتمل على القرائن الحالية التي تسهم في الكشف عن المراد، ومنها ما سماه المفسرون: أسباب النزول، ويندرج ضمنها بالطبع «مراعاة حال المخاطَب» و«غرض المتكلم».

وعليه فإن «البحث النصي» و«البحث السياقي القرائني» ليسا من مبتكرات عصرنا كما يروّج بعض من لا يريدون الخير للثقافة العربية، وإنما هي مفاهيم واردةٌ في كتب أسلافنا من نحاة وبلاغيين وأصوليين ومفسرين.. غير أن التطورات المعرفية النوعية التي شهدها عصرنا قد طبعت هذه المفاهيم بطابع علمي صارم وأطرتها ضمن أطر علمية واضحة فخطت خطوة نوعية وانتقلت من مجرد مفاهيم بسيطة إلى إجراءات منهجية دقيقة، وصار البحث فيها مقصودا لذاته، ولم تعد- كما كانت في القديم- مجرد أدوات ومداخل يُراد بها غيرها من العلوم الأخرى.

نحو علم «للنص القرآني»

من الضرورات المعرفية والدعوية الملحّة التي تقع على عاتق القادرين من المسلمين اليوم إعادة تأسيس علم جديد، أو إحيائه ولكن بأدوات معرفية جديدة(١٨)؛ يمكن تسميته: علم النص القرآني ويكون همه تحديد دلالات الألفاظ القرآنية وفق الخبرات والإمكانات العلمية الجديدة، وضبط المناهج التفسيرية والتأويلية، ومن ثَمّ وضع الحدود المفاهيمية للمصطلحات القرآنية ولمنظومة القرآن/الإسلام المعرفية، في عصر يشهد تطورات نوعية أثرت بقوة وعنف على كل المنظومات الفكرية القديمة ومنها دون شك المنظومة المعرفية الإسلامية، ومن خيارات هذا العلم النصي أن يستعين أرقى النماذج التفسيرية/ التحليلية (أو التأويلية) للقرآن ذات التأسيس العلمي الرصين والتي ساهم بها بعض التأويليين القرآنيين المعاصرين ولا يقطع صلته بها.

وهذا العلم النصي القرآني المنشود (الذي ندعو إليه ونرى حاجة الإسلام والمسلمين إليه ماسة) لا يهمل، من الناحية المبدئية، التراث الإسلامي العظيم مثل كثير من مباحث علوم القرآن، والمباحث النحوية والبلاغية والأصولية وحتى الكلامية والفلسفية... ولا يحق له أن يرفضها فينبَتّ عن أصوله ومصادره التاريخية بل يأخذ من هذا التراث الثري الغزير ما يخدم المنظومة الإسلامية في عصرنا، ولاسيما واجهتها الدعوية التي يخاطَب بها الغربيون، على أن يسعى إلى الفصل بين محليات القرآن وعالمياته، وظنياته وقطعياته، وظرفياته وأبدياته، مع حذره الواعي من محاذير الأخذ بنظريات تأويلية

عربية قديمة أثبت علم اللغة المعاصر عدم كفايتها العلمية كـ«نظرية العامل النحوية»، كما لا يُهمل ما أنتجته المعرفة اللسانية المعاصرة (وحتى غير اللسانية)، بل يأخذ بها ولكن لا يتبنى كل مفاهيمها النظرية والإجرائية، وخاصة دلالاتها الفلسفية الوضعية المادية التعسفية.

فنحن نرى أن هذا العلم النصي القرآني كفيل بتشكيل وعي إسلامي هام وصناعة ثقافة إسلامية معاصرة. وإذا نجح المسلمون المعاصرون (أو الأجيال التي تأتي بعدهم) في تأسيس وبلورة مبادئ ومفاهيم هذا العلم القديم الذي من الضروري أن يجدد.. وإذا ما قُدّرَ له أن يستقل عن غيره من العلوم الإسلامية التقليدية (مع أنه يمتاح منها)، فإنني آمل أنه ستترتب على ذلك كثير من النتائج الطيبة وأذكر منها:

أ- بناء منظومة معرفية إسلامية معاصرة تؤطر حركة ونشاط المسلمين المعاصرين على اختلاف طوائفهم وأيديولوجياتهم وتعيد إحياء وعيهم الديني والمعرفي والعلمي والحضاري.

ب- التقريب بين طوائف المسلمين المختلفة عقائديا على الصعيد العلمي والنفسي، ومن ثَمّ التشريعي والاجتماعي، وتضييق هوة الخلاف بينهم.

ت- جعل هذا العلم، في مرحلة لاحقة من مسيرة نضجه، مصدرا يمد الساحة الدعوية والمعرفية والتشريعية بمعطيات جديدة مؤسّسة علميا ومؤصلة إسلاميا.

ث- وضع حد لكثير من المحاولات الرديئة الغثة (وهي كثيرة في أيامنا...) التي تمارس تفسير القرآن وتَدَبُّره وتحليله دون استجماع أدواته الأساسية، القديمة والحديثة، وميزة هذه الأدوات أنها متجددة دائما، كما ألمحنا آنفا.

ج- تحقيق التجديد الديني والحضاري المنشود وإعادة النظر في الأحكام الشرعية الضعيفة والاجتهادات الخاطئة وتخليص الساحة الثقافية الإسلامية من الفوضى الفكرية السائدة فيها.

وعلى الجامعات التي توصف بـ«الإسلامية» في العالمين العربي والإسلامي أن تُدرج هذا العلم القديم/الجديد في برامجها وأن تحرص على الإفادة من معطياته، ولاسيما الأساتذة والطلبة المختصين في علوم القرآن والتفسير والدعوة؛ فحرامٌ ألا تستفيد أجيال المسلمين الحالية والقادمة من التطورات النوعية المعرفية الهائلة التي يشهدها عصرنا وألا توظفها في خدمة الدعوة بما يظهر إنسانية الإسلام وعالمية القرآن وخلوده وثراءه.. فالناس الذين ينبغي أن نخاطبهم نحن المسلمون من الآن فصاعدا إنما نخاطبهم بالقرآن الذي يقنعهم ويبهرهم ويستوعب ما لديهم استيعابا يتجاوز موروثاتهم الروحية ويصحح ما فيها(١٩) ويقوّض بُناهم الدينية المحرّفة ومنظوماتهم المهترئة.

ولذلك نكرر أن الخطاب الذي يشد أبناء المسلمين وغير المسلمين إليه هو ما يلبي حاجة في نفوسهم ويملأ فراغا وجوديا وروحيا ومعرفيا حقيقيا عندهم، ويستجيب لتحديات ومقتضيات الوعي الكوني الراهن.

وهذا العلم المأمول تأسيسه أو تجديده، أيا ما كان ذلك، والذي لا يهمل أدوات الفهم وآلياته الاستكشافية وقواعده المنهجية التي أنجزها العقل البشري في عصوره المختلفة- كما قلنا- لا يجوز له، بل ليس من حقه، أن ينسى أن بعض تلك الخصائص والأدوات والقواعد المنهجية هي من وحي وتوجيه آيات الذكر الحكيم، فقد يكون من هذه الآليات والقواعد المنهجية ما هو توجيهٌ إلهيٌّ خالص في القرآن الكريم ذاته، فليس لدارس القرآن إلا أن يتقيد بها ويقف عندها ويسلّم أمره إليها، والتسليم للنصوص الإلهية القرآنية علمٌ وعِزّ.. وهذه خاصية هامة من خصائص القرآن الكريم، فهو «يحدثنا عن نفسه»، أي عن «بعض خصائصه وأدواته المنهجية والمعرفية.

الهوامش

(١) انظر: روبار دو بوغراند و وولفغانغ دراسلر، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ص ٣٦. وانظر أيضا: وولفغانغ هاينه من وديتر فيهفايغر، مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح بن شبيب العجمي، نشر جامعة الملك سعود، الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٩٩٦، ص ١٢٣.

(٢) سعيد حسن بحيري، علم لغة النص/المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العامة للنشر، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٠٩.

(٣) محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية، ص ١٤.

(٤) انظر: ابن حزم الظاهري، الإحكام في أصول الأحكام، مج ١، ج ٣، ص ٣٩١. وأبوحامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، دار الفكر، ج١، ص ١٤.

(٥) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، ٢٠٠٠، ص ٣٨٨.

(٦) لمن أراد التفصيل يمكن الرجوع إلى: مسعود صحراوي، الأفعال الكلامية عند الأصوليين/ دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، بحث ألقي في ملتقى «علم النص والتداولية» المنعقد بتاريخ: ٩-١٠- ١١/ ديسمبر ٢٠٠٣، بجامعة الجزائر/ قسم اللغة العربية وآدابها.

(٧) انظر: مسعود صحراوي، المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي (مقالة)، نشرت في: مجلة الدراسات اللغوية، إصدار: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، المجلد الخامس/ العدد الأول، ٢٠٠٣، ص ١١/ ٤٤.

(٨) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار الجيل بيروت، ج٢، ص ١٧٥.

(١١) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، دار الكتب العربية، بيروت، ج ٤، ص٩-١٠. ويبدو أنه نقله عن أستاذه ابن تيمية، انظر: أحمد ابن تيمية، أصول التفسير، ص ٩٣.

(١٢) انظر: عبدالجبار توامي، نقد ترجمات القرآن في ضوء المنهج السياقي (مقالة)، نشرت في مجلة الدراسات اللغوية، إصدار: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد الخامس/ العدد الأول، ٢٠٠٣، ص ٢٥٧/ ٢٩٧.

(١٣) انظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤، ج ١، ص ٨١.

(١٤) انظر: جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٤، ج٢، ص٢٢٥.

(١٥) يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٢١٧.

(١٦) انظر مثلا تفسيره لقوله تعالى: ﴿إن هو إلا وحيٌ يُوحى﴾ (النجم - ٤).

(١٧) انظر: مسعود صحراوي، المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي، ص ٤٢/٥.

(١٨) من الذين دعوا إلى إعادة إحياء وتجديد مناهج التفسير بما يتلاءم مع معطيات العصر المعرفية الفيلسوف المرحوم مالك بن نبي في كتابه القيّم: الظاهرة القرآنية، دار الفكر،١٩٨١، الصفحات من ٥٧ إلى ٦٧.

(١٩) أبوالقاسم الحاج حمد، العالمية الإسلامية الثانية، دار المسيرة، بيروت، ١٩٩٥، ج ١، ص ١٣٥.

الاستنساخ وصراع المشروعية

د. لشهب أبوبكر

الاستنساخ من النوازل التي تحتاج إلى موقف فردي أو جماعي، رسمي أو غير رسمي، ولا يكفي فيه، ولا يكفي فيها المواقف العفوية غير المؤسسية. إن الله سبحانه وتعالى أمر عباده بالتبصر في الأنفس ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (الذاريات: ٢١)، وأخبر سبحانه وتعالى بما يبينه تعالى لعباده من الآيات ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ (فصلت: ٥٣)، قال ابن كثير في تفسير الآية:«...ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأخلاط والهيئات العجيبة كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع...»

الاستنساخ بلاشك ولاريب له من المنافع والأضرار ما يدعو إلى تناوله بالدراسة والتحليل والتمحيص من أهل الاختصاص في علوم شتى، فإذا كان المراد منه علاج أمراض تدخل في حفظ النفس البشرية فهو مطلوب ومشروع ما لم تتحول إلى أخطار دفعها مقدم على جلب تلك المنافع، فهو فرع من فروع علم الأحياء ومجال من مجالات الهندسة الوراثية، ونوع من أنواع العلم، والإسلام دين العلم، العلم النافع، فإذا بان ضرره وجب منعه باعتبار نتائجه، وإن كان في ذاته مشروعا.

والسؤال الذي نطرحه هل الاستنساخ هدف في ذاته أم وسيلة؟

وللإجابة عن التساؤل السابق، نحاول تصوير المسألة، ثم تكييفها، ونردف بالأسباب والأهداف وأخيرا الحكم، ونبدأ بالتصوير.

أولا: التصوير وندخله من التعريف

في اللغة: نسخ الشيء أي أزاله، ونسخ الكتاب: نقله وكتبه حرفا حرفا، وتناسخت الأزمنة تتابعت، والنُسخة جمع نُسخ...والتناسخ والمناسخة (المناسخات) في الميراث موت ورثة، وأصل الميراث قائم لم يقسم، وتناسخ الأزمنة تداولها أو انقراض قرن بعد قرن آخر، أما في مصطلح علم البيولوجيا فإنهم يريدون به ما يلي :

١- تكون كائن حي كنسخة مطابقة تماما من حيث الخصائص الوراثية، والفيزيولوجية، والشكلية، لكائن حي آخر، مثل فردي توأم البيضة (البويضة)

باحث شرعي

الاستنساخ يحصل عن طريق تنشيط البويضة تطبيقا لفكرة التكاثر العذري الموجودة في الطبيعة

الواحدة.

فهو إذن توالد لاجنسي لا يحدث من إخصاب لبيضة الأنثى بنطفة الذكر، بحيث تشرع الخلية في التوالد اللاجنسي، بتكوين الجنين ومن ثم الفرد البالغ دون مشاركة الذكر فيولد الفرد المستنسخ بدون أب.

٢- ويمكن القول: إن الاستنساخ هو: تلك العملية البيولوجية التي بمقتضاها تتكون مجموعة من الخلايا (وليس شرطا أن تكون متجانسة) وذلك عبر الانقسامات المتوازية والمتتابعة لخلية واحدة فقط. وهو ما يحصل في تكاثر بعض الكائنات الحية التي تتكاثر عن طريق التكاثر اللاجنسي بحيث يتم تكوين خلايا أو أنسجة أو أعضاء أو أجنة من خلية سابقة واحدة، ولعله مما سبق يتبين أن هناك نقاط التقاء ونقاط افتراق بين الاستنساخ والتلقيح الاصطناعي.

كيفية الإستنساخ؟

الاستنساخ عبارة عن نقل خلايا جسدية تحتوي على ٤٦ كروموزوما مكان نواة بيضة تحتوي على ٢٣ كروموزوما وتتولى السيتوبلازما المحيطة بالنواة الجديدة حث أو تحفيز النواة المزروعة على الانقسام، فتبدأ في الانقسام مكونة الخلايا الأولى للجنين الذي سيصبح فيما بعد إنسانا يتطابق مع الأصل الذي أخذت منه النواة الجسدية في المظهر.

أما التلقيح الاصطناعي: فهو الذي يتم فيه الجراحة... من المرأة، ثم يوضع البيض في وسط مغذ- الحصول على البيض- عن طريقه وملائم للنمو، يضاف إليه السائل المنوي للأب- زوج المرأة التي أخذ منها البيض- ثم تتم عملية مراقبة الإخصاب والتلاقح.

وعندما يصل الجنين مرحلة الخلايا الأربع فأكثر يعاد إلى المرأة، بغرس السائل في رحم المرأة- الأم والزوجة- بعد تهيئتها للحمل إما طبيعيا أو بحقنها بهرمونات مساعدة، وبزرع عادة أكثر من جنين للوصول إلى ولادة طفل واحد، وقد يحصل حمل لأكثر من طفل.

في حين نجد أن الاستنساخ يحصل عن طريق تنشيط البويضة تطبيقا لفكرة التكاثر العذري الموجودة في الطبيعة كما هو موجود في بعض الحشرات كدودة القز والنحل، وبعض الحيوانات اللافقارية، والبرمائيات، وبعض أنواع الثدييات، فيتم فيه- الاستنساخ- تحفيز وحث البويضة غير الملقحة بعدة وسائل منها المواد الكيماوية والصدمات الحرارية، أو الكهربائية المفاجئة، محاكاة للفعل المنشط للحيوان المنوي.

والنتيجة تكوين أجنة أحادية المجموعة الكروموزومية وهو مجال لإجراء مثل هذه التجارب على البشر، محاكاة لما يحصل عند غيره من الكائنات والحشرات.

ملاحظة: هذا وقد يكون التلقيح الصناعي استنساخا، لأن التلقيح الصناعي هو زراعة نواة بويضة تحتوي على ٢٣ كروموزوما وتحتاج إلى ٢٣ كروموزوما لتندمج معها لتكون الخلايا الأولى للجنين، فإن أضيفت للنواة خلية جسدية تحتوي على ٤٦ كروموزوما يصبح مجموع الكروموزومات ٤٦ + ٢٣ (٦٩)، ويقوم العلماء بفصل النواة عن البويضة فتصبح خالية من نواتها، ويضع فيها نواة الخلية الجسدية التي تحتوي على ٤٦ كروموزوما، وحتى يتم الأمر بشكل طبيعي يعمد العلماء إلى تحضير الخلية كهربائيا للانقسام ثم تتم إعادتها إلى الأم ليتم النمو في رحمها ويتكون الجنين. وبهذا يكون التلقيح الصناعي مشابهًا للاستنساخ!

دوافع الاستنساخ

قد تكون دوافعه:

١- علمية طبية علاجية.

٢- اقتصادية.

٣- وقد تكون غير ذلك. وهو ما سنوضحه في الأسباب والأهداف لاحقا.

التكييف أو تكييف المسألة

مما سبق في التصوير يتبين أن الاستنساخ إما أن يدرج ضمن وسائل الإنجاب، أو ضمن العلاقات- بين الرجل والمرأة- غير العادية، بالإضافة إلى أنه يمكن أن يكون مجالا من مجالات البحث العلمي، وهو كذلك. أو مجالا لربح الأموال.

وقد يحقق مصالح للإنسانية، أو يسبب أضرارا، على المستويات الفردية والجماعية. وكل هذه المجالات إما أن تكون مضبوطة بالشرع وتعاليمه، والقوانين ونصوصها، أو تكون في حاجة إلى ضبط.

وهذا كله سنوضحه في المحور الرابع من هذا العمل.

الأسباب

ونبدأ بالأسباب:

١- أسباب علمية: تتابعت التجارب العلمية في هذا المجال منذ أزيد من عقد كامل، نتيجة لتطور تقنيات البيولوجيا الجزئية، منذ دراسة وظائف الجينات بتقنية الاستبدال الجيني المستهدف.

٢- أسباب اقتصادية: إذ إن الأسباب العلمية لا تنفصل عن الأسباب والدوافع الاقتصادية، بحيث بلغ رأس المال الإجمالي المنفق في هذا المجال في الولايات المتحدة وحدها إلى سنة ١٩٩٩ ما يزيد على ٤٢ مليار دولار تقريبا.

وبلغ اهتمام العلماء وأصحاب الأموال في آن واحد بهذا الموضوع، ما جعل بمجرد ما يكشف أي عالم أو خبير في البيولوجيا أو الجينات عن اكتشاف ما يتسابق الجميع لإنشاء مؤسسة للتقنية الحيوية، وتبدأ المضاربات المالية، والتي في الغالب يتحكم فيها أصحاب الأموال،

بتوظيف العلم لكسب المال ولو على حساب الإنسانية!

إذن فالجانب التجاري ساهم ويساهم في تقدم وإجراء التجارب، والتجارة بأي اكتشاف ولو بجينات الإنسان وحياته التي هي منحة الإله؟

وإذا كانت هذه نظرة موجزة في الأسباب فإن الأهداف لا تنفك عنها، ومعقدة أكثر.. وتسهيلا للبحث- فقط- نقسمها إلى أهداف إيجابية وأخرى سلبية، ونبدأ بالأولى.

الأهداف

أ- الأهداف الإيجابية

١) تحسين أنواع من النباتات، أو تحسين والحفاظ على أنواع من الحيوانات ذات الخصائص الوراثية المتميزة مثل: الأغنام والأبقار، وخيول السباق.

٢) عمليات معالجة العقم من خلال نقل نصف الكروموزومات من خلية جسدية للزوج إلى نواة البويضة المستخرجة من رحم زوجته والتي تحتوي على نصف العدد من الكروموزومات.

٣) قد تفيد البحوث في الاستنساخ في الكشف عن أسباب الإجهاض المبكر، والذي يحصل دون معرفة أسبابه، بحيث إذا عرفت هذه الأسباب أصبح بالإمكان منع الجنين من الانزلاق داخل الرحم، وبهذا يتم منع الحمل قبل بداية التلقيح، ومنع الإجهاض والإسقاط والانزلاق بعد تكون الجنين.

٤) كما أنه يحتمل أن الاستمرار في البحث في الاستنساخ قد يمكن الباحثين من استنبات أجزاء لمبايض وخصي بشرية مخبريا تمكن من الحصول على بويضات ونطاف باستمرار، وربما الوصول إلى إنتاج أعضاء بشرية، وأيضا معرفة أسباب سرعة انقسام الخلايا السرطانية، وإذا ما عرف ذلك فإنه يمكن استخدام وسيلة لإيقاف انقسام الخلايا السرطانية.

٥) يمكن تلافي إصابة الأبناء بأمراض إذا كان الآباء والأمهات يحملون أمراضًا، معينة، عن طريق المسح الجنيني.

٦) من خلال التعاون بين الاستنساخ والهندسة الوراثية يمكن تغيير وظائف فيزيولوجية لبعض أنواع البكتيريا من أجل إنتاج أنواع ذات صفات معينة لها قدرات خاصة، إما من أجل استعمالها لعلاج بعض الأمراض، أو استعمالها في الحروب.

٧) التحكم في جنس الطفل في المستقبل.

٨) إنتاج مجموعات من الأشخاص متطابقين للقيام بمهام خاصة كمجالات الحروب والجوسسة.

٩) الحصول على أولاد نجباء وعباقرة وقياديين وأبطال.

١٠) الاستفادة منه في زراعة الأعضاء.

ب- الأهداف السلبية

١) النتائج غير مضمونة، وغير مضبوطة، بحيث من ٢٧٧ تجربة اندماج تمكن الفريق الطبي الإسكتلندي من النجاح في النعجة دوللي، أي أن نسبة النجاح = ٣٦٪، بالإضافة إلى أن نسبة الإجهاض كانت عالية جدا وكذلك التشوهات الخلقية.

٢) وعلى فرض إيجاد قطيع من الغنم أو الأبقار بطريق الاستنساخ فإن تأثر كل القطيع بالعوامل البيئية سيكون واحدا، مما يؤدي إلى أن الضرر سيكون واسعا أو كليًا مثل النفع.

لهذا ذكر د.ليون كامسي، الأخصائي في البيولوجيا الجزئية أن الاستنساخ: هو استمرار طابع وراثي معين يحقق استمرارا مصطنعا من جيل لآخر... ويمكن تخيل مخاطر هذا الإجراء على الجنس البشري بسيادة بعضه وانقراض الآخرين!

٣) استنساخ أشخاص يعانون من أمراض.

٤) قد يؤدي إلى استئجار الأرحام.

٥) يؤدي إلى بيع البويضات.

٦) فقدان ما يجب أن يتمتع به كل فرد من صفات ذاتية تميزه.

٧) لكل خلية عمر افتراضي، والاستنساخ باستعمال خلايا لشخص يبلغ من العمر ٦٠ سنة.. هل يعد استكمالا لعمره. أم هو عمر جديد للجنين المستنسخ؟

الحكم

انعقدت في عام ١٩٩٧ الندوة الفقهية الطبية التاسعة تحت عنوان: رؤية

إذا دعت الضرورة إلى الاستنساخ باعتباره وسيلة علاج وعملا طبيًا فإنه لابد من الموازنة بين السلبيات والإيجابيات

إسلامية لبعض المشاكل الطبية، ما بين ١٤ و١٧ يونيو ١٩٩٧ وفي ذات السنة والشهر انعقد المؤتمر العاشر لمجمع الفقه الإسلامي بجدة (٢٨ يونيو و٣ يوليو ١٩٩٧) واختتم المؤتمران بتوصيات أفادت في مجملها:

١- التحفظ حول موضوع الاستنساخ.

٢- طلب البحث من أجل وضع قوانين تنظم هذه المسألة.

وانطلاقا من كل ما سبق فإنه يمكن القول بالمنع: الحرمة. ودليل ذلك في النقاط التالية:

١- لأنه شغل لرحم المرأة بغير وجه مشروع ولا يجوز شغل رحم المرأة إلا بماء زوجها.

٢- لأنه سبب في ضياع الأنساب، وسبب في نشأة طفل من غير أب، وسبب لإغفال وإهمال دور الأب في الحياة، وجعل الإنجاب مقتصرا على المرأة لوحدها، وهو مخالف للشرائع والطبيعة والأعراف.

٣- كون الإنجاب مشتركا بين الرجل والمرأة، بطريقة شرعية، يقوي الصلة بين الأفراد، بل فيه معنى نشأة المجتمع لما يحمله من معاني وصور التعاون وحصره على المرأة قضاء على قيام المجتمعات لما تحمله وتستوجبه من حقوق متبادلة، فلا قيمة للإنسان بقيت، ولا صورة للمجتمع قامت.

٤- تكريم الإنسان عن غيره من الأحياء، اختصاصه بحقوق منها: الأبوة، الرعاية والنسب، الإرث... وكل هذه المعاني لا بقاء لها مع الاستنساخ بالمفاهيم السالفة للاستنساخ.

٥- انطلاقا من قوله تعالى: ﴿إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا. لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا. ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾ (النساء: ١١٧ - ١١٩) دلت هذه الآية على تحريم تغيير خلق الله، وأنه مما يأمر به الشيطان.

وقوله عز وجل: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ (الروم: ٣٠). وعموم الآية يدل على أن زرع الخلية الجسدية لإنتاج المولود هو تغيير في نظام التكاثر الذي يتم عن طريق الاتصال الجنسي.

وتأييد ذلك أن الله تبارك وتعالى قال في سورة النمل الآية ٧٢: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾. وفي سورة النساء الآية ١ قال عز وجل: ﴿يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء...﴾.

أما في سورة الإنسان الآية ٢ فجاء قوله تعالى: ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا﴾.

ومن مجموع هذه الآيات والدلائل، فإن لم نستطع الجزم بأن الاستنساخ زنا ولم يوجه دون وجه حق، فإنه يمكن الجزم بأنه جريمة في حق المجتمع، وجريمة في حق الإنسان يجعله حقلا للتجارب.

٦- معلوم أن الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف وليس العكس، وأنه إذا تعارضت المفاسد روعي أعظمها ضررا بارتكاب الأخف، والامتناع عن الاستنساخ أخف ضررا من ارتكابه.

فمن باب الاحتياط إذن يكون تركه مقدمًا على الاستمرار فيه، والضرورات تقدر بقدرها ويستثنى من المنع حالة: إذا أخذنا خلية جسدية من الزوج العقيم وزرعناها في بويضة ورحم زوجته في حال قيام العلاقة الزوجية الشرعية، والحياة.

الخاتمة

الاستنساخ عمل طبي، والأعمال الطبية جائزة شرعا وقانونا بشروط منها:

١- التحقق من حصول المصلحة الشخصية الفردية المباشرة المقيدة شرعا.

٢- أن يكون احتمال النجاح وحصول النفع مؤكدا أو قريبا من المؤكد.

٣- ألا يكون فيه إضرار بالغير، والاستنساخ فيه إضرار بالغير أكيد، إضرار بالطفل المستنسخ من الناحية الاجتماعية والأخلاقية والدينية بالخروج عن الفطرة، بحيث يوجد ابن لمخبر، وليس لأب معلوم.

٤- إذا قدر لهذا العمل النجاح فإنه سيصبح بإمكان أي مخبر القيام بإنجاز الأفراد كما يريد صاحب المخبر، أو كما يريد صاحب الصفقة المالية.

وبالتالي: فهو وسيلة إلى الاتجار بالإنسان واستعباده، إضافة إلى إهدار الكرامة الإنسانية الثابتة.. والوسيلة تأخذ حكم الغاية.

والمادة الثابتة من قانون حماية الصحة الجزائري تنص على: ترمي الأهداف المسطرة في مجال الصحة إلى حماية الإنسان من الأمراض والأخطار وتحسين ظروف المعيشة والعمل، بتوفير العلاج والحماية الصحية، والتربية الصحية.

إذن إذا دعت الضرورة إلى الاستنساخ باعتباره وسيلة علاج وعملا طبيًا فإنه لابد من الموازنة بين السلبيات والإيجابيات.

هذا والوسيلة الطبيعية والشرعية والقانونية للإنجاب هي الزواج على أساس تكوين نظام اجتماعي، وهو ما تنص عليه المادة الرابعة من قانون الأسرة الجزائري، واعتبرت المادة أربعون منه الزواج هو الوسيلة الوحيدة لإثبات النسب وكذا المادة ٤١ و٤٢، فلا أنساب، ولا أبوة، ولا أسرة بالاستنساخ لما فيه من مخالفة للآداب الشرعية، والفطرة السليمة، والنصوص الشرعية والقانونية، وما فيه من الأخطار والمخاطرة على الأفراد والمجتمعات.

فلم يبق للقول بإباحة الاستنساخ احتمال ولا مجال.

التقعيد الفقهي المقاصدي وأثره في فقه الدعوة

د. محمد الأنصاري
باحث في جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال في المغرب

إن الأمة الإسلامية اليوم في حاجة ماسة أكثر من أي وقت مضى إلى صياغة عقلية فقهية حية تجديدية مقاصدية، تعمل على بلورة مفاهيم الإسلام ونظمه، بلورة معاصرة تستجيب لقضايا العصر ومستجدات الحياة، وتسعى إلى حل كل المشكلات المتراكمة في واقع الأمة المسلمة خاصة والبشرية عامة، وفق رؤية شرعية مقاصدية.

ومن هذا المنطلق فإن إحداث أي تغيير إسلامي منشود لا يمكن أن يتم إلا إذا تغير مسلم اليوم عقلا وفكرا وسلوكا تغييرا حضاريا، وكان ذلك في إطار منهج إسلامي رشيد، يرشد عمل العاملين في حقل الدعوة إلى الله، إذ بقدر رشدنا وفقهنا في المنهج يكون مستوى انطلاقنا وإقلاعنا الحضاري كمًا وكيفًا. وعلى هذا الأساس فإن إعادة الاعتبار للمنهج القرآني الفطري في الدعوة وإقامة الدين والشهادة على الناس وإخراج الأمة المعيار:﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾(آل عمران:١١٠)، لا تتأتى إلا بالاهتداء بقواعد الفقه المقاصدي الذي ينير السبيل أمام دعاة الخير والصلاح في كل عصر ومصر.

١- إثبات القاعدة

اخترت قاعدة من القواعد الفقهية المقاصدية في الفقه الدعوي، وهي القاعدة التالية

«تتفاوت رتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بتفاوت رتب المأمور به والمنهي عنه».

هذه القاعدة الفقهية الدعوية من أهم القواعد التي ترسم ملامح المنهج الدعوي الفطري في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو لب الإصلاح المطلوب شرعا، وأساس إخراج هذه الأمة إلى الناس كافة.

٢. التأصيل الشرعي للقاعدة

الأصل فيها من حيث وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ (آل عمران:١٠٤)، وقوله ﷺ: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، مثل قوم ركبوا سفينة فأصاب بعضهم أسفلها وأوعرها وشرها وأصاب بعضهم أعلاها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فاذوهم فقالوا، لو خرقنا في نصيبنا خرقا فاستقينا منه ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وأمرهم هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعا) (١).

وأما أصلها من حيث رتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقوله ﷺ «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» (٢)، وهذا الحديث كما قال ابن العربي من غريب الفقه، فالرسول ﷺ بدأ في البيان بالأخير في الفعل وهو تغيير المنكر باليد، وإنما يبدأ باللسان والبيان، فإن لم يكن فباليد (٣).

وكذلك قوله ﷺ: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» (٤)، إذ جعل كلمة الحق أفضل الجهاد لأن المنكر قد بذل نفسه بحيث لا يقدر على تخليصها بخلاف المجاهد فإنه يتوقع أن يقتل قربة ويتوقع أن يخلص فلم يكن بذله لنفسه كبذل المنكر على السلطان الجائر، حيث النتيجة معروفة.

٣ – بيانها وفقه أولوياتها:

وفي بيان هذه القاعدة الدعوية أورد نصا ذهبيا في الفقه المقاصدي الدعوي لسلطان العلماء العز ابن عبدالسلام يقول فيه: «الأمر بالمعروف وسيلة إلى تحصيل ذلك المعروف المأمور به، ورتبته في الفضل والثواب مبنية على رتبة مصلحة المأمور به في باب المصالح، فالأمر بالإيمان أفضل أنواع الأمر بالمعروف، وكذلك الأمر بالفرائض أفضل من الأمر بالنوافل.. وكذلك النهي عن المنكر المنهي عنه، ورتبته في الفضل والثواب مبنية على رتبة درء مفسدة الفعل المنهي عنه في باب المفاسد، ثم تترتب رتبه على رتب المفاسد إلى أن تنتهي إلى أصغر الصغائر، فالنهي عن الكفر بالله أفضل من كل نهي في باب النهي عن المنكر» (٥).

وبهذا يتضح أن الإمام العز يحدد من خلال هذا النص التقعيدي في الفقه المقاصدي منهجا جليا في أولويات الدعوة إلى الله، فالأمر بتصحيح الإيمان والتحقق بكليات الدين الغيبية ، وتصحيح التصور نحو الكون والحياة في عالم الشهادة هو أولى الأولويات في الدعوة.

والدعوة إلى تصحيح التدين بتقديم ما يستحق التقديم منه ، فالفرائض مقدمة على النوافل ، ثم إحياء معالمه التي ضمرت في نفوس الناس حيث أصبح التدين عندهم مظهرا جامدا تقليديا ضيقا لا يشمل إلا بعض جوانب الحياة، في حين أن التدين الصحيح في مفهوم الإسلام هو

التدين الحي الواعي الشامل الذي يرسم منهج حياة للفرد والمجتمع والأمة في السلوك والأخلاق والمعاملات.

ثم الدعوة إلى تصحيح الالتزام لإخراج الأمة المعيار المؤهلة لحمل أمانة الدعوة والتبليغ، أفرادا ومجتمعا ومؤسسات ودولة.

إن ترتيب أولويات هذه القاعدة في الفقه الدعوي المقاصدي، تقتبس معالمها من فقه الموازنات بين المصالح فيما بينها والمفاسد فيما بينها، وبين المصالح والمفاسد، وقد بين سيد قطب بعض أولوياتها فقال: «إن الأمر بالمعروف يجب أن يتجه أولا إلى الأمر بالمعروف الأكبر، وهو تقرير ألوهية الله وحده سبحانه، وتحقيق قيام المجتمع المسلم، والنهي عن المنكر يجب أن يتجه أولا إلى النهي عن المنكر الأكبر، وهو حكم الطاغوت وتعبيد الناس لغير الله عن طريق حكمهم بغير شريعة الله.. ومفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابد أن يدرك وفق مقتضى الواقع فلا يبدأ بالمعروف الفرعي والمنكر الفرعي قبل الانتهاء من المعروف الأكبر والمنكر الأكبر، كما وقع أول مرة عند نشأة المجتمع المسلم» (٦).

٤ - ضوابط منهجية في قاعدة الأمر والنهي

إن قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي أناطها الله بأمة الرسالة الشاهدة على العالمين لا تكون هادفة وناجحة إلا إذا انضبط القائمون بأمر الدعوة بالشروط والضوابط المنهجية الدعوية الآتية:

أ- أن يعلم ما يأمر به وينهي عنه: فالجاهل بالحكم لا يحل له النهي عما يراه ولا الأمر به، ولهذا قال الإمام العز بن عبدالسلام: «الإنكار متعلق بما أجمع على إيجابه أو تحريمه، فمن ترك ما اختلف في وجوبه، أو فعل ما اختلف في تحريمه.. فإن كان جاهلا لم ينكر عليه، ولا بأس بإرشاده إلى الأصلح، لأنه لم يرتكب محرما.. وعلى هذا فلا يجوز الإنكار إلا لمن علم أن الفعل الذي نهى عنه مجمع على تحريمه وأن الفعل الذي يأمر به مجمع على إيجابه» (٧).

ب- ألا يؤدي إنكاره إلى منكر أكبر منه: كأن ينهى عن شرب الخمر فيؤدي نهيه عنه إلى قتل النفس أو نحوه، وهنا الأمر يتطلب معرفة طبائع الناس ونفوسهم وأصنافهم وأحوالهم، بل وإيجاد بديل لهم مباح أو أقل ضررا مما هم فيه، وقد أدرك فقهاؤنا أهمية هذا المنهج فاعتنوا بتسجيله، فهذا ابن القيم رحمه الله يقول في هذا الشأن: «وإذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب أو سماع مكاء وتصدية، فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد، وإلا كان تركهم على ذلك خيرا من أن تفرغهم لما هو أعظم من ذلك.. وهذا باب واسع، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم من كان معي، فأنكرت عليه، قلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم» (٨).

وما أحوج الدعاة اليوم إلى هذا الفقه المقاصدي النير، الذي يقوم على أساس منهج ترتيب الأولويات والموازنة بين مصالح الأمور ومفاسدها، إذ به يمكن للفقه الإسلامي الحي المتجدد أن يحدث تغييرا كبيرا في المجتمع، وأن يخلف أثرا بالغا في الناس، ومن شأنه أيضا أن ينير طريق الدعوة إلى الله ويجلي معالمها، وأن يرشد المصلحين إلى أقوم نهج وأحسن سبيل، اهتداء بهدايات الوحي وبصائره المنهاجية في التفكير الدعوي والتعبير الدعوي والتدبير الدعوي، قال تعالى مقررا ذلك: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٩)، وقال سبحانه: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٣)، بصائر القرآن بصائر حجة، من أبصرها وأبصر بها، كان مبصرا ببصيرته للحق

والنور والهدى: ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ من رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ (الأنعام: ١٠٥)، فالإبصار هنا إبصار للحق بميزان الحق القرآني والهدى الرباني.

ج- أن يغلب عن ظنه أن إنكاره المنكر مزيل له، وأن أمره بالمعروف مؤثر في تحصيله: وفي تقرير هذا الشرط يقول سلطان العلماء العز بن عبدالسلام: «فإن علم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن أمره ونهيه لا يجديان ولا يفيدان شيئا، أو غلب على ظنه سقط الوجوب لأنه وسيلة ويبقى الاستحباب، والوسائل تسقط بسقوط المقاصد، وقد كان ﷺ يدخل إلى المسجد الحرام وفيه الأنصاب والأوثان ولم يكن ينكر ذلك كلما رآه، وكذلك لم يكن كلما رأى المشركين ينكر عليهم، وكذلك كان السلف لا ينكرون على الفسقة والظلمة فسوقهم وظلمهم وفجورهم كلما رأوهم، مع علمهم أنه لا يجدي إنكارهم، وقد يكون من الفسقة من إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فيزداد فسوقا إلى فسوقهم، وفجورا إلى فجورهم» (٩).

وبتوفر هذه الشروط الثلاثة يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبا على الفور ولا يقبل التراخي أو التقاعد عنه، وقد نقل الإمام القرافي الإجماع على ذلك، وبالمقابل فإذا تخلف أحد الشرطين الأولين وجب التحريم، وإذا تخلف الشرط الثالث سقط الوجوب وبقي الجواز والندب (١٠).

٥ - آراء الفقهاء في قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن النكر

اختلف الفقهاء في بعض جوانب هذه القاعدة، ومن ذلك هل يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الكفاية أم على العين؟ وقد سلكوا في ذلك مسلكين مختلفين هما كما يلي

أ المسلك الأول: مسلك أصحاب الوجوب على العين

وقد قرر هذا الاتجاه الإمام الطوسي وغيره حيث قال: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضان من فرائض الإسلام، وهما فرضان على الأعيان، لا يسع أحدا تركهما والإخلال بهما» (١١).

قريب منه ما ذهب إليه الإمام ابن عبدالبر حيث نقل القرطبي عنه قوله بإجماع المسلمين على وجوب تغيير المنكر على كل من قدر عليه، وأنه إذا لم يلحقه بتغييره إلا اللوم الذي لا يتعدى إلى الأذى، فإن ذلك لا يجب أن يمنعه من تغييره فإن لم يقدر فبلسانه، فإن لم يقدر فبقلبه ليس عليه أكثر من ذلك (١٢).

وإلى هذا المسلك أيضا أشار سيف الدين إسماعيل بقوله: والحسنة في إطار القيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تجب على العالم كما تجب على ولاة الأمور وهي كذلك واجبة على مجموع الأمة كل حسب الوسع، يؤديها المسلم حسب طاقته، وليس المطلوب الأمر بالمعروف الذي لا يعرفه إلا المجتهدون، أو النهي عن المنكر الذي لا يدركه إلا العالمون، أو لا يستطيعه إلا أولوا الأمر، فكل معروف ينبغي الأمر به، وكل منكر ظهر فعله ينبغي النهي عنه، غير أنه يجب التفرقة بين المحتسب الفرد والوالي (١٣).

وبهذا يتضح أن أصحاب هذا الرأي يرون أن قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تشمل جميع أفراد الأمة كل حسب موقعه الاجتماعي وقدرته وعلمه ابتداء بالحكام وولاة الأمور، ومرورا بالعلماء والدعاة المصلحين ورثة الأنبياء، وانتهاء بالرعية.

ب المسلك الثاني: مسلك أصحاب الوجوب على الكفاية

فأصحاب هذا الاتجاه يرون أن وظيفة الحسبة في إطار ولاية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبة على الكفاية، بدليل قوله تعالى:﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر...﴾ (آل عمران: ١٠٤)، وفي معنى هذه الآية يقول ابن قدامة: «وفي هذه الآية بيان أنه فرض على الكفاية لا فرض عين، لأنه قال ﴿ولتكن منكم أمة﴾، ولم يقل، كونوا كلكم آمرين بالمعروف، فإذا قام به من يكفي سقط عن الباقين، واختص الفلاح بالقائمين المباشرين له».

وفي نظرنا أن الراجح والأصوب- توفيقا بين الرأيين- هو أن وجوب الحسبة - في إطار الأمر والنهي- على العين يكون في حال عدم وجود الكفاية في ذلك أو في حال عدم وجود الدولة المسلمة التي تقوم على الشرعية الدينية المتمثلة في قيامها على الإسلام قولا وفعلا، ثم توليها الرعاية والإمامة والسيادة عن طريق الشورى، ثم حفاظها على منهج الشرعية ولاء لله والرسول والمؤمنين، ففي هذه الحال يجب على كل أفراد المجتمع القيام بالدعوة أمرا ونهيا، وذلك بحسب العلم والقدرة والإمكان ودون إخلال، إذ إن واجب التمكين لدين الله والدعوة له، والقيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل أبعادها العقيدية والتعبدية والسلوكية وغيرها، وفي كل المجالات التربوية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، مع مراعاة الإمكانيات والظروف والأحوال والإنسان وفقه المآل، يجب على الأمة كلها أفرادا ومؤسسات ومجتمعا لقوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (آل عمران:١١٠).

أما الوجوب على الكفاية فيكون في حال قيام الدولة المسلمة التي تقوم على الدعائم الشرعية السابقة، فحينئذ يكون ولاة الأمر وأئمة العدل إلى جانب مؤسسة ولاية العلماء والدعاة ورثة الأنبياء هم المسؤولون على توعية الناس ودعوتهم إلى التدين الواعي الشامل الإيجابي، وهم المسؤولون أيضا عن القيام بوظيفة الحسبة في إطار ولاية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا مقيد بحصول الكفاية في الدعوة والقيام بالأمر والنهي، وشمول ذلك الداني والقاصي من أفراد المجتمع بحيث لا تبقى من لا تصله الدعوة والأمر

ما أحوج الدعاة اليوم إلى الفقه المقاصدي النير الذي يقوم على أساس منهج ترتيب الأولويات والموازنة بين مصالح الأمور ومفاسدها

والنهي في المجتمع، فإذا لم تحصل الكفاية بهذا المفهوم انتقل الحكم من الكفاية إلى العين.

ومن خلال ما تقدم يمكن استخلاص ما يلي

١- إن القيام برسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتجاوز أمر الحكام وولاة الأمور، إذ لا يشترط في ذلك إذنهم، إلا إذا كانت الدولة المسلمة قد خصصت لهذا الميدان مؤسسة من أهل العلم والصلاح يقومون بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع، فحينئذ يسقط الأمر والنهي عن الباقين كلما تحققت الكفاية في ذلك بهم.

وفي هذه الحالة قد يجوز تقنين وظيفة الحسبة استصلاحا إذا كان في ذلك مصلحة للأمة يقدرها العلماء المشاورون- أهل الشورى والحل والعقد- في مؤسستهم الشرعية.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد اشترط قوم إذن الإمام أو الوالي في القيام برسالة الحسبة، وقد أنكر هذا الرأي ابن قدامة وغيره حيث قال: «وهذا فاسد لأن الآيات والأخبار عامة تدل على أن كل من رأى منكرا فسكت عنه عصي، فالتخصيص بإذن الإمام تحكم» (١٤)، وهذا رأي متجه سديد، لأنه لا يمكن أن ننتظر من الأئمة إذا كانوا من أهل الفسق والظلم أن يرخصوا للعلماء والدعاة الأخيار، ولأهل الغيرة على الدين بالقيام بوظيفة الحسبة في إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنهم قد يستهدفون بذلك أيضا.

٢- إن المراد برسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو إقامة الدين في كل أبعاده الفردية والجماعية، الإيمانية والتعبدية والأخلاقية والسلوكية، السياسية والاجتماعية وغير ذلك، حتى يصبح المجتمع آمنا سالما من كل الفتن والمهلكات، وقد قرر هذا العلماء، فهذا ابن قدامة يقول في ذلك: «اعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي بعث الله به النبيين، ولو طوي بساطه، لاضمحلت الديانة، وظهر الفساد وخربت البلاد» (١٥).

٣- إن من أهم أسباب الفساد والانحراف والتخلف الحاصل في مجتمعاتنا الإسلامية اليوم هو غياب الدور الرسالي لوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنع أهل الخير والصلاح من الإصلاح ونشر الخير والأمن، وبالمقابل فسح المجال للهيئات والمؤسسات غير الشرعية العلمانية لإضلال الناس وإبعادهم عن هويتهم الحضارية، فكثر الفساد والإفساد وعم البلاء والفتن ما ظهر منها وما بطن، بسبب كثرة دعاة الشر والضلال وكثر مؤسساتهم التي زاحمت المؤسسة الشرعية لولاية العلماء والدعاة المخلصين وورثة الأنبياء الربانيين.

٤-إن القيام برسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على اختلاف مراتبها ودرجاتها في التفاوت أو التساوي، تحتاج إلى رفق وحلم، لقوله ﷺ: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا كان الفحش في شيء قط إلا شانه» (١٦)، فالرفق صفة جليلة يتصف بها الحق سبحانه وتعالى، وحري بالدعاة أن يكونوا هم أول من يقتدي بالرب في هذ الصفة تحققا وتخلقا، قال ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى رفيق يحب الرفق، ويرضى به، ويعين عليه ما لا يعين على العنف» (١٧)، والرفق مطلوب في الأمر كله وهو مطلوب في مجال الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أكثر من غيره، ولهذا قال بعض السلف: «لا يأمر بالمعروف إلا رفيق فيما يأمر به، رفيق فيما ينهى عنه، حليم فيما يأمر به، حليم فيما ينهى عنه، فقيه فيما يأمر به، فقيه فيما ينهى عنه» (١٨)، وقد أشار ابن تيمية إلى هذا المعنى اللطيف الجميل للرفق في الدعوة إلى الله تعالى أمرا ونهيا حيث قال في كتابه الاستقامة: «والرفق سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهذا قيل: «ليكن أمرك بالمعروف بالمعروف، ونهيك عن المنكر غير منكر» (١٩)

خاتمة

هذه بعض المعالم والأسس المنهجية والعلمية التي تشملها قاعدة «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» هذه القاعدة الفقهية الدعوية التي تبرز بوضوح أهمية التقعيد الفقهي المقاصدي، وأثره في فقه الدين وفقه الدعوة وفقه الواقع وفقه التنزيل للدين بمنهج الدعوة الفطري، فيسهم بذلك في ترشيد المناهج الدعوية التي يجب أن تقوم على هذه المعالم الأساسية إقامة للدين وبعثا للفطرة السوية التي فطر الله الناس جميعا عليها، قال تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (الروم:٣٠).

الهوامش

١- ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: حديث رقم: ١٣٢٥.
٢- صحيح مسلم- كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان - حديث : ٩٥، وسنن ابن ماجه- كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- حديث :٤٠١١.
٣- أحكام القرآن : ١ / ٢٩٣.
٤- المستدرك على الصحيحين للحاكم - كتاب الفتن والملاحم حديث: ٨٦٢١. وسنن ابن ماجه: كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حديث: ٤٠٠٩.
٥- قواعد الأحكام في مصالح الآنام: ١ / ١٢٧.
٦- في ظلال القرآن : ١١/ ٥٠.
٧- شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال : ٤٢٨.
٨- إعلام الموقعين : ٣ / ١٦.
٩- قواعد الأحكام : ١/ ١٢٨، ١٢٩.
١٠- الفروق: ٤ / ٢٥٥، ٢٥٧.
١١- النهاية في مجرد الفقه والفتوى: ٢٩٩.
١٢- الجامع لأحكام القرآن: ٤ / ٤٨ ، ٤٩.
١٣ - التجديد السياسي «رؤية إسلامية» : ١٧٤.
١٤- منهاج القاصدين: ١٢٤.
١٥- منهاج القاصدين: ١٢٣.
١٦- صحيح ابن حبان كتاب البر والاحسان باب الرفق حديث ٥٥٢.
١٧- موطأ الإمام مالك كتاب الاستئذان باب ما يؤمر به في السفر من العمل حديث: ١٧٨٢.
١٨- منهاج القاصدين: ١٢٣.
١٩- الاستقامة : ٢ / ٢١٠.

أجهزة الإنعاش.. حقيقتها وحكمها

د. سيد حبيب بن أحمد

أوّلًا: حقيقة الإنعاش ومفهومه

أ- مفهوم الإنعاش

يقصد بالإنعاش في عالم الطب: «المعالجة المكثفة التي يقوم بها طبيب أو مجموعة من الأطباء ومساعدوهم لمساعدة الأجهزة الحياتية حتى تقوم بوظائفها، أو لتعويض بعض الأجهزة المعطلة قصد الوصول إلى تفاعل منسجم بينها».

والأجهزة الحياتية الأساسية للإنسان هي الدماغ، القلب، الرئة، الكلى، الدم للتوازن بين الماء والأملاح.(١)

وعليه فحقيقة الإنعاش تقوم على محاولة الطبيب إعطاء المصاب فرصة ليعود فيها تنفسه وقلبه ودماغه إلى الوضع الطبيعي، أو إلى ما هو أدنى من ذلك، أو أفضل مما كان عليه قبل الإصابة باستخدام أجهزة معينة.(٢)

ب- المراد بأجهزة الإنعاش(٣)

هي عبارة عن مجموعة من الأجهزة، والعقاقير، وأهم من ذلك المجموعة المدربة من الأطباء والممرضين التي تستخدم هذه الأجهزة بمهارة في إسعاف المصاب، وتتمثل هذه الأجهزة في الآتي:

١- المنفسة (المنَفاس)

وهي أنواع مختلفة متعددة، والمستخدم منها في الإنعاش هو النوع الذي تقوم فيه المنفسة بعمل الجهاز التنفسي.. وتحرك بذلك القفص الصدري في حركة تشبه حركتي الشهيق والزفير الطبيعيتين.

ويستخدم هذا النوع من المنفسة

(١) عندما يرى الطبيب- مثلا- أن التنفس قد توقف أو أوشك على التوقف، فإنه يقوم حينئذ بإدخال أنبوبة إلى القصبة الهوائية، ويوصل ذلك إلى المنفسة.

(٢) ويستخدم هذا الجهاز أيضا أثناء العمليات التي يستخدم فيها التخدير الكامل.

٢- أجهزة إنعاش القلب.. ومنها

أ- جهاز مانع ذبذبات القلب (مزيل رجفان القلب)

وهو جهاز يعطي صدمة كهربائية لقلب اضطرب نظمه، أو توقف توقفا بسيطا.

يوضع الجهاز على الصدر، ويمرر تيار كهربائي محدثا تنبيها للقلب، فيؤدي ذلك إلى انتظام ضربات القلب، أو يعيد القلب للعمل من جديد في حال التوقف.

ب- جهاز منظم ضربات القلب (ناظم الخطى)

وهو عبارة عن جهاز صغير، موصل بسلك، يتم إدخال هذا السلك إلى أجواف القلب، وبعدها يبدأ الجهاز بتوليد شرارات كهربائية بشكل منتظم، مما يؤدي لتحريض ضربات القلب بشكل منتظم.

ويستخدم هذا الجهاز إذا كانت ضربات القلب بطيئة جدا، أو مضطربة جدا، مما يؤدي لهبوط ضغط الدم، أو توقف تام للقلب.

٣- أجهزة الكلية الصناعية

وهي عبارة عن أجهزة تعوض عن وظيفة الكلى في تنقية الدم والجسم من السموم والماء المحتبس فيه.

٤- مجموعة من العقاقير: يستخدمها الطبيب لإنعاش التنفس أو القلب أو تنظيم ضرباته.(٤)

ثانيًا: الأسباب الداعية لوضع أجهزة الإنعاش على المريض

الأسباب الداعية لوضع أجهزة الإنعاش على المريض ثلاثة.. وهي

(١) توقف تنفس المريض فجأة لأي سبب من الأسباب.. غرق، حرق، تنفس

باحث شرعي في مكتب الشؤون الفنية بوزارة الأوقاف الكويتية

مواد سامة.

(٢) توقف قلبه فجأة.. مرض بالقلب، اضطرابات النبض، مواد سامة... الخ.

(٣) إصابة دماغية في حادث سيارة مثلا، أو أثناء عملية جراحية لإزالة ورم بالدماغ.(٥)

ثالثًا: الأسباب الداعية لرفع أجهزة الإنعاش عن المريض

(١) شفاء المريض ورجوعه إلى الحالة الأولى.

(٢) وفاة المريض.

(٣) موت دماغه، أو جذع دماغه بحكم الأطباء.

من الأسباب التي تدعو إلى إيقاف وسائل الإنعاش عن المريض هو موت دماغه بجميع أجزائه، أو موت جذع الدماغ فقط (مما يؤكد عدم رجوع الحياة نهائيا) مما يترتب على إبقاء المريض مرتبطا بجهاز الإنعاش رغم تلف دماغه النهائي من الأضرار الكثيرة، ومنها

١- أن في ذلك بذل جهد كبير فيما لا طائل تحته، بل يقرب من كونه نوعا من العبث؛ حيث أثبتت الدراسات العلمية أن من توفرت فيه كل شروط تشخيص موت الدماغ قد وصل إلى نقطة اللاعودة، وأن توقف بقية الأعضاء عن العمل لابد أن يحدث بعده بمدة.

٢- غرف العناية المركزة في كل مستشفيات العالم محدودة العدد ومخصصة لإعطاء عناية متواصلة في كل ثانية، حتى تستقر حالة المريض الصحية، وهو بحاجة ماسة لمثل هذه المراقبة والعناية، ووجود مريض تلف دماغه نهائيا على هذه الأجهزة يحجز مكان مريض آخر يكون إنقاذ حياته ممكنا بإذن الله تعالى.

٣- تكاليف العناية المركزة باهظة سواء تحملتها الدولة أو الفرد، فمن الأولى إنفاقها فيما يعود بالنفع على المريض أو أسرته بدلا من إهدارها بما لا جدوى منه.

من أسباب إيقاف وسائل الإنعاش عن المريض موت دماغه بجميع أجزائه

٤- العاملون في وحدات العناية المركزة يصابون بالإحباط لمعرفتهم أن مآل جهودهم آلي، ويؤثر ذلك على مستوى عنايتهم بالمرضى الآخرين.

٥- زيادة آلام أقارب المريض وذويه ومعاناتهم بتكرار رؤيتهم له جثة هامدة(٦).

٦- وجود مرضى آخرين هم بحاجة إليها (التزاحم على الأجهزة).

رابعا: حكم الإنعاش (حكم وضع أجهزة الإنعاش على المريض)

الإنعاش شكل من أشكال التداوي، إلاّ أنه شكل خاص جدا، ويختلف الحكم باختلاف الغرض والقصد من الإنعاش الصناعي، ولا يخلو الغرض من الإنعاش من أمرين

الأمر الأول: أن يكون الإنعاش لمحاولة إنقاذ الأرواح التي يتعرض أصحابها لأزمات وقتية وعلاجها (وهذا هو الغالب من غرض الإنعاش)

حكم هذه الحالة: اتفق العلماء على جواز الإنعاش في هذه الصورة شرعا.(٧)

وإنما اختلفوا في كونه واجبا كفائيا أو مندوبا إليه على قولين:

القول الأول: أنّه واجب كفائي(٨)، وهو الراجح؛ لأن وضعية المصاب في هذه الحالة هي كوضعية الغريق الذي يصارع الموج وهو لا يحسن السباحة، أو كوضعية من وقع تحت ركام من الهدم، فالإنقاذ واجب كفائي.

فأما كونه واجبًا: فذلك أن حالة الإنعاش لا تختلف عن أي حالة من حالات الاضطرار التي تقلب حتى حكم التحريم إلى الوجوب حفاظا على الحياة التي هي من المقاصد الضرورية الخمس، على أن المصاب في كثير من حالات الإنعاش يكون فاقدا للوعي أو هو تحت تأثير وطأة الإصابة لا يتمكن من أخذ القرار المبني على التأمل.

وأما كونه كفائيًا: فإن خاصية الواجب الكفائي أن الخطاب يتوجه إلى كل فرد من الأفراد المؤهلين للقيام بالعمل، وإذا قام به البعض وتحققت المصلحة سقط الطلب، وهذا يقتضي:

١- أن إعداد الاختصاصيين في الإنعاش واجب، تأثم الأمة كلها إذا لم تعن بتخريج هذا النوع من الأطباء.

٢- أن إعداد الأجهزة وأدوية الإنعاش بالقدر الكافي والمُمَكّن من الاستفادة منه هو واجب كفائي أيضًا، تتحمله الدولة أولا.

٣- أن واجب الاختصاصي أو المجموعة موالاة رقابة المصاب مراقبة تحقق الهدف من الإنعاش، وهنا يكون كل تقصير متعمد موجبا لتحمل المقصر مسؤولية نتائج التقصير.(٩)

القول الثاني: أنّه مندوب إليه، وممن قال به الشيخ عبدالقديم يوسف؛ وذلك من قبيل الأخذ بما ترجح عنده في حكم التداوي، وأنه مندوب إليه.(١٠)

الأمر الثاني: أن يكون الإنعاش بهدف إطالة الموت، واحتكار الميت الموجود في المرحلة الثالثة للموت (وهي الموت الخلوي) لجهاز الإنعاش، لا لسبب إلاّ لتأجيل إعلان الموت.

حكم هذه الحالة: لا يجوز استعمال أو تشغيل أجهزة الإنعاش في هذه الحالة؛ لأن مراكز الرعاية الطبية المركزة بالمستشفيات هي لإنقاذ الأرواح، وليس لدفع الموت أو تأجيله.(١١)

تكييف الإنعاش

اختلف العلماء في تكييف الإنعاش، فمنهم من جعله من باب التداوي، فيكون مندوبا إليه، ومنهم من جعله من قبيل إنقاذ الغريق، فيكون واجبا، والراجح أنه من باب الإنقاذ، فيكون واجبا كفائيا.

خامسًا: حالات رفع الأجهزة عن المريض مع حكم كل حالة

إذا قرر الأطباء وجوب وضع المريض على أجهزة الإنعاش، فلا يسوغ لهم رفع تلك الأجهزة إلاّ إذا زال السبب الذي استدعى وضع تلك الأجهزة.

ولا يخلو أحوال المريض في غرفة الإنعاش من أربع حالات.. هي

الحالة الأولى: أن تعود أجهزة المريض من التنفس، وانتظام ضربات القلب إلى حالتها الطبيعية وهو البرء التام أو الأخذ في طريق النقاهة، وحينئذ يقرر الطبيب رفع الجهاز؛ لتحقق السلامة وزوال الخطر.

الحالة الثانية: التوقف التام للقلب والتنفس، وعدم القابلية لآلة الطبيب، وحينئذ يقرر الطبيب موت المريض تماما بموت أجهزته من الدماغ والقلب، ومفارقة الحياة لهما، وعليه يقرر الطبيب رفع الجهاز؛ لتحقق الوفاة.

الحكم الشرعي لرفع أجهزة الإنعاش في هاتين الحالتين

يجوز- بل يلزم- (١٢) رفع أجهزة الإنعاش في هاتين الصورتين عن المريض بلا خلاف بين العلماء والأطباء، وفي قوانين جميع دول العالم؛ لزوال السبب الذي استدعى وضع تلك الأجهزة على المريض، وذلك لسلامة المريض في الحالة الأولى، وتحقق موته في الثانية.(١٣)

الحالة الثالثة: هي حالة موت الدماغ، بأن مات دماغه بجميع أجزائه، أو مات جذع دماغه فقط.

وبيان ذلك: أن يتوقف الدماغ عن قبول أي غذاء، وتستمر الأجهزة الأخرى في العمل بواسطة القيام بالمعالجة المكثفة (أجهزة الإنعاش) فالآلة تحرك الرئتين، والتعديل الدموي يقوم به المراقبون، ويتبع هذا أن المصاب يجري الدم في عروقه ويفرز افرازاته، وقد تدوم هذه الحالة الشهر والشهرين أو أكثر، فالحياة الذاتية قد ذهبت إلى غير رجعة، وهي الحياة الحيوانية التي يقودها المخ توزيعا وتنظيما؛ لأن مركز القيادة (جذع الدماغ) قد دمر تدميرا كاملا، وتبقى حياة صناعية أو نباتية كما يعبر عنها(١٤).

الحكم الشرعي لرفع أجهزة الإنعاش في هذه الحال

أكثر العلماء المعاصرين- بل كادوا أن يتفقوا- (١٥) على جواز رفع أجهزة الإنعاش عن الشخص الذي مات دماغه بجميع أجزائه، أو مات جذع دماغه بشروط- مع اختلافهم في اعتبار موت الدماغ موتا شرعيا- وقد جاء على جواز رفع الأجهزة في تلك الحالة:

١- القرار التاريخي لمجمع الفقه الإسلامي لمنظمة المؤتمر الإسلامي ١٤٠٧هـ، حيث إن القرار أجاز رفع أجهزة الإنعاش عن المريض في هذه الحال، كما اعتبر أيضا موت الدماغ موتا شرعيا تترتب عليه جميع الأحكام المقررة على الموت شرعا.(١٦)

٢- قرار المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي ١٤٠٨هـ، حيث أجاز القرار رفع الأجهزة في مثل هذه الحال، إلاّ أنّه لم يعتبر الشخص ميتا من الناحية الشرعية، ولا تسري عليه أحكام الموت إلاّ بعد توقف قلبه ودورته الدموية.(١٧)

٣- توصية ندوة «الحياة الإنسانية.. بدايتها ونهايتها» المنعقدة بتاريخ ١٤٠٥/٤/٢٤هـ في الكويت.(١٨)

٤- فتوى لجنة الفتوى بوزارة الأوقاف الكويتية في جلستها المنعقدة في ١٩٨١/١٢/١٤.(١٩)

٥- ونص عليه جماعة من العلماء الأجلاء.(٢٠)

شروط جواز رفع أجهزة الإنعاش في حالة موت الدماغ

اشترط الذين قالوا بجواز رفع الأجهزة في هذه الحال شروطا، وهي:

١- أن يكون الشخص ميؤوساً منه، ولا يوجد أدنى أمل في شفائه.(٢١)

٢- أن يكون قرار موت الدماغ من لجنة مكونة من ثلاثة أطباء اختصاصيين خبراء.(٢٢)

٣- أن يكون الفريق الطبي الذي يعلن موت الدماغ لا مصلحة له، ولا يشترك في أخذ الأعضاء من هذا المصاب الذي توفي دماغه، بل إن الفريق الذي سينقل الأعضاء ليس له الحق مطلقا في إعلان موت الدماغ.(٢٣)

٤- أن يتضمن قرار الأطباء بيان أن جميع وظائف دماغه قد تعطلت تعطلا نهائيا وأن هذا التعطل لا رجعة فيه.

٥- أن يأخذ دماغ المصاب في التحلل.(٢٤)

٦- توفر الداعي لفصل الأجهزة.. وهو أحد أمرين:

أ- إذا كانت أجهزة الإنعاش التي تخصصت لهذا الذي مات دماغه والتي أبقيناها على هذا الجسم قد وجد من هو أحوج لهذه الأجهزة منه من حيث تحقق شفائه بها أو وجود حياة كاملة فيه.

ب- إذا كانت النفقات التي يتطلبها مواصلة الإنعاش تلتهم من الرصيد المالي ما يعود بالضرر على مستوى العلاج لبقية المرضى كحال الدول التي لا تمتلك قوة مالية.(٢٥)

أدلة القائلين بجواز رفع الأجهزة

١- بالنسبة للذين اعتبروا موت الدماغ موتا شرعيا، كفاه دليلا على جواز رفع أجهزة الإنعاش اعتباره هذا.

٢- أن إبقاء المريض مرتبطا بجهاز الإنعاش رغم تلف دماغه النهائي يترتب عليه الأضرار التي تقدم ذكرها في الأسباب الداعية لرفع أجهزة الإنعاش.

٣- أنّه برفع الأجهزة لا يوقف علاجا يرجى منه شفاء، وإنما يوقف إجراء لا طائل من ورائه في شخص محتضر.

٤- أن فيه إنهاء لما يؤلمه من حالة النزع والاحتضار.

٥- أن التداوي إنما يجب أو يسن عندما يتيقن الشفاء به أو يترجح، أما إذا لم يكن هذا أو ذاك فلا يشرع.(٢٦)

هل عارض أحد في رفع الأجهزة عن ميت الدماغ؟

قد أشار بعض المؤلفين إلى من عارض في ذلك، ومنهم:

١- الباحثة ندى محمد نعيم الدقر حيث قالت: «وهناك فريق صغير من المعارضين لموت الدماغ لم يجز رفع أجهزة الإنعاش».(٢٧)

يجوز رفع أجهزة الإنعاش إلا أن المريض لا يعتبر ميتا من الناحية الشرعية

٢- الشيخ محمد المختار الشنقيطي، حيث قال: «وهناك بلدان تعتبر هذا العمل إجراما، وتعد المريض حيا في هذه الحالة، فلا تجيز سحب الأجهزة عنه مطلقا».(٢٨)

٣- ما استخلص من رأي الشيخ عبدالله البسام، وهو قوله: «من هذا كله أنا أخلص إلى أن أجهزة الإنعاش، أرى أنها تبقى في المريض مهما كانت حالته ومهما كان مرضه، تبقى فيه حتى تنتهي حياته نهاية طبيعية».(٢٩)

فيفهم من إطلاقه عدم جواز رفع أجهزة الإنعاش عن ميت الدماغ، ولكن هذا النص يفقد أهميته بتوقيع الشيخ على قرار مجلس المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي القاضي بجواز رفع أجهزة الإنعاش إذا تعطلت جميع وظائف دماغ المريض نهائيا.

الحالة الرابعة: مغمى عليه، لكنه حي الدماغ، وميؤوس منه ويعيش حياة نباتية.

أقوال المعاصرين في هذه الحالة (الميؤوس منه غير ميت الدماغ)

لم نجد أحدا نصّ على رفع الأجهزة عنه، والذي تم الوقوف عليه هو التصريح بعدم رفع الأجهزة عنه؛ لأنه لا تزال به الحياة، اللهم إلاّ عند تزاحم الأجهزة، فهذا موضوع آخر.

وهذه بعض أقوال المعاصرين في ذلك:

١-قول الشيخ عبدالله البسام: «حالة الإنعاش في حكم الأحياء، فزوجته لا تزال باقية في عصمته، ولو تقدم على موته موت قريب له فإنه يرثه، ولو اعتدي عليه اعتبر الاعتداء على حي، فبناء عليه أنّه في هذه الحالة معدود في حكم الأحياء، وإن كانت حياته ميؤوسا منها، أو سواء كانت مرجوة، إذا علمنا هذا فكيف نجهز عليه ونقضي على حياته بسحب هذه الأجهزة، فما سحب هذه الأجهزة إلاّ كترك غريق في لجة البحر، أو كترك حريق يحترق في النار لا فرق بين هذا وهذا، كلهم قابل للحياة.

من هذا كله أنا أخلص إلى أن أجهزة الإنعاش، أرى أنها تبقى في المريض مهما كانت حالته ومهما كان مرضه، تبقى فيه حتى تنتهي حياته نهاية طبيعية».(٣٠)

فهذا نص صريح منه بعدم جواز رفع أجهزة الإنعاش عن المريض الميؤوس منه .

٢- قول الشيخ محمد المختار السلامي: «اعتقد أن ما جاء من إثارة فضيلة الشيخ عبدالله البسام هو غير وارد أصلا؛ لأنه إذا بقيت الحياة فلا يجوز رفع أجهزة الإنعاش أصلا».(٣١)

٣-الشيخ أشرف الكردي أيضا له كلام حول هذا حيث اعتبر رفع أجهزة الإنعاش في هذه الحالة جريمة لا تغتفر.

سادسًا: قول الشيخ ابن باز- رحمه الله- في رفع الأجهزة عموما

وقفت له على قول يتعلق برفع أجهزة الإنعاش عن ميت الدماغ، حيث سئل سماحته: هل يحكم بموت المتوفى دماغيًا؟

فأجاب: «لا يحكم بموته، ولا يستعجل عليه، وينتظر حتى يموت موتا لاشك فيه، وهذه عجلة من بعض الأطباء حتى يأخذوا منه قطعا وأعضاء ويتلاعبوا بالموتى، وهذا كله لا يجوز».(٣٢)

هذا ما تيسر جمعه في هذه المسألة، فإن كان صوابا فمن الله تعالى، وله الحمد والفضل، وإن كان غير ذلك، فمني، وأستغفر الله من كل ذنب وخطيئة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الهوامش

(١) انظر: بحث «الإنعاش» للشيخ محمد المختار السلامي، ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٤٨١/٢/٣)؛ المسائل الطبية المستجدة للحجازي (٣٧/٢)؛ موت الدماغ بين الطب والإسلام، لندى محمد نعيم الدقر (٢١١).

(٢) وهذه الإصابة تكون لأحد ثلاثة أسباب، سيأتي ذكرها في «الأسباب الداعية لوضع أجهزة الإنعاش على المريض».

(٣) المصطلحات المترادفة لأجهزة الإنعاش: أجهزة الإنعاش المعقدة، العناية المكثفة، العناية المركزة، إبقاء آلة الطبيب. كل هذه المصطلحات أسماء لمسمى واحد. انظر: فقه النوازل لبكر أبي زيد (٢١٧/١).

(٤) انظر: موت القلب أو موت الدماغ للدكتور البار (٨٤- ٨٧)؛ موت الدماغ بين الطب والإسلام لندى محمد نعيم الدقر (٢١١- ٢١٢)؛ المسائل الطبية المستجدة للحجازي (٣٨/٢- ٣٩).

(٥) انظر: المسائل الطبية المستجدة للحجازي (٣٧/٢)؛ فقه النوازل لبكر أبي زيد (٢١٧/١)؛ موت القلب أو الدماغ للبار (٨٩).

(٦) دراسة وزارة الصحة بالمملكة العربية السعودية عن موت الدماغ، ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٧٤١/٢/٣) وانظر: المسائل الطبية المستجدة للحجازي (٤٣/٢-٤٤)؛ موت القلب أو موت الدماغ للدكتور البار (١٠٠-١٠١).

(٧) انظر نقل الاتفاق في مجلة البحوث الفقهية المعاصرة (٨١/١٨).

(٨) وممن قال به: الشيخ محمد المختار السلامي. وكونه واجبا كفائيا هو بالنسبة للمجتمع الإسلامي، إن قام به بعضهم سقط عن الباقين، وإن لم يقم به أحد أثم الجميع. أما بالنسبة للمريض فهو واجب، يأثم بتركه، إذ يعرض حياته للخطر؛ قال تعالى: ﴿ولا تلقو بأيديكم إلى التهلكة﴾ (البقرة: ١٩٥)، وقال البغوي: «إذا علم الشفاء بالمداواة وجبت».

(٩) بحث «الإنعاش» للشيخ محمد المختار السلامي، ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٤٨١/١/٢- ٤٨٢) وانظر: المسائل الطبية المستجدة للحجازي (٤١/٢)؛ موت الدماغ بين الطب والإسلام لندى محمد نعيم الدقر (٢١٤).

(١٠) ومما قاله في ذلك: «وإذا عرفنا أن حكم التداوي الندب، سهل علينا أن نعرف حكم استعمال أجهزة الإنعاش الطبية الصناعية الحديثة، فيكون حكمها جواز استعمالها، وتكون مندوبة خاصة لمن يرى الأطباء أنها لازمة لتركب على جسمه، ومادام استعمالها مندوبا فإن بقاءها مشغلة على من ركبت على جسمه حتى تموت أجهزة جسمه الرئيسة ليس بواجب». انظر: المسائل الطبية المستجدة للحجازي (٤٢/٢).

(١١) وقد أصدر الشيخ جاد الحق فتوى بأنه «يمنع شرعا تعذيب المريض المحتضر باستعمال أية أدوات أو أدوية، متى بان للطبيب أن هذا كله لا جدوى منه، وأن الحياة في البدن ذاهبة لا محالة إلى الموت الكلي» انظر: مجلة البحوث الفقهية المعاصرة (٨٢/١٨).

(١٢) قال الشيخ بكر أبوزيد: «فإذا قرر الطبيب المختص المتجرد من أي غرض أن الشخص ميؤوس منه جاز رفع آلة الطبيب، بل يتوجه أنه لا ينبغي إبقاء آلة الطبيب والحالة هذه؛ لأنه يطيل عليه ما يؤلمه من حالة النزع والاحتضار» فقه النوازل لبكر أبي زيد (٢٣٤/٢).

(١٣) انظر: فقه النوازل لبكر أبي زيد (٢٣١/٢)؛ موت الدماغ بين الطب والإسلام للندى (٢١٥)؛ بحث «الإنعاش» للشيخ محمد المختار السلامي، ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٤٨٢/١/٢- ٤٨٣).

(١٤) بحث «الإنعاش» للشيخ محمد المختار السلامي، ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٤٨٢/١/٢- ٤٨٣).

(١٥) فقد قالت مؤلفة كتاب موت الدماغ بين الطب والإسلام (٢١٨) : «وهناك فريق صغير من المعارضين لموت الدماغ لم يجز رفع أجهزة الإنعاش»، ولكنها لم تذكر من هم هؤلاء، كما أنها لم تذكر أدلتهم على ذلك.

(١٦) ونص القرار التاريخي الذي صدر من مجمع الفقه الإسلامي لمنظمة المؤتمر الإسلامي في دورته التي عقدت في الأردن من (١٤٠٧/٣/١٨هـ) القرار رقم(٥/د٣/٨٦/٠٧) بشأن أجهزة الإنعاش:

«يعبر شرعا أن الشخص قد مات وتترتب جميع الأحكام المقررة شرعا للوفاة عند ذلك، إذا تبينت فيه إحدى العلامتين التاليتين:

١- إذا توقف قلبه وتنفسه توقفا تاما وحكم الأطباء بأن هذا التوقف لا رجعة فيه.

٢- إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلا نهائيا، وحكم الأطباء الاختصاصيون الخبراء بأن هذا التعطل لا رجعة فيه، وأخذ دماغه في التحلل.

وفي هذه الحالة يسوغ رفع أجهزة الإنعاش المركبة على الشخص وإن كان بعض الأعضاء كالقلب مثلا لا يزال يعمل آليا بفعل الأجهزة المركبة» مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٨٠٩/٢/٣) وانظر: الطبيب أدبه وفقهه (٢٠٢).

(١٧) نص قرار المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي في دورته العاشرة المنعقدة في مكة المكرمة في الفترة ١٤٠٨/٢/٢٤هـ إلى ١٤٠٨/٢/٢٨هـ:

«المريض الذي ركبت على جسمه أجهزة الإنعاش يجوز رفعها إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلا نهائيا، وقررت لجنة من ثلاثة أطباء اختصاصيين خبراء أن التعطل لا رجعة فيه، وإن كان القلب والتنفس لا يزالان يعملان آليا بفعل الأجهزة المركبة، لكن لا يحكم بموته شرعا إلا إذا توقف التنفس والقلب توقفا تامًا بعد رفع هذه الأجهزة» انظر: مجلة البحوث الفقهية المعاصرة (٥٩/٤).

(١٨) ونص التوصية: «سادسا: بناء على ما تقدم اتفق الرأي على أنّه إذا تحقق موت جذع الدماغ بتقرير لجنة طبية مختصة جاز حينئذ إيقاف أجهزة الإنعاش الصناعية» انظر: موت القلب أو موت الدماغ للبار (١٦٧)؛ موت الدماغ بين الطب والإسلام (٢١٧). هذا مع أن توصيات هذه الندوة لم تعتبر صراحة موت الدماغ موتا، وإنما ألحقته بحكم المذبوح.

(١٩) انظر: المسائل الطبية المستجدة (٤٤/٢).

(٢٠) منهم: د .توفيق الواعي، والشيخ محمد مختار السلامي، والشيخ بكر أبوزيد، ود.محمد سعيد رمضان البوطي، والشيخ عبدالقادر محمد العماري القاضي بالمحكمة الشرعية بقطر، والشيخ القرضاوي، وغيرهم. انظر: المرجع السابق، وموت الدماغ بين الطب والإسلام (٢١٦- ٢١٧).

(٢١) فإن كان الشخص غير ميؤوس منه، أو هناك أدنى أمل في شفائه، فلا ترفع الأجهزة حتى يصل إلى حد اليأس، أو يصل إلى السلامة. انظر: فقه النوازل (٢٣٤/٢).

(٢٢) اشترط هذا الشرط المجمع الفقهي الإسلامي للرابطة، كما تقدم في قرارهم. وانظر أيضا قرارات المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي(٢١). ويلاحظ أنّه لم يقيد الأطباء بالمسلمين العدول، وأما قرار مجمع الفقه الإسلامي لمنظمة المؤتمر الإسلامي فلم يأت على ذكر العدد. وأيضا الشيخ بكر أبوزيد لم يشترط العدد في الأطباء، بل قال: «إذا قرر الطبيب المختص المتجرد من أي غرض أن الشخص ميؤوس منه . ..» فقه النوازل (٢٣٤/٢).

(٢٣) انظر: موت القلب أو موت الدماغ للبار ص (١٠٢)؛ فقه النوازل (٢٣٤/٢).

(٢٤) زاد هذا الشرط مجمع الفقه الإسلامي للمنظمة، كما تقدم في قرارهم.

(٢٥) انظر: المسائل الطبية المستجدة للحجازي (٤٤/٢- ٤٦).

(٢٦) انظر: المسائل الطبية المستجدة ص (٤٦- ٤٧)؛ فقه النوازل لبكر أبي زيد (٢٣٤/٢)؛ موت الدماغ بين الطب والإسلام ص (٢١٦-٢١٧).

(٢٧) موت الدماغ بين الطب والإسلام، ص (٢١٨).

(٢٨) أحكام الجراحة الطبية ص (٣١٩).

(٢٩) مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٥٠٠/١/٢).

(٣٠) مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٥٠٠/١/٢).

(٣١) مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٥٠١/١/٢).

(٣٢) مجموع فتاوى ومقالات له (٣٦٦/٣).

لغة وأدب

تجربة لغوية رائدة

خطوة طيبة خطتها ماليزيا حين أدخلت مادة اللغة العربية كمادة إلزامية في مناهج التعليم ابتداء من الصف الأول الابتدائي حتى التعليم الجامعي، وذلك إلى جانب اللغتين المالاوية والانجليزية، وتهدف هذه الخطوة إلى تقوية روابط الماليزيين بدينهم على اعتبار أن القرآن الكريم لا يمكن تلاوته وفهم أحكامه وتدبر آياته إلا باللغة العربية، هذه التجربة آتت أكلها حين رأينا أعدادًا كبيرة من الطلبة الماليزيين يتقدمون إلى مسابقات حفظ القرآن الكريم وتجويده، وينالون مراتب متقدمة في هذه المسابقات التي تقام على مستوى العالم الإسلامي.

إن تجربة ماليزيا هذه تحتاج إلى دراسة وتأصيل من قبل الدول الإسلامية كافة، لأن اللغة العربية ليست لغة العرب وحدهم وحاجة المسلمين من غير العرب إليها أشد، مما دفع بعض الباحثين إلى القول بأنها فريضة دينية على جميع المسلمين من غير العرب والاعجمين، إذ الإيمان بالإسلام يستلزم الإيمان بالقرآن والقرآن عربي لا يتلى ولا يُتعبد بتلاوته بغيرالعربية، فهل تكون هذه التجربة نقطة البداية نحو وحدة إسلامية جامعة تتناول جميع مجالات الحياة الاقتصادية والفكرية والسياسية.. والله الهادي الى سواء السبيل.

المحرر

لغتنا العربية وتحديات العصر

العالم العربي أو مجموعة الدول العربية أو الأمة العربية لها خصوصية هامة تتميز بها عن دول العالم أجمع وهو أن اللغة العربية تجمعها، فإن الإحصائيات الرسمية تظهر أن اللغة العربية هي ثالثة اللغات انتشارًا في العالم من حيث عدد الدول التي تعتمدها لغة رسمية لها وذلك بعد الإنجليزية والفرنسية، ولكن الخصوصية العربية هي أن مجموعة الدول التي تعتمد اللغة العربية تمتد على رقعة جغرافية من المحيط إلى الخليج(١).

محمد خلف الكاشف

العولمة وثورة الإتصالات والفضائيات من أبرز التحديات التي تواجهها اللغة العربية

إن وجود أكثر من عشرين دولة مترابطة جغرافيًا وتاريخيًا تتحدث لغة واحدة هي نقطة قوة يجب أن نركز عليها وننميها ولا نتنازل عنها، ومسألة اللغة العربية هي أهم المقومات التي يجب أن نؤصلها ونؤكد عليها والتي يمكن أن تكون هي الأساس الرئيسي اليوم لوحدتنا، فنحن نرى المجتمعات حولنا تبحث عن أسس وأصول لتأكيد وحدتها، ونترك نحن الأساس، وهو اللغة الواحدة، يعبث بها العابثون، ولا تتحرك الأجهزة الرسمية أو غير الرسمية في مجال التعليم وفي مجال الإعلام لتضع خطة، أي خطة، لمواجهة هذا الهدم للغة العربية، صحيح أن الهدم يأتي من الخارج ولكنه دائمًا يجد المعاونة في الداخل من تغريب اللغة وتدميرها والاستهزاء بها، ومحاولات إحلال اللهجات المحلية محلها.

وما لاشك فيه أن انتشار النظام الجديد (العولمة) يجعل كل عربي يقف متسائلاً عن فحوى الاختلافات بين الثقافات وبالتالي عن مصير هوية كل شعب من شعوب الدول النامية ومصير لغتنا العربية بين اللغات الأخرى وأي مصير ينتظرها.

فاللغة مؤسسة اجتماعية تختلف باختلاف الشعوب وتحمل وظيفة أساسية هي وظيفة الاتصال، إذ إن هدفها الأساسي التعبير عن الأفكار والرغبات والعواطف ضمن المجموعة البشرية التي تتكلمها، يقول الفيلسوف «كاسيرر»(٢): إن الدور الرئيسي للغة في مختلف النشاطات الإنسانية لا ينحصر في التعبير عن عواطف الإنسان وأفكاره وإبلاغها للآخرين بل يتعدى ذلك ليشمل عملية «التوجه» نحو الداخل (الذات والنفس) والخارج (العالم والواقع) على حد سواء، وهو ينطلق من نظرية نفسية تقول إن مرحلة التكلم عند الطفل تكون مشروطة بانفعاله وحاجاته المباشرة لا برغبته بالتواصل مع الآخرين، ليؤكد أن اللغة تبقى أساس الحياة النفسية الداخلية على صعيد الخيال كما هي على صعيد النشاط الفكري والروحي.

إن أهم الأمور التي تلح على الإنسان العربي أولها تعزيز حضوره الفعال وتثبيت هويته الخاصة به في ساحات المعترك الحقيقي الذي يعيشه العالم بين الثقافات المختلفة بين وجود ثقافة واندثار ثقافات أخرى، ذلك أن تحديد اللغة يقع في صلب تحديد الهوية، كلاهما يقع في أساس فهم التحولات التي نشهدها في الزمن الحاضر، فالهوية تقوم على تفاعل متعدد المستويات بين الفرد ومجتمعه، فإن اللغة وهي الأداة الأولى والأهم في عمليات التواصل والاندماج داخل المجتمع هي كذلك الأداة الأساسية لتحديد الهوية والتعرف على الذات عند الفرد كما عند الجماعة الواحدة، كذلك إذا نظرنا إلى التميز بين هذين النوعين من الهوية «الفردية والاجتماعية» وإلى طرق بنائهما خلال حياة الفرد الواحد وفي تطور المجتمع البشري الواحد، لرأينا أن اللغة تقع في أساسها جميعا، وتنفرد اللغة العربية في هذا المجال عن غيرها من اللغات العالمية بأنها كانت ولا تزال المحور الذي تلتصق به من ناحية هوية الفرد، ومن ناحية هوية الجماعة، وبين هذه وتلك هوية الدين، التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا باللغة العربية، لأنها لغة القرآن الكريم، لغة الإعجاز البياني ولغة الحديث النبوي الشريف، ولكي نعرف مدى هذا الارتباط بين اللغة والثقافة والأمة لابد من العودة إلى مفاهيم اللسانيات الحديثة التي تدرس الكلام وتهتم بالخطاب الفعلي بقدر ما تهتم

باحث لغوي

بالبنية الأساسية للغة.

فالدراسات اللغوية المتطورة تقوم على مبدأ ألا وجود للغة خارج الزمان والمكان، وأن اللفظة تتغير مدلولاتها بتغيرهما، إن كلا من اللغة والفكر يستمد غذاءه المشترك وديناميكيته الخلاقة من الممارسة الفعلية عبر الزمن والتاريخ، تاريخ الفرد وتاريخ المجتمع على حد سواء، إذن لغة الإنسان العربي تحدد هويته، وهوية الإنسان العربي ترتبط في الوقت نفسه بذاكرة لغته وبممارسته الحالية لها، بمعنى أنه ينتمي إلى حضارة عظيمة ساهمت في تطور البشرية وأرست من القيم السامية والممارسات الإنسانية ما جعل أبنائها يفخرون بها، فاللغة العربية في أمس الحاجة اليوم إلى نظرات وتأملات من أجل المحافظة عليها، خاصة أن هذه اللغة تعبر عن أخص خصائص الأمة الإسلامية فهي القاسم المشترك بين الشعوب الإسلامية قاطبة.

كما أن هناك تحديات مختلفة تواجه اللغة العربية مثل تحديات العولمة وثورة الاتصالات والقنوات الفضائية وغيرها من الطفرات العلمية التي طالما نتتبعها صباح مساء، فلم تعد مسألة اختيار أن نقبل أو نرفض ذلك، إنما الأمر يحتاج من العقل العربي أن يحدد الأوليات للمحافظة على إحدى ثوابت الشخصية

المسلمة وإحدى الدعائم والركائز الأساسية في بناء الإنسان العربي المعاصر، فاللغة الجيدة تعبر عن الفكر الجيد، والأمم الجادة هي التي تعنى بلغتها وترسم المناهج الملائمة للمحافظة عليها، فتحديات اليوم أشد وأقوى من تحديات الأمس، لأن التقنية المعاصرة لها دور كبير وخطير في سرعة الاتصال والبث - عبر القنوات الفضائية - لثقافة وفكر الآخر وبالتالي التأثير على اللغة، في مقابل ذلك يظهر عدم تسلح الشباب العربي بالثقافة الإسلامية الجادة، مع الأخذ في الاعتبار أن لغة العلم المعاصر لم تعد اللغة العربية كما كانت في عصور الإسلام الزاهرة.

ويمكننا(٣) أن نطرح بعض التصورات لمواجهة الضعف في اللغة العربية ومواجهة تحديات العصر في المرحلة القادمة وهي:

- **الأمر الأول:** التوعية الإعلامية بأهمية ومكانة اللغة العربية بطريقة ميسرة تلائم حس العصر، ولا مانع من الاستفادة من التقنية المعاصرة مثل الكمبيوتر في وضع برامج بين المادة العلمية الجيدة والطريقة التربوية السيكلوجية المشوقة، وهذا الأمر لا يمكن أن يتوفر عليه فرد بعينه وإنما يحتاج إلى مؤسسة علمية تتبنى هذا الأمر وأن يتوفر عليه علماء من تخصصات مختلفة كاللغة العربية والتربية وعلم النفس والاجتماع ليضعوا برنامجًا يخاطب عقل ووجدان وحس الإنسان المعاصر خاصة أننا نشاهد البرامج الغربية لتعليم اللغات الأجنبية تتمتع بمثل هذه الروح، فلماذا لا نحذو حذوهم فيما يفيد لغتنا العربية؟

- **الأمر الثاني:** أن تكون مادة اللغة العربية مادة أساسية وخاصة النحو والصرف في المرحلة الجامعية بقسميها الأدبي والعلمي، فاللغة العربية قاسم مشترك بيننا جميعًا، ونحن جميعًا أبناء وطن واحد ونتعامل بلغة واحدة ومعتقداتنا بلغة واحدة، والمخاطر التي تداهمنا واحدة، ومن ثم فالمسؤولية شراكة تضامنية للارتقاء باللغة العربية.

- **الأمر الثالث:** تشجيع وتحفيز حفظ القرآن الكريم، وخاصة في الكتاتيب، إذ إن القرآن هو السياج للحفاظ على سلامة اللغة من الضعف، ولا مانع من أن نستحدث وسائل جديدة لمساعدة وتشجيع ذلك.

- **الأمر الرابع:** العالم العربي منوط به مسؤوليات جسام تتمثل في أن يحتل مواقع عديدة على شبكات الإنترنت، لتعليم وتبسيط اللغة العربية للناطقين بها، ولغير الناطقين بها، وذلك الأمر يحتاج إلى صحوة من عالمنا العربي من المحيط إلى الخليج، كما أن مجامع اللغة العربية في وطننا العربي بما تحوي من مجهودات كبيرة في مراجعة وتطوير اللغة لتلائم مستجدات العصر في أمس الحاجة اليوم إلى التنسيق فيما بينها من أي وقت مضى، وتوجيه الرأي العام والمواطن العربي بالأسلوب الأمثل للمحافظة على شخصيته وعلى هويته، وعلى أخص خصائص كينونته.

مراجع

(١) ناصر الأنصاري: مرجع سابق، ص:٣٧.

(٢) د. بسام بركة، مجلة العربي - دولة الكويت - العدد ٥٢٨ مرجع سابق ص: ٨٣.

(٣) د. جمال رجب سيدبي (مقال بعنوان: لغتنا العربية وتحديات العصر) مجلة منير الإسلام، العدد (١) المحرم ١٤٢٢- ٥إبريل٢٠٠١ ص: ٧٨.

اللغة بين اختلاف المواضعة وتفرد الوظائف اللغوية

د. بليغ حمدي إسماعيل

اللغة ككرة، أصلها لغو، من باب دعا وسعى ورضى، ووزنها فعة، حذفت لامها، وعوض عنها هاء التأنيث، وتجمع على لغى، ولغات، ولغون، وهي الصوت مطلقًا، واللهج: الولوع بالشيء والخطأ والسقط: ما لا يعتد به، والنطق والهذيان، والباطل، ولم ترد لفظة لغة في القرآن الكريم، وإنما ورد مكانها اللسان، بينما وردت لفظة «اللغو» في غير معنى اللغة.

أما بالنسبة إلى مفهوم اللغة اصطلاحًا فإن إيجاد تعريف ملائم للغة أمر في غاية من الصعوبة، وقد أمضى علماء اللغة والفلاسفة القرون العديدة في محاولة إيجاد تعريف ملائم للمصطلح، والتعريف ما هو في حقيقة الأمر إلا نظرية مركزة، والنظرية ببساطة ما هي إلا تعريف موسع.

وقد اهتم القدماء والمحدثون من اللغويين بتقديم تعريف للغة يوضح معناها، ويبين المقصود بها، وقد نال التعريف الذي قال به «ابن جني» شهرة واسعة لدى المحدثين من اللغويين العرب، واهتم الكثيرون بشرحه وبيان مقصده، ويرى ابن جني اللغة على أنها «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم». وهذا التعريف دقيق في جوهره مع عناصر تعريف اللغة عند الباحثين المعاصرين، فهو يؤكد على جانب الطبيعة الصوتية للرموز اللغوية، ويبين أيضًا أن وظيفتها الاجتماعية هي التعبير ونقل الأفكار في إطار

البيئة اللغوية.

وقد تعددت تعريفات اللغة بتعدد المذاهب والاتجاهات المختلفة التي تنظر إلى اللغة سواء باعتبارها أداة يتبادل أفراد المجتمع الواحد بواسطتها الأفكار، والمعارف، أو باعتبارها وسيطا يسهل عملية الاتصال بين أفراد المجتمع، وفي ضوء هذين الاتجاهين تعددت التعريفات واختلفت فيما بينها.

ويرى ميللر Miller اللغة على أنها «استعمال رموز صوتية مقطعية يعبر بمقتضاها عن الفكر»، ويعرفها جون كارول John Carroll بأنها «النظام المتشكل من الأصوات اللفظية الاتفاقية وتتابعات هذه الأصوات التي تستخدم أو يمكن أن تستخدم في الاتصال المتبادل بين جماعة من الناس، والتي يمكن أن تصف بشكل عام الأشياء والأحداث والعمليات في البيئة الإنسانية».

بينما يرى موريس MORRIS اللغة بأنها «مجموعة من علامات ذات دلالة جمعية مشتركة ممكنة النطق بين أفراد المجتمع المتكلم بها كافة»، وهي ذات ثبات نسبي في كل موقف تظهر فيه، ويكون لها نظام محدد تتآلف بموجبه حسب أصول معينة وذلك لتركيب علامات أكثر تعقيدًا.

وتعرف دائرة المعارف الأميركية اللغة بأنها «نظام من العلامات الصوتية الاصطلاحية»، ويعرفها سابير بأنها «وسيلة تفاهم خاصة بالإنسان تمكنه من تبادل الأفكار والعواطف والرغبات بواسطة رموز صوتية اصطلاحية على وجه التغليب والتعميم يصدرها أعضاء النطق إراديًا».

وتعرف الموسوعة الفرنسية اللغة بأنها «علامات مركبة تولد في الشعور إحساسات متباينة، إما مستثارة أو مباشرة، أو مخمنة عن طريق الارتباط». ويعرف ماكس موللر اللغة بأنها «تستعمل رموزًا صوتية مقطعية، يعبر بمقتضاها عن الفكر».

وعرّف علماء النفس اللغة فرأوا أنها مجموعة إشارات تصلح للتعبير عن حالات الشعور، أي عن حالات الإنسان الفكرية والعاطفية والإرادية، أو أنها الوسيلة التي يمكن بواسطتها تحليل أية صورة أو فكرة ذهنية إلى أجزائها أو خصائصها، والتي بها يمكن تركيب هذه الصورة مرّة أخرى بأذهاننا وأذهان غيرنا، وذلك بتأليف كلمات ووضعها في ترتيب خاص.

كاتب مصري

وهناك تعريفات عديدة أخرى، تتفق حينًا وتختلف حينًا آخر. ولعلّ مصدر التباين في هذه التعريفات ناشئٌ عن منطلقات أصحابها الفكرية. فمن تعريف وصفي خارجي، إلى تعريف نفسي داخلي، إلى آخر يمثل نظرة فلسفية معينة لواقع الإنسان ووجوده ونشأته.

علمًا أن الناظر إلى واقع اللغة الإنسانية- وصفًا و تقريرًا- يجد أنها أصوات وألفاظ و تراكيب منسقة في نظام خاص بها ، لها دلالاتٌ و مضًامين معينة، يعبّر بها كل قوم عن حاجاتهم الجسدية وحالاتهم النفسية ونشاطاتهم الفكرية.

وفي ضوء المواضعات السابقة للغة نجد أنها مجموعة إشارات تصلح للتعبير عن حالات الشعور المختلفة، أي عن حالات الإنسان الفكرية والعاطفية والإرادية، وهي الوسيلة التي يمكن بواسطتها تحليل أية صورة أو فكرة ذهنية إلى أجزائها أو خصائصها المميزة، والتي يمكن بها تركيب هذه الصورة مرة أخرى في أذهاننا، وأذهان غيرنا من أفراد المجتمع الواحد، وذلك بوضعها في ترتيب وتنظيم خاص.

كما أن اللغة قدرة ذهنية تتكون من مجموع من المعارف اللغوية، بما فيها المعاني والمفردات والأصوات والقواعد

اللغة قدرة ذهنية تتكون من مجموع من المعارف اللغوية بما فيها المعاني والمفردات والأصوات والقواعد

التي تنظمها جميعًا. كما أنها نظام من الرموز الصوتية يتألف من أصوات تنجم عن جهاز النطق البشري، وإنساني فهو نتاج للجهد الجماعي البشري، ونظامي لأنه يخضع لقواعد تقرر تركيبه. وعندما نحاول التوفيق بين المواضعات المختلفة للغة نستطيع أن نخرج بمجموعة من السمات الخاصة التي تصف اللغة، وهي:

١- اللغة لها طبيعة منظمة وتوليدية.

٢- اللغة مجموعة من الرموز العشوائية.

٣- هذه الرموز صوتية ولكنها قد تكون مرئية.

٤- الرموز تستعمل للاتصال بين الجماعات.

٥-اللغة توجد في مجتمع وثقافة.

٦-الأفراد يكتسبون اللغة بنفس الطريقة تقريبًا، أي أن اللغة والتعليم اللغوي لهما جميعًا صفات عامة متماثلة.

٧- اللغة أداة للفكر، وتعبير عن العاطفة.

٨- اللغة جزء من كيان الإنسان الروحي.

٩- اللغة عملية فيزيائية اجتماعية على غاية من التعقيد.

ولقد تناول علماء اللغة ، وعلماء النفس قضية اكتساب اللغة، في محاولة- قد تكون جادة- لتفسير كيفية اكتساب الفرد للغة. وقد اختلفت الآراء بشأن تلك القضية أو الظاهرة، بحسب فلسفتهم وإطارهم المرجعي، ولم تعد اهتمامات علم اللغة الحديث مقتصرة على الجوانب النظرية والتحليلية في دراسة اللغة فقط، بل أضيفت إليها اهتمامات، ومهام جديدة- خاصة بعد ظهور علم اللغة التطبيقي- تهدف إلى خدمة المجتمع، ومن هذه المهام: الاهتمام بدراسة عيوب النطق ومشكلات التخاطب والكلام، وعلاجها إن أمكن، ومنها أيضًا الاهتمام بدراسة نمو الطفل اللغوي، ومنها أيضًا الاهتمام بدراسة ظاهرة اكتساب اللغة، بالإضافة إلى دراسة مهارات الاتصال اللغوي، وغير ذلك من الموضوعات التي لها علاقة وثيقة باللغة والمجتمع.

وللغة بصفة عامة وظائف مهمة رصدها العلماء واللغويون والباحثون دون التفرقة بين اللغة المكتوبة، أو المسموعة، أو المنطوقة، حيث إن هذه الاعتبارات الثلاثة تؤدي وظيفة واحدة هي التفاهم بين أفراد المجتمع الواحد، ولاريب في أن وجود عدة لغات وقت التنزيل أظهر لنا فضل العربية، وشرفها على سائر اللغات، وتكريم الله بالاختيار كلغة لكتابه الأخير ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾.

وإذا كانت الأدبيات اللغوية أسهبت في الحديث عن أهمية ووظيفة اللغة وتعدد مناحي استخداماتها، فيمكن أن نحدد أهمية ووظيفة اللغة في مظهرين اثنين، الفردي والاجتماعي، ولعل هذا التقسيم يتفق مع ما يسمى بالكفاءة اللغوية.

فأما على المستوى الفردي، فاللغة تسهم في إخراج الفكرة من ذهن صاحبها إلى عالم الإدراك الخارجي، فتترجمها إلى صورة بارزة ذات كيان ومعالم، فالإنسان تجول في خاطره مجموعة من الأفكار والمعاني تظل كامنة إلى أن يقدمها في صورة مكتوبة، أو منطوقة، ويستطيع أن يصور ويجسد بذلك مشاعره واتجاهاته المختلفة، واللغة بذلك تعد أداة للفكر ووسيلة للتعبير عما يدور في خاطر الإنسان من أفكار، وما في وجدانه من مشاعر وأحاسيس.

ويرى أصحاب النظرة الفكرية للغة أن اللغة نظام لاكتساب العادات، ويكتسب الفرد من خلالها الخبرة عن طريق التجربة، وأن آليات الذهن اللغوية تعتبر مدخلا عامًا لفهم طبيعة عمل الآليات الأخرى كالإدراك البصري

والحدث.

ويرى «فندريس» أن اللغة في بعض الأحيان تستطيع أن تعدل من العقلية وتنظمها، فعادة وضع العقل في مكان بعينه دائمًا يمكن أن تؤدي إلى صورة خاصة في التفكير، وأن يكون لها أثر في طرق الاستدلال، ويؤكد فندريس أن اللغة إذا كانت مرنة وخفيفة ومقتصرة على الحد الأدنى من القواعد النحوية سمحت للفكرة بالظهور في وضوح تام وأتاحت لها حرية الحركة.

وتبرز أهمية اللغة في علاقتها بالفكر والتفكير، حيث إن هناك علاقة وطيدة ومباشرة بين اللغة والفكر تتضح لنا ما إن نربط بين تجريدية الفكر وحقيقة أن اللغة نظام يعمل على مستوى المفاهيم والمجردات من مقولات وعلاقات وسمات، كما أن اللغة وسيلة لإدراك ظواهر ثنائية مثل الزمان والمكان، حيث إنها تعبر عن الماضي والحاضر والمستقبل، والتوقف والاستئناف والاستمرار.

وفي إطار العلاقة التبادلية بين اللغة والفكر تبدو العلاقة التبادلية في أوضح صورها، فكما يسمو الفكر بلغته، يمكن للغة أن تسمو بفكر صاحبها، ويشهد تاريخ الفكر الإنساني أن اللغة كانت أشد الأسلحة الأيديولوجية ضراوة، وهي الوسيلة والأداة القوية في السيطرة على الفكر.

وعن طريق اللغة يقوم الإنسان بالعمليات التفكيرية من تفسير وتحليل وموازنة وإدراك للعلاقات، واستخراج للنتائج وتجريد وتعميم، ثم يصب ناتج كل هذه العمليات عندما تمده اللغة بالرموز التي تحدد له المعاني وتحمل له الأفكار.

لذا أصبح من الواضح لنا بشكل مطرد أن الحديث عن التفكير مع تجاهل اللغة يفتقد كثيرًا إلى التوازن نظرًا لأن الألفاظ ليست فقط ذات أهمية قصوى في تعلم المفاهيم ولكنها أيضًا الوسط أو القناة الموصلة لجميع أنواع التفكير.

وقد قدم عالم النفس فيجوتسكي Vygotsky أفضل تحليل مستنير للتفاعل بين اللغة والتفكير في كتابه «التفكير واللغة» عام ١٩٦٢، حيث يرى أن للغة وظيفتين لهما نفس المستوى من الأهمية، أولهما الاتصال الخارجي، والثانية التحكم الداخلي بأفكاره الداخلية.

ولقد بسط العلماء العلاقة بين اللغة والتفكير مثل سابير وهكتر هامرلي وبارلي ماكلافن، حيث إن المعاني غير محددة وغير ثابتة وفي حالة تشكل دائمًا تكون مبهمة مختلطة بغيرها حتى إذا جاء اللفظ عمد إلى تحليل المعاني وتصنيفها، ومن ثم تحديدها وتثبيتها.

ونقرب لهذا مثلًا من اللغة العربية، فالإيمان معنى كامن في النفس نحس به ونستشعره دون أن نقوى على تحديده، فإذا عبرنا عنه بالألفاظ ميزنا الإيمان عن الإسلام عن التقوى عن الإحسان، وقلنا إن الإيمان ما اعتقده القلب وصدقته الجوارح.

أما على المستوى الجمعي فإن اللغة هي المستودع التعليمي للمعارف والمعايير الثقافية والتاريخ الاجتماعي المتوارث عن طريق العملية التعليمية، وتعمل اللغة «كالغراء الاجتماعي الذي يتم بموجبه الشعور بالماضي والحاضر والمستقبل».

واللغة بهذا المنظور الاجتماعي بلاشك أبرز ملامح ثقافتنا العربية، وهي أكثر اللغات الإنسانية ارتباطًا بالهوية، وهي اللغة التي مازالت سجلًا أمينًا لحضارة أمتها في ازدهارها وانتكاسها، لذا فاللغة اجتماعيا سلاح قوي في مواجهة تفتيت التكتل الإسلامي في ظل العولمة. وتزداد يومًا بعد يوم مساهمة اللغة في تحديد الأداء الكلي للمجتمع الحديث، فهي تساعد في تدعيم العلاقات التي تربط المجتمع، وأهم العوامل التي تحدد ثقله الاستراتيجي.

وإذا نظرنا للغة باعتبار مهاراتها الأربع، نرى الدور المهم لها في حياة المجتمع، حيث إنها سلاح الفرد في مواجهة كثير من المواقف التي تتطلب الكلام أو الاستماع أو القراءة أو الكتابة، وهذه المهارات أدوات مهمة في إحداث عملية التفاهم في جميع نواحيها، ولاشك أن من أهم الوظائف الاجتماعية للغة ما تبرزه الخطب السياسية والمقالات وأساليب الدعاية.

واللغة ليست أداة صناعية خارجة عن علاقاتها بالمجتمع الذي تعيش فيه، بل هي صورة له، نابضة بالحياة، فإذا كان المجتمع متخلفًا ظهرت آثار التخلف في لغته، متخلفة معه، وإذا كان مجتمعًا راقيًا بدا الرقي في لغته، كذلك فالشعوب البدائية يتكلمون لغة مادية لا تعرف الفكر أو المعاني الكلية، أما الشعوب الراقية ذات الثقافة والفكر فتحمل لغاتها سمات حياتها العامة والخاصة التي تستطيع أن تعبر في صور متعددة، وعبارات لا تحتاج إلى الإشارات، واللغة العربية تجنح إلى العقلية والخيال والتعبير عن الشيء منظورًا إليه من جهات متعددة.

ولم تعد اللغة مجرد أداة اتصال نعبر بواسطتها عن المفاهيم والأفكار والقيم ونحفظ بها التراث الثقافي والعلمي فحسب، وإنما أخذت تلعب دورًا رئيسًا في عملية التنمية الروحية والاجتماعية والعلمية والتكنولوجية، وأصبحت وسيلة أساسية لتوحيد الأمة سياسيا، لما في اللغة من قوة تتجاوز أهميتها من التعبير إلى التغيير.

مجالس الأدب

وليد عبدالباري الخطيب

حضرنا منتدى الأدبِ
ونلنا غاية الأربِ
بأشعار مهذبةٍ
تناغم حِسُّنا الأدبي
ونوقد شمعة أخرى
فتطوي ظلمة الحجبِ
تبادلنا بلا ملَلٍ
ولا لهوٍ ولا لعبِ
قطوفًا من قصائدنا
وما قد جاء في الكتبِ
فيصحو الليل مبتسمًا
على إيقاعنا العربي
ونبدو في سعادتنا
وما منَّا بمكتئبِ
يطوفُ من يحاضرنا
بنا في عالم رحبِ
بفكر نيرٍ وسطٍ
بلا وهم ولا كذبِ
بلا كللٍ ولا سأمِ
ولا يشكو من التعبِ
يجلي فكرة نضجت
بإسهاب ومقتضبِ
بعمق في ثقافته
وفكرٍ واسع خصبِ
فما أحلى تسامرنا
مع الأشعار والنخبِ
نجوم الليل تحسدنا
وتبغي القرب.. واعجبي!
ألا تدنو فتبصرنا
أخا الإسلام والنسبِ
فنحن القوم ينهضنا
بحق منتدى الأدبِ
نهلنا منه معرفة
وما بتنا على سغبِ
فأقبل نحونا رملاً
ولو أقبلت من حلبِ
فمن يحضر مجالسنا
فلا يأسَ على الذهبِ

شاعر سوري

د.صلاح عبدالتواب رئيس قسم الأدب والنقد في جامعة الأزهر:

الأدب الإسلامي يراعى حقوق الطفل ويتفاعل مع فضائل الحياة

حوار: فاروق الدسوقي

للدكتور صلاح الدين عبدالتواب، رئيس قسم الأدب والنقد بجامعة الأزهر، آراؤه المميزة في الأدب الإسلامي التي كونها خلال رحلة طويلة عاشها معلمًا ودارسًا لهذا الفن الراقي من الأدب الذي يعبر عن الإنسان منذ مراحل الطفولة، وجميع مراحل الحياة، حيث يرى أن الأدب الإسلامي يرعى حقوق الطفل ويتفاعل مع فضائل الحياة.

ويضيف أن الأدب الإسلامي لم يفته أن يعطي للطفولة حقها تصورًا وتصويرًا، وتأثرًا وتأثيرًا بما يجعل الأطفال يشعرون منذ نعومة أظفارهم بأنهم كيان ينبض ويحس ويؤثر ويتأثر وينفعل ويتفاعل مع كل ما يدور حولهم في الحياة.

وقال في حواره لـ«الوعي الإسلامي»: لهذا كان إحساس الأدباء الكبار بأهمية الأدب الإسلامي، والأعمال الأدبية التي يقدمونها للأطفال، فأهميته بالنسبة للطفولة ترجع إلى أن الأطفال هم الذين تتاح لهم الفرصة في هذه الحياة ليمتد بهم العمر لفترة أطول مما يتاح للكبار، ومن ثم فإن ما يتعلمه الأطفال ويتأدبون عليه منذ صغرهم يمتد معهم طيلة عمرهم في هذه الحياة.

يؤكد الدكتور صلاح الدين عبد التواب أن الأطفال أسرع استجابة من الكبار، وأشد قبولاً وتأثرًا بكل ما ينشأون عليه من علم وأدب، وقد قيل: إن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، ومن هنا كانت العناية واضحة بهذا الأدب الخاص بالأطفال منذ القديم، ويؤكد هذه العناية ما حفلت به كتب التراث في أدبنا العربي والإسلامي، ولعنا نذكر في هذا المقام ما كان يعرف بأشعار الترقيص وأغاني المهد، حيث كان هذا الفن الأدبي الذي يخاطب به الصغار مجالاً لتصوير عاطفة الأبوة والأمومة تجاه الأطفال وفلذات الأكباد، وقد كان الآباء والأمهات لا يتركون فرصة سانحة لهم مع أطفالهم إلا ويتغنون لهم بما يبعث روح البهجة والمرح في نفوس أطفالهم، وهم يأملون فيهم ولهم الخير والسعادة في مستقبل حياتهم.

ويقول: وكان الشعر في نظره بلسمًا به تسمو المهج والأرواح، وواضح انه لم يكن الشعر وحده في ميدان أدب الطفولة، فقد كان هناك من روائع النثر الأدبي ما عني بالناشئة من الأبناء والبنات، وفي أمهات كتب التراث الكثير والكثير من تلك الفرائد، وكان مما ذكره صاحب العقد الفريد في هذا المجال، قول سليمان الحكيم لابنه وهو يعظه: «يا بني، استعذ بالله من شرار الناس، وكن من خيارهم على حذر، يا بني، لا تركن إلى الدنيا ولا تشغل قلبك بها فإنك لم تخلق لها، وما خلق الله خلقًا أهون عليه منها؛ فإنه لم يجعل نعيمها ثوابًا للمطيعين، ولا بلاءها عقوبة للعاصين، يا بني، لا تضحك من غير عجب، ولا تمش من غير أرب، ولا تسأل عما لا يعنيك، يا بني، لا تضيع مالك وتصلح مال غيرك، فإن مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت، يا بني إنه من يرحم يرحم، ومن يصمت يسم، ومن يقل الخير يغنم، ولم يقل الباطل يأثم، ومن لا يملك لسانه يندم، يا بني زاحم العلماء بركبتيك، وأنصت إليهم بأذنيك؛ فإن القلب يحيا بنور العلماء كما تحيا الأرض الميتة بمطر السماء».

ولعل هذه العظة البليغة، وهي تعد من روائع الأدب الرفيع، تذكرنا بما حكاه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم عن لقمان في عظته لابنه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣)، ثم يتابع القرآن الكريم ذكر وصايا لقمان لابنه فيقول الله تعالى في آياته: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (لقمان: ١٧).

ويضيف د.عبدالتواب قائلاً: ومع متابعتنا لروائع الأدب مما ذكرته كتب التراث عن توجيه الآباء للأبناء نجد من وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى ابنه عبدالله رضي الله عنه قوله: «فإن من اتقى الله وقاه، ومن اتكل عليه كفاه، ومن شكر له زاده، ومن أقرضه جزاه، فاجعل التقوى عمارة قلبك وجلاء بصرك، فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا خير لمن لا خشية له،

صغارنا في أمسّ الحاجة للقيم والأخلاقيات التي يجب أن يضمنها أدباؤنا في أشعارهم وقصائدهم الدينية

ولا جديد لمن لا خلق له».

وكان مما قاله علي بن أبي طالب إلى ولده محمد بن الحنفية- رضي الله عنهما-: «أذك قلبك بالأدب كما تذكي النار بالحطب، واعلم أن كفر النعمة لؤم، وصحبة الأحمق شؤم، ومن الكرم منع الحرم، ومن حلم ساد، ومن تفهم ازداد ...».

وانطلاقًا من هذه القيم الرفيعة الخلاقة التي تناقلناها عبر الأجيال، والتي حفلت بها أمهات الكتب من تراثنا العظيم، وبتأثير من هذا الأدب الهادف استمرت مسيرة الأدب الإسلامي على مر السنين، ثم تلقف الراية أدبنا العربي والإسلامي في العصر الحديث، فوجد أمامه كنزًا لا ينفد، ومعينًا لا ينضب من أسمى القيم وأعلاها، وأرفع المثل وأغلاها، تمثلت أولًا في كتاب الله الخالد المعجز الذي لا يَأْتِيه الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، بما فيه من عقائد وتشريعات، وحِكَمٍ وأحكام، وقصص وأخلاقيات، وعبر وعظات، وعلم وعمل، ثم تمثلت بعد ذلك في القدوة الطيبة التي أهداها الله لأمة الإسلام، والرحمة العامة التي أرسلها الله للعالمين، وكانت هذه الرحمة المهداة ببعثة سيدنا محمد ﷺ، فكان سيدنا محمد بحق الرسول القدوة، وصدق الله العظيم حين قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ... ﴾ (الأحزاب: ٢١)، وكان محمد بحق كما قال ربه في شأنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

ويمضي رئيس قسم الأدب والنقد بجامعة الأزهر قائلًا: لقد اكتملت عظمة الرسالة مع عظمة الرسول ﷺ، فكانت خير أمة أخرجت للناس، ولم يكن ذلك قولًا، بل كان فعلًا سجله التاريخ وصدقته الوقائع والأحداث، وشهده وعاشه واقعًا عمليًا كل من عاش وقائعه وأحداثه، فلم يكن عجيبًا بعد كل هذا أن يتلقف ذلك كله الأمناء من الأدباء في عصرنا الحديث، ويصورونه أدبًا صادقًا حيًا يستلهم منه الكبار والصغار على السواء معاني العزة والكرامة والبطولة والتضحية والفداء.

ولما كان صغارنا وفلذات أكبادنا في أمسّ الحاجة إلى مثل هذه القيم والأخلاقيات وتلك المثل والبطولات، فقد شمر المخلصون من أدبائنا في العصر الحديث عن سواعد الجد، وأبرزوا لأطفالنا أمجاد أمتهم، وبطولات قادتهم، وبينوا لهم سمو رسالتهم، وذلك حتى تقوى عزائمهم وتعلو هممهم، ثم يمضون في مسيرتهم حتى يكونوا خير خلف لخير سلف، ومن ثم كانت انطلاقة أدب الأطفال في عصرنا الحديث، وبرز في هذا الأدب رواد جديرون بكل إعزاز وتقدير، من أمثال الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي الذي فتح الأذهان إلى ميدان أدب الطفولة في العصر الحديث، وكان كتابه «المرشد الأمين للبنات والبنين» من بواكير الأعمال الأدبية والتربوية التي تعنى بأبناء الأمة وبناتها، وتلفت أنظار الكبار إلى وسيلة من وسائل تعليم وتأديب وتربية الصغار، وكان مما قاله الشيخ رفاعة في مقدمة كتابه: «وعمت هذه المجموعة التي جاءت وفق المراد ولم تدع في هذا المعنى المتمنى مطمعًا، ولا لقوس الاقتراح منزعًا، زفت إليها- أي إلى هذه المجموعة- أبكار المعالي، وسميتها المرشد الأمين للبنات والبنين».

وكان مما قاله الشيخ رفاعة الطهطاوي في كتابه، الذي اشتمل على عدة فصول ومطالب، تحت عنوان «مطلب في ترك المرأة تربية أولادها لغيرها»، قال فيه: «ومن سوء التربية أن الأم تكل تربية أولادها إلى غيرها بدون أن تلاحظ تربية أولادها بنفسها، فإن الأم بما أودع فيها من الشفقة والرأفة على أولادها، هي أولى وأرفق بالتربية ولتعديل مزاج أبنائها، فإذا ربت امرأة أولادها إلى سن التمييز تربية حسنة أو معنوية، ينقش في أذهان الأبناء اعتدال المزاج والاتصاف بمكارم الأخلاق وتهذيبها».

وتمضي المسيرة مع رواد أدب الأطفال في العصر الحديث، فنجد محمد عثمان جلال، أحد رواد القصة الشعرية على لسان الحيوان والطير في أدبنا العربي المعاصر، ومن أشهر مؤلفاته في أدب الأطفال «العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ»، ويشتمل على مائتي قصة شعرية، وكلها تهدف إلى النصح والإرشاد واستلهام العبرة والعظة من المواقف والأحداث التي تجري في هذه القصص بين أنواع الحيوان والطير، من مثل حكاية «الغراب والثعلب»، فهي تهدف إلى بيان قيمة التفكير الصحيح قبل التسرع في اتخاذ قرار، والحرص على اليقظة وعدم الانخداع بمعسول الكلام، وأهمية الرجوع إلى الحق وصوابه قبل فوات الأوان، وقد تجلى هذا وغيره في حكاية الغراب مع الثعلب، حيث انخدع بمكر الثعلب المخادع، حتى ضاع منه ما كان قد حصل عليه من الطعام، ثم ندم وتاب.. وعلى هذا النمط مضى محمد عثمان جلال في عرض قصصه الشعرية من أجل الأطفال وتوعيتهم وضرب الأمثال لهم، وواضح أن هذا الكتاب كان مرحلة تالية لما بدأه رفاعة الطهطاوي في كتابه المرشد الأمين، فإذا كان المرشد الأمين وضع المنهج التربوي للآباء والأمهات والمربين لتعليم وتأديب الأطفال، وقدم النماذج المختارة من الأمثال والمواعظ، وكان يتصل بأدب الأطفال.. فإنه كان بحاجة إلى المربي الوسيط الذي يقوم بتقديم هذه القصص الشعرية للأطفال، خاصة إذا كانوا في مرحلة من العمر مبكرة، وقراءتها لهم قراءة صحيحة ومعبرة مع شرح أبعاد القصة بعد توضيح مضمونها.

حقائق الإسلام وأباطيل خصومه

د.أيمن محمد الجندي

كان لهذا الكتاب الرائع، «حقائق الإسلام وأباطيل خصومه» لمؤلفه الأستاذ عباس محمود العقاد أبلغ الأثر في وجداني عبر رحلة العمر، ذلك أن العقاد احترم عقل القارئ مستخدما علمه الموسوعي في المقارنة بين العقائد المختلفة ليقنع القارئ العادي كم هو الإسلام جوهرة ثمينة تستحق منا أن نصونها في سويداء القلب، ما يجب التنويه إليه مقدما أن عموم منهج العقاد في تناوله للكتب السماوية السابقة يعتمد على النسخ المتاحة والموجودة حاليا، وليس على الأصل السماوي الذي تم تحريفه حسب عقيدة المسلمين.

١- العقيدة الإلهية

القرآن هو الكتاب الوحيد الذي قدم الصورة المتكاملة للإله الخالق التي لهثت البشرية وراءها، فالعهد القديم- في نسخته الحالية- يقدم لنا إلها يحب رائحة الشواء ويتمشى في ظلال الحديقة ليتبرد بهوائها، يصارع عباده ويصرعونه، إنه «يهوا» إله شعب إسرائيل الخاص بالقبيلة الذي يعبدونه لأنه أقدر على حمايتهم من الآلهة الأخرى ولذلك يعتبر الكفر به خيانة وطنية لا أكثر، كان النبي آرميا يقول على لسان الرب «إن آباءكم قد تركوني وذهبوا وراء آلهة أخرى وعبدوا وسجدوا لها».

عقيدة شعب مختار بين الشعوب في إله مختار بين الآلهة، وليس في العقيدة إيمان بالتوحيد ولا هي تتسع لديانة إنسانية أو مقدمة للإيمان بالإله الذي يدعو إليه الإسلام.

وحتى الفلاسفة تخبطوا أيما تخبط في صفات الخالق رغم ملكاتهم النقدية الرائعة، ها هو أرسطو يتصوره كمالا مطلقا لا يعمل «لأن العمل طلب لشيء والإله غني عن الطلب» ولا يريد «لأن الإرادة اختيار بين أمرين والله لديه

عباس محمود العقاد

الأصلح والأفضل» ولا يهتم بالخلق «لأن الخلق يجب أن يطلبوا الكمال بالسعي إليه» باختصار.. كمال مطلق يوشك أن يكون والعدم سواء.

أما إله الإسلام فهو ملك الناس إله الناس ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى، وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾، خالق الموت والحياة ﴿وللَّه خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ واحد بلا شركاء ﴿لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد﴾. متكامل الصفات ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ يعلم كل شيء ﴿وسع ربنا كل شيء علما﴾ لا يأخذ أحدا بذنب أحد ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ يصحح تلك الصورة الخاطئة التي جاءت في فلسفة أرسطو بأنه لا يعقل ذاته ولا دونها ليؤكد أنه عالم الغيب والشهادة ﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة﴾ وهو سبحانه وتعالى ﴿بكل خلق عليم﴾ ليس غافلا عما يفعله العباد ﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ فاعل بإرادته كيفما شاء ﴿ألا له الخلق والأمر﴾

٢- النبوة

كانت النبوة تختلط مع السحر والكهانة والجنون المقدس وتقوم على الغرائب والأعاجيب، وقد عرفت ديانات العبريين نبوءات السحر والكهانة والتنجيم كما عرفتها الشعوب البدائية، كانوا يقصدون صموئيل ليدلهم على مكان الماشية الضائعة وينقدونه أجرا على ردها، وكانوا يعولون على النبي يعقوب عليه السلام في التنجيم. ووجب على النبي في عرفهم أن يكون مستعدا بكراماته ومعجزاته في كل وقت كلما أريدت منه.. بل وصل الأمر إلى ما يشبه مباريات الرياضة بين فريقين متنافسين وقد ثبت لهم غلبة أنبياء «يهوا» على أنبياء «بعل» على أثر مباراة في التنبؤ والإنذار بالأخطار.

ثم جاء محمد ﷺ، رجل ليس بساحر ولا بكاهن ولا مجنون ولكنه إنسان كسائر الناس، لا يعلم الغيب، لا يملك خزائن الأرض ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إليّ﴾، لا يستطيع دفع السوء

كاتب وباحث اكاديمي

عن نفسه فضلا عن قومه ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله﴾ فالأمر كله لله عز وجل ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾.

لا يعرف صناعة الخوارق والمعجزات فيقول لمن يطالبه بها ﴿سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا﴾ وحينما أتته المعجزة طائعة بكسوف الشمس وقت دفن ابنه إبراهيم وتهامس المسلمون أنها كسفت حزنا عليه لم ينسه الحزن أمانة الهداية للمؤمنين فبادرهم بقوله «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته» وكان بوسعه ﷺ أن يسكت فلا يدعيها ولا ينكرها.

٣- الإنسان

الإنسان في القرآن الكريم لا يعرف الخطيئة الموروثة ولا يحاسب بذنب أبيه ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾، ارتفاعه وهبوطه منوطان بالتكليف وقوامه الحرية والتبعة فهو بأمانة التكليف قابل للصعود إلى قمة الخليقة وقابل أيضا للهبوط إلى أسفل سافلين.

بهذه الأمانة ارتفع فوق مكانة الملائكة لأنه قادر على الخير والشر فله فضل على من جبل على الخير لأنه لا يقدر على غيره ولا يعرف سواه، وربما هبط إلى دون منزلة الشياطين ولا يزال في الحالتين إنسانا مكلفا قابلا للنهوض بنفسه بعد العثرة قابلا للتوبة بعد الخطيئة بعد أن تكرم الله بفتح باب التوبة مهما أذنب العبد.

٤- الشيطان

عرف الإنسان الشر والخير منذ قديم الأزل وكانت عقيدة الهند أن المادة كلها شر فلا خلاص منه إلا بالخلاص من الجسد بينما كانت عقيدة مجوس فارس أن الشر من عند إله الظلام والخير من إله

الشيطان في الإسلام قوة الشر ولكنها قوة بلا سلطان

النور. مصر الفرعونية تصورت أن الإله ست شرير مع خصومه خير مع أتباعه. ولم تتميز الديانة العبرانية بفاصل حاسم وكانوا ينسبون العمل الواحد إلى «يهوا» مرة وإلى الشيطان مرة فجاء في كتاب صموئيل الثاني أن الرب حينما غضب على إسرائيل أمر داود بإحصائهم بينما جاء في كتاب الأيام أن الشيطان هو الذي وسوس لداود.

وانفصلت الصفات الإلهية والشيطانية بعد ظهور المسيحية وأصبح للإله عمل وللشيطان عمل ولكنه عمل جسيم لأنه سمي في الأناجيل باسم رئيس هذا العالم فقد كانت له مملكة الدنيا ولله ملكوت السموات وبلغ من نفوذه سقوط الجنس البشري بعد الخطيئة ووجوب الكفارة بالفداء.

الشيطان في الإسلام هو قوة الشر ولكنها قوة بلا سلطان على ضمير الإنسان ما لم يستسلم لها بهواه وضعفه ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ و ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ و﴿وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي﴾، والشيطان لا يعرف الغيب، ﴿لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾، وبهذه العقيدة الوجدانية الفكرية أقام الإسلام عرش الضمير.

٥- العبادات

العبادة المثلى هي تلك التي تنبه ضمير الإنسان إلى وجوده الروحي وتشغله بمطلب غير مطالب جسده، وعبادة المسلم تنبهه إلى ذلك فهو في صلاته يستقبل النهار والليل واقفا بين يدي الله مستهديا إياه في عمله، متذكرا حق الروح في صيامه، ومتذكرا نصيب الإنسانية في زكاته، معانقا إياها في فريضة الحج التي تتمثل فيها الأخوة الإنسانية في أبلغ صورها وكأنها صلة الرحم مع البشرية بأسرها. ومما تتميز به العبادات الإسلامية أنها لا تحتاج لوسيط أو كهانة. يصلي حيث أدركه موعد الصلاة ولا تتقيد صلاته الجامعة بمراسم كهانة ويؤمه في هذه الصلاة من هو أهل للإمامة. ويصوم ويفطر ويزكي ويحج إلى بيت لا سلطان فيه ولا حق عنده لأحد.

٦ الديموقراطية الإسلامية

معجزة الديموقراطية الإسلامية أنها لم تكن نباتا نما في الجاهلية وورثه الإسلام ولا منقولا عن تربة أجنبية، بل كانت معجزة إلهية تقوم على المساواة ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾، والمسؤولية الفردية ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾ وقيام الحكم على الشورى ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾، وهي العناصر الثلاثة التي نادى بها الإسلام لأول مرة في تاريخ الأديان. ونبي الإسلام هو القائل ﷺ: «لا فضل لعربي على عجمي ولا لقرشي على حبشي إلا بالتقوى» وهو القائل في خطبة الوداع: «أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب». وهو القائل: «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا. يا عباس بن عبدالمطلب ما أغني عنك من الله شيئا، يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا».

خراسان (٢-٢)

إن من أحب الأشياء إلى النفس أن تتعرف على منطقة أو مدينة كانت حاضرة المناطق، ثم غيبتها الأيام، ونسيها سكان الزمان.

مدن كانت نسبًا لعلمائها الذين ملأوا الدنيا علمًا، فعرفتهم أقاصي المعمورة، وطوّف ذكرهم البلاد، على حين زالت هذه المدن مع تقلب الأيام، واندرست، وطمست معالمها، أو استبدل باسمها آخر.

وإنّ من أحب الأشياء إلى النفوس أن تعرف عالما طار صيته، ثم تعلم موقع بلده، لتقرن العلم بالمكان، والسمع بالحس، والمعرفة بالبيئة، والنبوغ بالمصدر، وتكون خيبة أملها شديدة عندما تبحث فلا تصل، وتفتش فلا تعرف، إذ ضاع الماضي، واندثر الفن، وندبت الحضارة أيامها الخوالي.

وتكون ثورة النفس عنيفة على أمتها وعلمائها الذين لم يضعوا تحت يديها ما يعرفها على ذلك المكان، الذي اقترن بترجمة عالم من العلماء، يذكر كلما ذكر ذلك العالم، ومع ذلك لا يعرف موقعه في خريطة العالم اليوم.

ومن الموضوعات التي يعاني الباحثون من شح المعلومات حولها ما يتعلق بالتعريف بالبلدان التي ينتسب إليها العلماء، حيث إنها وإن كانت معرفة في كتب البلدان القديمة، كمعجم البلدان للحموي، وغيره، إلا أن تحديد موقعها اليوم، وتقديم وصفها الحالي، مما يعجز عن الوصول إليه كثيرٌ من الباحثين، وأنا واحدٌ من أولئك، حيث كنت أجد صعوبة في الوصول إلى بغيتي في هذا المجال في بحوثي الأكاديمية في الجامعة.

ولاشك أن علماء المسلمين اهتموا بعلم البلدان، وأولوه عناية خاصة، وذلك لأسباب كثيرة منها التعرف على الأمصار والأقطار التي ينتسب إليها علماء كان لهم إسهام بارز في التراث الإسلامي، وكان اهتمام المحدثين منهم بهذا العلم أكثر من غيرهم؛ لأن معرفة موطن المحدث من أهم عناصر ترجمته، ولذلك أفردوه كنوع مستقل من أنواع علوم الحديث (١).

وقد زادت الحاجة إلى هذا العلم بعد أن طرأ تغيير واسع على بعض الأسماء المعروفة من نواح عديدة، وبعد أن أهمل الباحثون ذكر كثير من المناطق والأقاليم التي كانت من حواضر العلم، وذلك بعد أن تقاسمتها دول عدة، وضمت إلى أراض واسعة، فضاعت لصغرها النسبي، كما هو حال «خراسان».

وللمساهمة في تذليل هذه العقبات؛ أردت أن أتناول الأمصار التي انتسب إليها العلماء.

د.محمد محمدي محمد جميل
اختصاصي دراسات إسلامية في وزارة الأوقاف الكويتية

تحدَّثت في المقال السابق عن خراسان بما يتناسبُ مع حجم المقالة، ويحسن أن أبدأ هذا المقال عن «خراسان» بقول تاج الدين السبكيِّ حيث قال:

«وخراسان عمدتُها مدائن أربع، كأنما هي قوائمُها المبنية عليها، وهي مرو، ونيسابور، وبلخ، وهراة؛ هذه مدنُها العظام، ولا ملامَ عليك لو قلت: بل هي مدنُ الإسلام؛ إذ هي كانت ديارُ العلم على اختلاف فنونه، والملكُ والوزارةُ على عظمتها إذ ذاك» (١).

وفي هذا المقال سأتحدَّث عن أمرين:

تعليق على ما ذكرتُ في المقال السابق عن فتح خراسان.

وُلاة خراسان، وخراسان من ولاية واحدة إلى ثلاثة أقاليم تتقاسمُها دولٌ ثلاث.

أمّا الموضوع الأول: فيرى فريقٌ من الباحثين(٢) أنّ الحملات الأولى التي وجَّهها أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه إلى خراسان لم يكن المقصودُ منها الفتح والسيطرة، وأنها لا تعدو أن تكون من ضمن الحملات الوقائية التي هدفُها منعُ هجوم محتَمَل على الدولة الإسلامية، التي كانت توجَّه في الفترة نفسها إلى بلاد الشام والعراق.

وبذلك فإنّ مَن وجَّه الجيوشَ لفتح خراسان والسيطرة عليها هو الخليفةُ عثمانُ بنُ عفان رضي الله عنه، الذي أوكلَ قيادتَها إلى والي البصرة آنذاك عبدالله بن عامر، وقد بدأت تلك الحملات سنة (٣١هـ).

على أنّ هذا الفتح لم يكن ثابتًا، بدليل ما نجد من المحاولات المتكررة التي لحقت تلك الفترة لتثبيت النفوذ الإسلاميِّ هناك، والتي كانت لأجل إخماد بعض الثورات التي كانت تستهدفُ المنطقةَ بين الحين والآخر.

أمّا الموضوع الثاني: فسأتحدَّثُ فيه عن وُلاة خراسان من بداية العهد الإسلاميِّ إلى بداية عهد الدويلات، ثم أذكر الدول التي تعاقبت على ولاية خراسان كلِّها أو بعضها، ثم ما وصلت إليه خراسان من التقسيم إلى الدول الثلاث التي تتقاسمُها الآن.

وأنا لا أهتمُّ عمومًا بهذه الناحية في المقالات التي تُنشَر في هذه المجلة، إلا أنّ الحديثَ عن إقليم خراسان بأكمله، وكذلك بقية الأقاليم – كإقليم ماوراء النهر– سأنتهجُ فيه توضيحَ هذا الجانب، لأنّ هذا سيُغني عن الحديث في هذا الأمر عندما أكتب عن مدُن هذه الأقاليم، كما أنّ هذا يُعطي فكرةً عامةً عن الإقليم، والأحداث التي توالت عليه على مرِّ العصور.

كانت خراسان في البداية – بعد الفتح– تتبعُ الوالي في البصرة، وهو يرسلُ إليها نائبًا عنه، ثم أصبحَ والي خراسان يُعيَّنُ من قبل الخليفة، وإن كان يتبع البصرة، أو أنّ والي المشرق يقترحُ ذلك على الخليفة فيعيِّن على أساس مشورته.

أشهر وُلاة «خراسان»

المهلَّب بن أبي صفرة (٧-٨٣)، ولّاه الحجَّاجُ بنُ يوسف، والي المشرق من قبل عبدالملك بن مروان.

وبعد وفاته سنة (٨٣هـ) خلَفَه ابنُه يزيد، وبعد ست سنوات عُزِلَ برأي الحجّاج، الذي كان يخشى بأسَه، وتولّى مكانَه قتيبةُ بنُ مسلم الباهلي، الذي فتحَ بلادَ «ماوراء النهر».

ثم أعيدَ يزيد بن المهلب إلى ولاية خراسان بعد وفاة الوليد بن عبدالملك، وتولية أخيه سليمان، وبقي يزيد على خراسان حتى استُخلف عمرُ بنُ عبدالعزيز – رحمه الله تعالى –، فعزله عمر وسجنَه بحلب.

ثم ولي خراسان عمرُ بنُ هبيرة الفزاري (ت١١٠هـ) أيام يزيد بن عبدالملك.

ثم عُزِلَ ابنُ هبيرة في أيام هشام بن عبدالملك، وسُجِن، وتولى مكانه خالدُ بنُ عبدالله القسريِ (٦٦-١٢٦هـ)، فكان أمير العراقَين، فأرسلَ أخاه أسدًا (ت١٢٠هـ) إلى خراسان، فبقي هناك حتى عام ١٢٠هـ حيث توفي.

وكان هشام قد عزلَ أخاه خالدًا سنة (١٢٠هـ)، وأقامَ مكانَه يوسفَ بنَ عمر الثقفي (ت١٢٧هـ)، فسجنَه يوسف، وعذّبَه، ثم قتلَه، ثم عيَّنَ نصرَ بنَ سيار (٤٦-١٣١هـ)، وقد عَزلَ يزيدُ بنُ الوليد يوسفَ بنَ عمر، وحبسَه في دمشق، وقُتلَ في السجن عام (١٢٧هـ)[1].

هذا الخلافُ بين الولاة، واستبدالُهم بشكلٍ مستمر، خلقَ شيئًا من الفوضى في البلاد، وبدأت العصبيات تذرُّ قرونَها، خاصة ما كان بين اليمانية (ومن زعمائهم، أسد بن عبدالله القسري) والمضرية (ومن زعمائهم، نصر بن سيار)، وأحسَّ والي خراسان نصرُ بنُ سيار بهذه التفرقة، وشعر بخطر العصبية، ولكن بعد أن فات الأوان، وقد استنجدَ يزيدَ بن عمر بن هبيرة (ت١٣٧هـ) والي العراقَين، فلم يجد منه ما كان يؤمِّلُه، وكتبَ أيضًا إلى مروان بن محمد، يُعلمُه حالَ أبي مسلم وخروجَه وكثرة مَن معه.

ولكنه لم يجد نجدةً من أحد، واستطاعَ أبومسلم أن يسيطرَ على خراسان، ثم دالت دولةُ بني أمية، وقامت دولةُ بني العباس، ولله الأمرُ من قبل ومن بعد.

وأولُ والٍ في عهد بني العباس: أبوسلمة حفص بن سليمان (١٣٢هـ)، ثم أبومسلم عبدالرحمن بن مسلم الخراساني (ت١٣٧) مؤسس الدولة العباسية.

لم يمض وقتٌ حتى بدأ عصرُ الدويلات في خراسان، وكانت شبه مستقلة، وإليك بيانها بإيجاز:

الدولة الطاهرية (٢٠٥-٢٥٩هـ)

هذه الدولةُ بدأت بإسناد المأمون ولايةَ خراسان - بل جميع البلاد الواقعة شرقي بغداد- إلى طاهر بن الحسين، وبعد وفاته سنة (٢٠٧هـ) ولّى ابنَه طلحة (ت٢١٣هـ)، ثم خلفَه محمدُ بن طاهر، وكان ضعيفًا، وسقطت الدولةُ الطاهرية على أيدي الصفاريين سنة (ت٢٥٩هـ - ٨٣٣م) بدخولهم مدينةَ نيسابور.

والدولةُ الطاهريةُ كان مقرُّها مدنيةُ «نيسابور»، وبذلك كانت خراسان حاكمةً على جميع المناطق التابعة لهذه الدولة.

الدولة الصفارية (٢٥٤-٢٩٠هـ)

مؤسسُ هذه الدولة هو يعقوبُ بنُ الليث الصفَّار، وكان هو وأخوه عمرو من المتطوعة المجاهدين في سجستان، وصار يعقوب من كبار المتطوعة، واشتهرَ أمرُه سنة (٢٣٧هـ)، واستولى على سجستان، ولكن طاهرَ بن عبدالله -صاحب خراسان- استردَّها منه، وولّى قيادةَ المتطوعة في سجستان لدرهم بن الحسين، ثم تغلَّب يعقوب على درهم، وصار رئيس المتطوعة، وحارَب الخوارجَ والشُّراة، وانفردَ بأمر سجستان، ثم مدَّ نفوذَه على هراة، وبوشنج، ثم دخلت جيوشُه نيسابور - قاعدة الدولة الطاهرية - سنة (٢٥٩هـ).

ثم وسَّع مؤسس الدولة الصفارية حدودَ دولته، وامتدَّ سلطانُه على كلٍّ من: خراسان، وطبرستان، وجرجان، وجزء من بلاد ماوراء النهر، وكرمان، والسند، والأهواز، حتى إنهم تحرشوا بدولة الخلافة، وإن كانوا يدينون لها بالطاعة الاسمية، وعجزَ الخليفةُ المعتمد، وأخوه طلحة الموفق، عن الثبات لهم.

وكان مركزُ دولة الصفاريين سجستان.

الدولة السامانية (٢٦١-٣٨٩هـ)

الدولةُ السَّامانيَّة أسَّسَها أحمدُ بنُ سامان عام (٢٦١هـ)، واستمرَّت (١٧٠) عامًا، وانتَهَت على أيدي الغزنويين سنة (٣٨٩هـ)، وهم آلُ سبكتَكين الذين كانوا من مدينة «غزنَة» التي تقعُ اليوم في الجنوب الشرقيِّ من أفغانستان.

وكان مركزُ هذه الدولة مدينةُ «بخارى»، وقد ازدهرت هذه المدينةُ في أيامهم عمرانيًا وثقافيًا، وكان عصرُهم بالنسبة لمدينة بخارى عصرًا ذهبيًا.

الدولة الغزنوية (٣٥١-٥٨٢هـ)

الغزنويون هم أولاد «سبكتكين»، وكان واليَ السامانيين على «غزنَة» بعد فتحهم لها سنة ٩٦٢م، ثم تطور الأمر فصارَ الوالي الجديد يحكم المنطقةَ باستقلالٍ شبه تام عن السامانيين، ثم ضمَّ إليه مناطقَ أخرى في خراسان، ثم توفي سنة ٩٩٧م، وخلفَه ابنُه المجاهدُ المعروف محمود بن سبكتكين (٩٩٨-١٠٣٠م)، وقضى على الوجود السامانيِّ في خراسان (سنة ٩٩٩م)، وهو الذي حاربَ البُوَيْهيين، واستولى على الرَّيِّ سنة ١٠٢٩م، وبدأ منذ ١٠٠١م في القيام بحملات منظَّمة لغزو الهند، وفتحَ بعضَ مُدُنه، ثم خلفَه ابنُه مسعود (١٠٣٠-١٠٤٠م)، وركَّزَ كلَّ جهوده نحو الهند، ثم بدأت دولةُ الغزنويين في انحسار أمام حملات السلاجقة من ناحية، والغُوريين من ناحية أخرى، فاستولى الغُوريُّون على مدينة «غزنة» سنة ١١٥٠م، وعلى مدينة «لاهور» سنة ١١٨٦م وأنهوا الوجود الغزنويَّ فيها، وبذلك انتهت دولةُ الغزنويين.

وكانت مدينة «غزنة» قاعدةَ الغزنويين من سنة ٩٧٧م إلى سنة ١١٥٦م، ثم اختاروا مدينة «لاهور» الواقعةَ في باكستان عاصمةً لهم، واستمرُّوا فيها حتى نهاية دولتهم.

الدولة الغورية (٥٥٠-٦١٢هـ)

الغُوريون من منطقة «غور» الواقعة في وسط أفغانستان، وهم من قبيلة الشنسباني، وكانت تخدمُ الغزنويين منذ سنة ١٠١٠م، ومنذ سنة ١٠٩٩م أصبحت هذه القبيلةُ ولاةً على «غزنة» من قبل الغزنويين، ثم أسسوا إمارة في «فيروزكوه» منذ ١١٤٦م، ثم استولوا على غزنة سنة ١١٥٠م، ثم سيطروا وحتى ١١٦١م على كل المناطق التي كانت تحت حكم الغزنويين في خراسان، ومنذ سنة ١١٧٨م بدأوا حملاتهم على الهند، بدءًا من بشاور والساحل حتى السند، وباستيلائهم سنة ١١٨٦م على مدينة "لاهور" قضوا على الغزنويين نهائيًا.

وفي سنة ١١٩٣م استولى الغوريون على دهلي (دلهي)، ثم وسَّعُوا مملكتَهم

حتى "كجرات" جنوبًا والبنغال شرقًا (١٢٠٢)، وكان مقتل معز الدين سنة ١٢٠٦م بداية النهاية للدولة الغورية، حيث سقطت أفغانستان (١٢١٢م) في أيدي «الخُوارَزْمشاهات»، والهند (١٢٠٦م) في أيدي القائد التركي أيبك، الذي أسس دولة المماليك في الهند (سلطنة دلهي).

الدولة الخوارزمية (١٠٧٧-١٢٢٠)

نشأت الدولةُ الخوارزميةُ بين أحضان دولة السلاجقة، التي حكمت مناطق واسعة في الشرق الإسلامي، وأولُ مَن برزَ في هذه الدولة هو «أنوشتكين»، وكان مملوكًا للسلطان السلجوقي «ملكشاه»، ونجحَ في أن يحظى بتقدير السلطان ونيل ثقته، فجعله واليًا على إقليم «خوارزم»، وظلَّ على ولايته حتى وفاته سنة (٤٩٠هـ-١٠٩٧م)، فخلفه ابنُه محمد، وكان على مقدرة وكفاية مثل أبيه، فظلَّ يحكم باسم الدولة السلجوقية ثلاثين عامًا، نجح في أثنائها في تثبيت سلطانه، ومد نفوذه، وتأسيس دولته وعُرف باسم «خوارزم شاه»، أي أمير خوارزم، والتصق به اللقب وعُرف به.

وبعد وفاته سنة (٥٢٢هـ -١١٢٨م) خلفه ابنه «أتسز» بموافقة السلطان السلجوقي سنجر، وكان أتسز واليًا طموحًا مد بصره فرأى دولة السلاجقة توشك على الانهيار، فتطلع إلى بسط نفوذه على حسابها، واقتطاع أراضيها وإخضاعها لحكمه، ودخل في حروب مع السلطان سنجر الذي وقف بالمرصاد لطموحات أتسز، ولم يمكنه من تحقيق أطماعه، وأجبره على الاعتراف بتبعيته له، وظل يحكم خوارزم تحت سيادة السلاجقة حتى وفاته في سنة (٥٥١هـ- ١١٥٦م).

وفي الوقت الذي بدأ الضعفُ يدبُّ في أوصال الدولة السلجوقية؛ كانت الدولةُ الخوارزميةُ تزداد قوة وشبابًا، حتى تمكنت من إزاحة دولة السلاجقة، والاستيلاء على ما كان تحت يديها من بلاد، وكان السلطان "تكش" بطل هذه المرحلة، وتعد فترة حكمه التي امتدت أكثر من ربع قرن (٥٦٨-٥٩٦هـ -١١٧٣-١٢٠٠م) العصر الذهبي للدولة الخوارزمية.

وتزامن مع اتساع الدولة الخوارزمية وازدياد نفوذها ظهورُ المغول، وبروزُ دولتهم على يد «تيموجين»، المعروف بجنكيزخان، الذي نجح في السيطرة على قبائل المغول، وإحكام قبضته عليهم، وما كاد يهل عام (٦٠٢هـ -١٢٠٦م) حتى كان قد أخضع لسلطانه كل بدو صحراء جوبي، واتخذ من مدينة «قراقورم» مقرًا له، ثم مد بصره إلى بلاد الصين، حيث الخصب والنماء، فشن حملات عليها، واستولى على مساحات شاسعة من بلاد الصين وتوج جهوده بالسيطرة على العاصمة بكين سنة (٦١٢هـ -١٢١٥م).

وبعد أن أكمل جنكيزخان استعداداته انطلق بجيشه نحو بلاد ماوراء النهر في خريف سنة (٦١٦هـ - ١٢١٩م) وهو يعتقد أنه سيقابل خصمًا قويًا، يحسب له ألف حساب، وبدلًا من أن يخرج الجيش الخوارزمي لملاقاة المغول استقر رأي قادته على ترك المغول يعبرون نهر سيحون، واصطيادهم بعد ذلك في بلاد ماوراء النهر التي لا يعرفون مسالكها، بحيث تنقطع الإمدادات عنهم.

لكن الأمور جرت على العكس تماماً فقد سقطت المدن الخوارزمية الواحدة تلو الأخرى.

وبعد أن أجهز جنكيزخان على بخارى اتجه إلى سمرقند حاضرة إقليم ماوراء النهر، وضرب حولها حصارًا شديدًا، ودار قتال عنيف هلك فيه أكثر الجند الخوارزمي؛ ما أضعف مقاومة أهل سمرقند فطلبوا الأمان نظير تسليم المدينة، فأجابهم المغول، وما إن دخلوا المدينة التعسة حتى أعملوا فيها السيف بعد أن جردوهم من أسلحتهم، وأحرقوا المدينة ومسجدها على من فيه من الناس.

وفرَّ السلطانُ الخوارزميُّ، وطاردته الجيوشُ المغوليةُ من بلد إلى بلد، حتى وصل إلى همذان، وتوفي سنة ٦١٧هـ-١٢٢٠م غما وكمدًا، رحمه الله، وتم استيلاءُ المغول على خوارزم، وعلى بقية مناطق خراسان وسجستان وما جاورَها.

وبذلك انتهت دولةُ «الخوارزمْشاهانات» بيد التتار، وقد أبادَ التتار خلقًا لا يُحصون، ودمَّروا مدنًا كثيرة، منها بعضُ المدن الكبيرة الخراسانية.

خراسان بعد عهد جنكيز

بعد جنكيز تقاسمَ أبناؤه إمبراطوريَّتَه الواسعة، فأسست الدولةُ الإيلخانيةُ في فارس، وحكمت أكثرَ أجزاء خراسان، وقامت الدولة الجغتائيةُ في ماوراء النهر، وحكمت منطقةَ «طخارستان» وحاضرتُها «بلخ»، بينما كانت «هراة» في حكم «الكرت»، الذين حكموها في البداية باسم الإيلخانيين، ثم استقلوا بالحكم، وقد حكموا معظمَ أجزاء خراسان فيما يقرب من قرنين من الزمان.

ثم برزَ تيمور، الذي اتخذ من سمرقند عاصمةً له، واستولى على خراسان، واستمرت أسرتُه تحكمُها إلى عام (٩٠٠هـ)، حيث حصلَ النزاعُ بين خلفاء تيمور و«التركمان» الذين ظهروا في شرقي بحر الخزر، ومع «الأوزبك» الذين سيطروا على جميع خراسان.

وعندما أسست الدولةُ الصفويةُ امتدَّ نفوذها حتى شملَ خراسان، وانزاحَ الأوزبك عن مواقعهم، ولم يبقَ لهم من خراسان سوى بقاع ضيقة جنوبيّ وغربيّ نهر جيحون «آمو دريا».

وفي هذا الوقت كان الروسُ يمدُّون نفوذَهم على أواسط آسيا، ويسيطرون على تلك المناطق جزءًا بعد جزء، فغزوا الجزءَ الأوزبكي بين عامَي (١٢٩٠-١٣٠٥هـ)، إذ دخلوا «خيوة» سنة (١٢٩٠هـ)، و«مرو» سنة (١٣٠٣هـ).

بينما ضُمَّت طخارستان إلى أفغانستان.

وبذلك أصبحت خراسان التي كانت ولايةً واحدةً تتبعُ دولًا ثلاث:

١ - الاتحاد السوفييتي (روسيا)، وكانت تسيطرُ على جمهورية «تركمانستان»، وقد استقلَّت عن روسيا بعد تفكُّك الاتحاد السوفييتي.

٢ - أفغانستان، والتي تتبعُها منطقة «طخارستان»، و«هراة».

٣ - إيران، التي تتبعُها «نيسابور»، و«طوس»، و«طبرستان» (٣).

الهوامش

(١) (طبقات الشافعية الكبرى) للسبكي (٢٣٣/١).

(٢) انظر: «خراسان في العهد الغزنوي» (ص/ب).

(٣) ملخصا من رسالة «خراسان» لمحمود شاكر (ص/٢٨-٤١)، و«خراسان في العهد الغزنوي» د.محمد حسن عبد الكريم العمادي (ص/٧) وما بعدها.

أسرتي

علموا أبناءكم كيف يتحدثون؟

الأبناء أمانة عند والديهم وسيسألون عنهم يوم القيامة، هل ربوهم التربية الصالحة وهل علموهم محاسن الأخلاق وطيب الكلام واختيار الالفاظ عند مخاطبة الناس، وهل جعلوا ألسنتهم رطبة بذكر الله وتلاوة القرآن، وتدبر آياته وحفظ حديث رسول الله ﷺ وتدبر معانيه وقراءة سير التابعين والصالحين والاقتداء بآثارهم.

كل هذه المعاني الجميلة والآداب الرفيعة لابد أن يلقنها الأبوان لابنائهم منذ الصغر حتى يشبوا عليها عند الكبر، وقد جمع لنا العلماء والمربون باقة من آداب الكلام وقواعده عسى أن نلقنها لأبنائنا ومن أبرزها:

- اختيار أجمل الكلام وأحسن الألفاظ عند مخاطبة الآخرين.
- التمهل في الكلام حتى يفهم المستمع المراد.
- تجنب الحديث في مواضيع مشكوك في صحتها.
- اجتناب الثرثرة واللغو الذي لا طائل من ورائه واختصار الكلام.. فخير الكلام ما قلَّ ودلَّ.
- التعقل في الكلام قبل النطق به.. لأن الصمت خير من الكلام في كثير من الأوقات.
- الإصغاء للآخرين وعدم مقاطعتهم اثناء الحديث.
- وصدق الله العظيم: ﴿وهُدوا الى الطيب من القول وهُدوا الى صراط الحميد﴾ (الحج: ٢٤).

سليمان الرومي

هل يراعي الآخرون مشاعرك؟!

أميرة سليمان أبوجية
كاتبة صحافية

● لماذا يجب علي أن أراعي مشاعر الآخرين، بينما لا أحد يراعي مشاعري، أو يحترم حقوقي؟

هل سمعت هذه العبارة تتردد من حولك، أو تحدثت بها إلى نفسك من قبل؟!

● في اعتقادك.. هل غابت المعاملات الإنسانية الراقية بين الناس، وخصوصًا خارج إطار العائلة والأصدقاء وأحيانًا داخله؟

● في رأيك.. هل هناك حاجة ملحة لتعليم أصول اللياقة وآداب السلوك بين الناس في الشارع والبيت والمدرسة والمرافق العامة وغيرها؟

● لا يمكن أن تكون مراعاة مشاعر الآخرين قد أصبحت «موضة» قديمة لا تساير الزمن، هل توافق على هذه العبارة؟

إن أجبت بالإيجاب على معظم هذه الأسئلة فأنت تتوق- مثلي- إلى عالم يسوده الحب والاحترام، وتتطلع معي إلى حياة تزدهر فيها بشكل أكبر أواصر الود وأسباب التراحم ومظاهر المودة.

● إن القول بأن الناس جميعهم لا يبدون على الإطلاق أي مراعاة لمشاعر الآخرين أو اهتمام بحقوقهم، أمر مبالغ فيه، فدائمًا هناك من حولنا أمثله مشرقة- وقد تكون أحدها- لأولئك الذين يحرصون دائمًا على الاهتمام بمراعاة الآخرين من حولهم، ولكن المناخ الاجتماعي في عالمنا قد أصبح، بشكل عام، أقل انسجامًا وأكثر خشونة، ويشكو كثيرون من أن العيش في سلام وتناغم مع الآخرين يزداد صعوبة مع مرور الأيام بعد أن أصبحنا بشكل ما، أقل اكتراثًا للآخرين أو اهتمامًا بمشاعرهم.

● قد نرى من حولنا نماذج لبعض الأفراد الذين يحققون أهدافهم أو مصالحهم في الحياة معتمدين على ما يزعمونه من قوة كالتشمير عن عضلاتهم، أو الاختباء وراء أصولهم العالية أو استغلال النفوذ، أو بالالتجاء إلى التهور وعدم الاكتراث أو غيرها من أشكال القوة الزائفة، وذلك كله على حساب الأشخاص الذين يبدون أضعف لأنهم أكثر اهتمامًا بمشاعر الآخرين، ولا يميلون بطبيعتهم إلى العنف أو الاستعراض.

● وقد كان عدم الاهتمام بمشاعر الآخرين يوصف دائمًا بأنه من النقائض أو الرذائل، بينما يصنف في المجتمعات الحديثة اليوم، كنوع من الفضائل مثل القوة في تأكيد الذات على سبيل المثال.

الأنانية والحرية الشخصية

هناك العديد من الأسباب وراء ظاهرة الافتقار إلى مراعاة الآخرين أهمها الأنانية التي تدفع الشخص إلى التركيز على أولوية تحقيق رغباته الشخصية واحتياجاته الخاصة، ولو على حساب الآخرين، وكذلك سوء فهم الحرية الشخصية ، واساءة استخدامها.

ابدأ الآن واتبع قانون اليوم

طالما نعيش على كوكبنا الأرض فإنه يحتم علينا أن نتعايش مع بعضنا البعض، فإن إظهار اهتمامنا بالآخرين ومشاعرهم هو بطريقة ما عامل من عوامل البقاء، وسر من أسرار الاستمتاع بالحياة.

● لم يفت الوقت بعد لنخرج من أنفسنا، ولنطرح عنا أنانيتنا ولنغير من سلوكنا بتصحيح مفهومنا الخاطئ عن معنى الحرية الشخصية، حتى نستطيع أن نبعث دفئًا من العلاقات الإنسانية من حولنا، ونحصد معًا مزيدًا من الفرح والسعادة، ابدأ الآن واتبع قانون «تعامل مع الآخرين كما تحب أن يتعامل معك الآخرون»، وإن وجدت صعوبة في تنفيذ هذا القانون، فاطلب المدد من الله عز وجل وعندها تحصد فرحًا في قلبك وسلامًا من حولك.

أم للمرة الأولى!

د. ناني علي إبراهيم

الآن وبعد أن اكتملت أشهر الحمل، وقد وضعت طفلك بالسلامة، ستجدين نفسك وجهًا لوجه مع هذا المخلوق الصغير الجميل الذي تشعرين منذ اللحظة الأولى أنك المسؤولة عن تأمين كل شيء في حياته، الغذاء، الراحة، النوم، النظافة، الصحة، اللعب والتسلية.

ولكنك لست الوحيدة المسؤولة عن كل ذلك، فزوجك والد طفلك له دور كبير لا يقل عن دورك، فالبرغم من كونك المسؤولة الأولى عن اطعامه، إلا أن دور الأب لا يتوقف فقط على حمل الطفل في أثناء استيقاظه واللعب معه، وعندما يبكي يتركه لك لتهدئته.

فالأب يمكنه تقديم كثير لك ولطفلكما، وللأب أقول: أنت عندما تحمل طفلك وتقربه إلى نفسك وإلى قلبك، وتجعله يشعر بحنانك، وعندما تساعد زوجتك في إعداد الطعام لطفلك، أو في تغيير ملابسه، فهذا لا يقلل من قدرك، أو من رجولتك، بل يجعلك تشعر بأحاسيس جميلة وعميقة، لا يمكنك الشعور بها إلا إذا جربتها بالفعل، وفي الوقت نفسه فإنك تقدم يد العون والمساعدة لزوجتك كي لا تكون كل المسؤوليات والأعمال الخاصة بالطفل وبالبيت ملقاة على عاتقها، فتجد بعض الوقت لالتقاط أنفاسها، وللاهتمام بك، وبنفسها أيضًا.

● كيف تتعاملان مع طفلكما؟

من المهم- من البداية- توفير جو مريح وصحي للطفل الوليد، أي الاهتمام بتغذيته الغذاء الطبيعي من لبن الأم، في مواعيد منتظمة، ثم حمل الطفل بعد تمام الشبع في وضع مستقيم مستندا عليك، والرتب بخفة على ظهره حتى يتجشأ «يخرج الهواء الذي ابتعله في اثناء الرضاعة»

وعادة يصحب ذلك خروج بعض اللبن الزائد عن حاجة الطفل، ولكن يجب عدم وضع الطفل على بطنه بعد الرضاعة، بل وضعه على جانبه مع إسناد ظهره بوسادة صغيرة ناعمة ولينة، واحذري أن يكون وجه الطفل ملاصقًا للوسادة حتى لا يصاب بالاختناق.

● احرصي على عدم إزعاج الطفل، وذلك بحمله بسبب، أو بدون سبب، فمادام الطفل نائمًا وهادئًا، فلا داعي لإزعاجه.

● إذا جاءك ضيوف أو أصدقاء لتهنئتك على المولود، فلا داعي لأن يحمله كل شخص فيتنقل بين أيديهم حتى لا يصاب بأذى، وأيضًا يجب عدم تقبيل الطفل في وجهه إذ يمكنه- بسهوله- التقاط أي ميكروب من الشخص الكبير.

● يجب عدم الإكثار من وضع الأغطية الثقيلة فوق الطفل، وبخاصة اذا كان الجو دافئًا، وأيضا عدم تركه بملابس خفيفة لا تتناسب مع الجو.

● ويمكنك الاطمئنان إلى درجة دفء الطفل عن طريق لمس يده كما يجب عدم ترك الطفل أمام مصدر هواء مباشر، وبخاصة في الأشهر الثلاثة الأولى، ويمكن إدارة المروحة إذا كان الجو حارًا على ألا توجه إلى مكان الطفل مباشرة، اذا كان الطفل كثير البكاء، حتى بعد شعوره بالشبع فالاحتمال الكبير انه يشعر بالألم في بطنه، لذلك يجب ان يتناول الماء بين الرضعة والأخرى، مع وضعه على بطنه فوق ركبتيك والرتب بخفة على ظهره حتى يشعر بالارتياح.

● يجب عدم الخروج بالطفل الوليد إلا للضرورة، فتغيير الجو وارتفاع نسبة الرطوبة، ووجود الأتربة بالجو يمكن أن تسبب له الأمراض، كما يمكن أن تسبب له الحساسية بالعينين أو الجلد.

● لا تعطي الطفل الدواء بناء على نصيحة صديقتك أو جارتك أو أي شخص آخر، ويجب عليك استشارة الطبيب قبل استكمال أي دواء يحتاج إليه، الطفل.

● لا تنزعجا ولا تغضبا إذا لم تتمكنا من الخروج لمناسبة ما، أو للنزهة أو السفر بسبب مرض الطفل، أو عدم استقرار الجو أو عدم مناسبة المكان له فمكانة الطفل وأهميته تأتي دائمًا في المقدمة.

ومن المهم ان يشعر الطفل بحبكما وحنانكما، وذلك باحتضانه دائما وعمل حوار معه، فبالرغم من انه طفل فإنه يشعر بحبكما وعنايتكما به.

كاتبة وباحثة

أخلاقيات الجوال

أ.د. ناصر أحمد سنة

تقدم شاب لخطبة فتاة رآها ذات خُلق ودين ومن أسرة تلتزم أخلاق ومعاملات الإسلام، بيد أنه في اختبار عملي لقياس أخلاق ذلك الخاطب، والتزامه أيضًا، طلبت العروس من أخيها في اجتماع ضم أفراد الأسرتين تصفح هاتف الخاطب الجوال قبل أن تقرر الموافقة على الارتباط به، وجاءت النتيجة في غير صالحه، إذ طفح هاتفه بعدد كبير من الصور المخلة، فأعلنت العروس وأهلها رفضهم له، في حين حاول الدفاع عن نفسه، لكن دون جدوى.

الإنسان بطبعه كائن اجتماعي لديه حاجات فطرية ومُلحة للتواصل والتفاعل والتلاقي: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣). أمور أخذت أشكالًا وأنماطًا متعددة عبر التاريخ الإنساني، وأثمرت حضارة، وتاريخًا، وفنونًا، وثقافة.. شفهية وكتابية، بيد أنه بات التواصل الخلوي، وتسارع نمو وتطور آلياته وتجهيزاته وأجهزته وخدماته، يتربع على عرش أكثر وسائل التواصل والاتصال شيوعًا على كوكب الأرض، فمن البيت للعمل، لقاعات الدرس.. في وسائل المواصلات، وعلي متن السفن والطائرات، وفي الطرقات والأندية والمتنزهات والحفلات والاحتفالات... الخ، تجده يلازم الناس كظلهم، ولم تعد غاية هذا التواصل تبادل الكلمات أو نقل الرسائل القصيرة، بل تعدى الأمر وتشعب أكثر من هذا بكثير، الأمر الذي يوجب التعامل معه وفق ضوابط شرعنا الحنيف نظرة أخلاقية واجتماعية (سوسيولوجية) في آن معًا.

لم يعرف العالم اختراعا، والاختراعات محايدة الاستعمال، إن خيرا فخير وإن شرا فشر، انتشر استخدامه بالسرعة التي انتشرت بها أجهزة الجوال (المحمول - الخلوي) والتي تجاوز عددها مليارى جهاز! والمرشحة للتضاعف خلال أعوام مقبلة، كما ينتظر الناس بشوق كبير انطلاق خدمات جديدة متجددة أصبحت الشغل الشاغل للعديد من شركات الاتصال رغبة في جذب وكسب أعداد أكبر من المستهلكين لتلك الخدمات.

لقد تغيرت اهتمامات المجتمعات.. أمسى الهاتف الجوال شغلًا شاغلًا للكثير وللعديد من طبقات الناس.. فحيثما حللت أو ارتحلت ساد وسيطر رنين أجراسه، وطغت كاميراته.. رنين مستمر، ومحادثات بصوت جهوري، بين غضب وثورة، وبين محبة ولوعة، وتحية باردة، وأخري مراوغة، وثالثة بوعد سيتحقق أو لا يتحقق، أو بوعيد مُحقق، والتقاط وتبادل صور وأغان، بمقابل وبالمجان.. انتهكت الخصوصيات، وأعلنت المحادثات، ولم يعد ثمة خجل من كشف مستور، أو الإعلان عن تجارة وهي تبور.

وثمة تهرب من التواصل والاتصال والرد علي البيت أو الأهل، ثم التعلل بأعذار، قد تنطلي عليهم، لكن أين هي ممن يعلم السر وأخفي؟ وترى أناسًا يتواصلون لكن باحتقار، واستهزاء وسخرية ممن يتحدث إليهم، وآخرين يموهون بأسماء وهمية مستعارة لمن يتصلون بهم كي لا يعرفها ذووهم خشية منهم: ﴿... فاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوه...﴾ (التوبة: ١٣).

وتتواصل مع آخرين فـ:

يسقيك من طرف اللسان حلاوة

ويروغ منك كما يروغ الثعلب

ويعطيك من الكلام معسوله، وهو يبغي غاية في نفسه إذا قضاها راغ منك وكأنه لا يعرفك. «أعطني رقمك كي أتواصل معك» فيعطي تهربا منه رقمًا وهميا أو مقفلًا أو خارج الخدمة... الخ. والبعض يبث من خلاله عواطف صادقة أو مكذوبة، ، وتوجسًا وتجسسًا وتخونًا، وغيره يطلق زوجته عبر رسالة من جواله، وآخر يتتبع عورات الناس

باحث أكاديمي

فيصورها، لينشرها... الخ.

أين كل ذلك، وغيره، من أخلاقيات التواصل والتعامل و«الدين المعاملة» بين الناس، وتحري تقوى الله تعالى في الأمور كلها.. عقيدة وعبادة، وفكرًا وثقافة، سلمًا وحربًا، وتجارة وعمارة، وحبًا وبغضًا، وزواجًا وطلاقًا...الخ.

الهاتف الجوال وغيره من وسائل التواصل والاتصال إنما هي سبل لتحسين العلاقات بين الناس والمجتمعات، ورأب ما تصدع، وجبر ما انكسر منها، وهو ذاكرة تحفظ الأسماء والأرقام المهمة للاستعانة بها، وينبغي بدء المحادثات بالسلام، وإنهاؤها كما بدأت، مع التزام المناداة بأجمل الأسماء، وهذه من الأمور المحببة للنفس، ومراعاة الاتصال بالمكالمات التي لم يرد عليها، لتدلل على الاهتمام بالأشخاص المتصلين... الخ. تلكم الأمور المشروعة المنضبطة بتعاليم وأخلاق ديننا الحنيف.

إن ديننا الحنيف يأمرنا بالتزام شرعه وشرائعه وقيمه، ومنها الإحسان في كل شيء، وحسن الخلق، والنصيحة لكل مسلم، والوفاء في المعاملات والعقود والعهود، والصدق في كل الأقوال والأفعال دون فصام نكد، قال تعالى: ﴿يأيها الّذين آمَنُوا اتّقُوا اللّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩).

صفات يتحلى بها من تواصل إلى زوجه أو أهله أو إخوانه أو أصدقائه، أو زبائنه، أو الناس أجمعين.. حبا وإخلاصا، ووفاء، ومروءةً، وسترًا للمعايب، ودعوة لله تعالى، ومعاملة للناس كما يحب المرء أن يُعامل بها، ورغبة في الخير والهداية للناس أجمعين.

جملة القول: لاشك ان للهاتف فوائد جمة ويمكن استثماره بصور أفضل وفق أخلاقياتنا الإسلامية، وتبقى الحاجة ماسة لضبط إيقاع استخدام مثل تلك التقنيات الحديثة وفق النسق الشرعي والأخلاقي والاجتماعي لمجتمعاتنا العربية الإسلامية، ومداواة سلبيات البعض في استخدامها قبل استفحال الداء، واستعصاء الدواء، فلا نريد فشلًا للزيجات أو غير ذلك من المعاملات، كما حدث لهذا الخاطب لما تقدم للزواج من تلكم الفتاة النجباء.

حق المرأة في الإسلام.. وغبش هذا الزمان

هدى الكاشف

المرأة في هذا العصر تنازعها تيارات متعددة، منها ما هو متمسك بكل عرف وتقليد قديم بغض النظر إن كان شرعيًا أو غير شرعي، ومنها ما هو رافض لكل قديم، متمرد عليه، جانح إلى التقليد الأعمى لكل ما هو غربي، منقاد مستجيب، وكأن غبشًا قد ران على القلوب، فكثير منهن ضللن الطريق وأضللن من حولهن، فأصبحت المرأة على مفترق طرق، تجد أحيانًا من يهاجمها بشراسة متفننًا في سلب حقوقها، وأحيانًا أخرى من يناديٍ بحقها تباكيا عليها بدعايات مضللة، فالتبس الحق بالباطل، تجدها تقدم رجلًا وتؤخر أخرى، والتيار عال جامح، فلا تستطيع فهم موقفها الحقيقي من شرع الله تعالى، ولا رفض الفاسد من الوافد، فتتار القضايا الخاصة بحقوقها، فكلما دار الفلك دورته نفاجأ بقضية جديدة، والحقيقة أننا لدينا ثروة فقهية هائلة تراكمت عبر أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان، نجدها لم تهضم يومًا حق امرأة، ولم تمقت لها مكانة، بل حظيت المرأة المسلمة في ظلها بالتكريم، فكانت قبل الإسلام تباع وتشترى، وتورث وتعضل، بل كانت تقتل خشية العار والفقر، فوهبها الإسلام فرصتها الكاملة في الحياة كالرجل مع الحفاظ على فطرتها وحيائها، فسجل التاريخ صفحات بارزة لصحابيات قمن بأدوار لم يقم بها الرجل، وأخريات كن معلمات لأفضل العلماء، فلقد باشرت نسيبة بنت كعب -رضي الله عنها- القتال يوم أحد دفاعًا عن رسول الله ﷺ، وكانت سمية، أم عمار بن ياسر، أول شهيدة في الإسلام، وقال عروة بن الزبير عن السيدة عائشة رضي الله عنهما، ما رأيت امرأة أعلم بطب ولا فقه ولا شعر من عائشة أم المؤمنين، ولكن كم عانت الأمة من أفكار وكتابات لمستشرقين ومستغربين وغيرهم ممن يسعون للعبث بالعقول والسعي الدؤوب لاستخراج أفكار مغلوطة من بطون كتب التراث، وما هي إلا ظلم بين أو جهل فاضح، نقلا لأفكار معينة دون وعي بأسبابها، وظروفها، وملابساتها، ولنتدبر قول المصطفى ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا».

ولكن مع كل هذه التحديات لا تزال بوارق الأمل باقية في نفوس وعقول كثير من النساء اللاتي عرفن الحق حقا فرزقهن الله اتباعه، والباطل باطلًا فرزقهن اجتنابه، بعيدًا عن كل غلو وتعصب، أو إفراط وتفريط، محكمين عقولهن في دعايات التقدم المنشود لتأصيل ثقافات بعينها متدبرين قوله تعالى: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾، حتى يحظى الجميع بالسكن والسكينة في قوله تعالى ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكنًا﴾، فنجد من ينشئ الأطفال ويخرج لنا الرجال، لذا فطرح قضايا المرأة على هذا المنوال ينال من قدسيتها، فأولويات حياتها ومصالحها الملحة تكمن فيما هو أهم من كل هذا الهراء الجدلي، فيكفي فقط استعادة الجهد الكبير المبذول من علماء الفقه والقانون لإنجاز كل يتعلق بقضايا المرأة، فلا نترك الأمر هكذا، ولدينا ثروة فكرية ليست لدى غيرنا من الأمم حتى لا تتعثر خطانا فنضل الطريق متذكرين قوله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾.

مرض تكيس المبايض

د. حنان عبدالعال

مرض تكيس المبايض يصيب المبايض محدثا فيها اضطرابا لعملية الإباضة الطبيعية نتيجة خلل هرموني، وهو يكون أحيانا متلازما مع أعراض عدة تظهر على المريضة، وحينها يسمى بمتلازمة تكيس المبايض مثل: اضطرابات الدورة الشهرية، وازدياد وزن الجسم، وظهور الشعر الخشن في مناطق مختلفة من جسم المرأة، وأحيانا لا يكون للمرض أي أعراض ويكتشف مصادفة أثناء الفحص الروتيني، تتراوح نسبة انتشار المرض بين ٥-١٠٪ بين النساء.

الأسباب الحقيقية لمرضى تكيس المبايض غير معروفة، ويعتقد أن هناك طبيعة وراثية للمرض، وأكثر الأعمار إصابة بهذا المرض من هن في سن المراهقة، حيث تحدث زيادة سريعة للوزن في هذا العمر وكذلك تحدث تغيرات هرمونية سريعة أيضا، وبعض الدراسات تبين أن مستقبلات هرمون الأنسولين لها علاقة بالمرض وأيضا بعض الأدوية التي تستخدم في علاج الصرع.

أعراضه

اضطرابات في الدورة الشهرية، وهذا الاضطراب يكون على شكل انقطاع في الدورة الشهرية أو تباعد في الدورة في ٧٠٪ من الحالات، ومنها ضعف أو اضطراب في عملية التبويض، وهذا يؤدي إلى تأخر الحمل أو عقم في ٥٠٪ من الحالات، وكذلك زيادة في الوزن في ٥٠٪ من الحالات نتيجة اضطراب في مستوى الدهنيات في الجسم.

ظهور شعر خشن في مناطق مختلفة من جسم المرأة وذلك نتيجة خلل في الهرمون الذكري ويحدث ذلك في ٥٠٪ من الحالات.

زيادة نسبة الإصابة بحب الشباب وتصبح البشرة دهنية، ثم الإجهاض المتكرر.

مضاعفات بعيدة الأمد

وله مضاعفات بعيدة الأمد مثل: مرض السكري، سرطان الرحم، ارتفاع ضغط الدم، أمراض القلب والشرايين، والعقم.

تشخيصه

أولا: الفحص السريري للمريض ووجود الأعراض المذكورة سابقا.

ثانيا: الفحوصات المخبرية مثل:

١-ارتفاع هرمون LH وانخفاض هرمون FSH.

٢-ارتفاع الهرمون الذكري TESTOSTERONE.

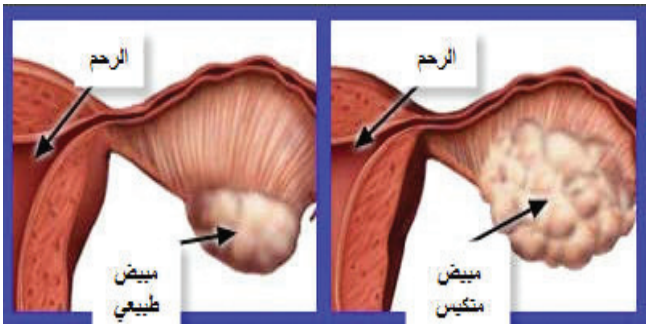

٣- ارتفاع هرمون الأنسولين، رغم أن مستوى السكري في الدم يكون طبيعيا.

٤-ارتفاع هرمون الحليب PROLACTIN.

٥- ارتفاع هرمون الاسترادابول والاسترون ESTROGEN.

٦- انخفاض مستوى مستقبلات الهرمونات الجنسية.

٧- أحيانا يكون المرض مصاحبا لاضطرابات في هرمونات الغدة الدرقية.

ثالثا: الطريق الأمثل لتشخيص الحالة، هو إجراء أشعة بالموجات فوق الصوتية عن طريق البطن أو المهبل، ويفضل الفحص المهبلي حيث تصل دقته إلى ١٠٠٪ في تشخيص المرض، حيث إن هناك احتمالات للخطأ في الفحص البطني بنسبة٣٠٪، والمنظر المعروف لتكيس المبايض هو ظهور أكياس صغيرة يتراوح عددها من١٠-١٢ أو أكثر بقياس ٨-١٠ملم منتشرة على شكل حلقة مثل حبات اللؤلؤ، وكذلك يحدث تضخم في حجم المبيض حيث يزداد حجمه مرة ونصف إلى ثلاث مرات عن الحجم الطبيعي.

العلاج

يعتمد علاج المرض على علاج الأعراض المصاحبة له.

أولا: العقم، ويقسم علاجه إلى نوعين:

العلاج الدوائي، وينقسم إلى نوعين:

النوع الأول، هو حبوب ال METFORMINE التي تساعد على انتظام هرمونات الجسم، وتقلل من شدة المرض، وتزيد من استجابة المبايض للعلاجات المنشطة، ويجب الاستمرار على هذه العلاجات لمدة تتراوح بين ٣-١٢ شهرا.

النوع الثاني، هو إعطاء المريضة هرمون تحريض

باحث أكاديمي

الإباضة إما على شكل حبوب ال CLOMID أو الحقن بهرمونات FSH، LH مع المراقبة الدقيقة للمبايض، وتحديد أيام الإباضة وعند حدوث الإباضة تكون نسبة الحمل حوالي ٤٠٪.

العلاج الجراحي، عن طريق العمليات الحديثة بإجراء تثقيب للمبايض عن طريق المنظار البطني، ومن مميزات التثقيب ارتفاع نسبة حدوث الحمل إلى ٧٠٪، و انخفاض نسبة حدوث الالتصاقات والتي بدورها تؤدي إلى العقم.

أما الطريقة القديمة فهي عن طريق التدخل الجراحي بفتح البطن واستئصال جزء من المبيض ومع هذه الطريقة تزداد نسبة حدوث الالتصاقات والنزيف ونسبة حدوث الحمل بهذه الطريقة ٥٠٪.

ثانيا: اضطرابات الدورة الشهرية، ويمكن معالجتها باستخدام حبوب منع الحمل COCS أو حبوب البروجستيرون مع استخدام حبوب METFORMINE بعيار يتناسب مع وزن المريضة، مع الاستمرار في أخذها لحين انتظام هرمونات الجسم، أو بالكحت إذا فشل هذا العلاج، وأيضا للاطمئنان انه لا توجد تغييرات سرطانية داخل الرحم.

ثالثا: ظهور الشعر الخشن HIRSUTISM، يمكن معالجته باستخدام حبوب مضادة للهرمون الذكري DIANE ٣٥، ولكن هذه العلاجات تحتاج لفترة طويلة تتراوح بين ٦-٨ شهور لحين حدوث تغيير في خشونة الشعر، لذا ينصح باستخدام طرق أخرى لحين بدء عمل هذه العلاجات مثل الكي بالليزر أو استخدام مزيلات الشعر.

رابعا: زيادة الوزن، حيث توجد علاقة طردية بين زيادة الوزن ومرض تكيس المبايض، ينصح باستخدام البرامج الغذائية، وممارسة الرياضة لتخفيف الوزن لكي يتوازن هذا الاضطراب الهرموني.

محيط حب المرأة

د. زيد بن محمد الرماني

يبدأ فنّ الزواج عند المرأة بأن تتعرف طبائع ذلك الرجل الذي سيكون زوجًا لها، وتتفهم أغراضه ومراميه الجسمية والنفسية.

إن الزوجة التي تريد الخير بنفسها ينبغي أن تدرك لأول وهلة أن أنانية زوجها طبيعة لا يمكن مقاومتها، إذ تراها تتجلى في كل عمل من أعماله اليومية، ولا يحسن بها أن تسيء الظن به، إذ يتحول عن مداعبتها بعض التحول، بينما هي في شوق إليه، فقد تشغله شؤون الحياة فتضطره إلى الركون إلى السكون.

بل قد يصيب عواطفه بعض الفتور من جرّاء أعماله والاشتغال بها، ولقد كان هذا الفتور في الرجل موضع دهشة المرأة وتفكيرها، على أنه كثيرًا ما يكون مبعث هذا الجمود اشتغال الرجل بابتكار مشاريع خاصة بالعيش والبحث فيها وهموم العيش تدق أعناق الرجال وتسترقهم.

وحسنٌ بالمرأة أن تعرف في الرجل مواطن ضعفه، ومواطن قوته، وأن تسعى في إثارة عواطفه الخفية الكامنة والعمل على إيقاظها بما عندها من قوة هي في نفسها راكزة، بل هي متأصلة فيها منذ حياتها الأولى، فتعمل بجهدها على أن تجرّ زوجها جرًا إلى ميدان الحب وتكرِّر هذا العمل، فتراه ينقاد إليها.

ففي قلب الرجل ناحية تظل ملتهبة، تحنو إلى الحب وتحنّ إليه أبدًا حتى في الهرم.

وفي ظل الزيجة السعيدة يرى كل من الرجل في المرأة والمرأة في الرجل فضائل وحسنات تتجدد في طوال السنين، بل إنهما يريان في كل يوم فضيلة جديدة وحسنة جديدة، وبذا تظل حياتهما سعيدة، بل يرى كل منهما في الآخر حياة بريئة ليس فيها عيوب ألبتة.

إن المرأة في ذاتها سلوان الرجل منا، ففي طفولتنا نلتجئ إليها فتحنو علينا وتحنّ إلينا، وإذ ذاك نسترشد برشدها ونهتدي بهديها، وفي رجولتنا نسعى إليها فنستظل بعطفها ونستعين بها ونأتنس إليها، فقد وهبها الله عاطفة السلوان، وكثيرًا ما يسقط الرجال في ميدان الحياة مكلومي الأفئدة فيسعون إلى من يضمّد جراحهم ويقوِّي عزيمتهم فلا يجدون ذلك إلا عند المرأة، إذ تأخذ بأيديهم وتضمهم إلى صدرها وتمسح عن خدودهم دموعهم.

وها هو العلاّمة «لبلاس» يقرِّر أن علمه الذي جمعه في أساطيره، لا يساوي قطرة من محيط حب المرأة.

المستشار وعضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

غرف «الدردشة».. خيانات زوجية وتجسس وأشياء أخرى!

تحقيق: محمد عبد الشافي القوصي

مثلما تمثل غرف الدردشة الالكترونية (room chat) خطرا حقيقيا على الأسرة العربية وبالأخص على العلاقات الزوجية- حتى إنها في بعض الأحيان قد تؤدي إلى الانفصال والطلاق أو خيانة أحد الزوجين للآخر- فإن هذه الغرف تؤثر على الشباب العربي من الجنسين، الذي يعد أكبر شريحة في المجتمع تستخدم غرف الدردشة والحوار، فأحدث الإحصاءات تؤكد أن بعض النساء يقضين مدة ٨٠ ساعة أسبوعيًا في الحوارات عبر شبكة الإنترنت، ولا عجب- إذن- عندما نسمع أن شبكة الانترنت أصبح لها أرامل من النساء اللائي فقدن أزواجهن لأسباب أغلبها غير معلوم إلى الآن!

تأتي العلاقات العاطفية على قائمة أولويات الشباب-من الجنسين- في حواراتهم عبر شبكة الإنترنت، وقيام الشباب باستخدام غرف الدردشة للحديث في الحب والعلاقات العاطفية غالبًا ما يكون بعيدًا عن أعين الأهل، وهذا ما يؤكده الشباب، حيث يرون أن الإنترنت وحجرات الدردشة أفضل وسيلة للحديث مع من يحبون، وذلك لأن مكالمات الهاتف مكلفة ولأن الآباء يمنعونهم من الحديث مع الفتيات هاتفيًا، ولا يجدون في النهاية سوى اللجوء إلى أحد مقاهي الإنترنت للحديث مع الصديقة الإلكترونية!

من ناحية أخرى تقول الآنسة «هدى»: إن الدردشة وسيلة لقتل الملل والروتين اليومي في الحياة، كما أن العادات والتقاليد العربية تمنع الفتاة من الحديث مع أي شخص خارج الأسرة وهو ما توفره غرف المحادثة عبر الإنترنت. وهذا ما يجعل الفتيات يسعين إلى تكوين صداقات عديدة عن طريق هذه الغرف، وبالطبع هذه الصداقات ليست كلها بريئة، فغالبًا ما يشوبها الخطأ والتجاوزات، وهو ما أكدته «هدى» فهي تقول: إن الذين يدخلون إلى غرف المحادثة من فئة المراهقين والمراهقات تدور بينهم أحاديث سرية ومناقشات حول موضوعات غاية في الحساسية، كالجنس وخلافه.

احذروا هذه المواقع!

ويذكر الباحث الحقوقي جمال عبدالعزيز أن هناك العديد من المواقع التي تعرضت للحجب والمنع بالوطن العربي، وهي المواقع المنافية للآداب العامة والقيم الدينية كمواقع

مواقع على شبكة الانترنت لشراء الفتيات القاصرات وتعليمهن البغاء!

«المثليين العرب»، وموقع «إعلان عن الوجود»، فهذه الفئات الاجتماعية الوحيدة التي لم تكن وحتى ظهور الانترنت تستطيع الإعلان عن هويتها بالعالم العربي.. فالإعلان عن «المثلية» يضع الإنسان أمام مشاكل لا حصر لها، وسوف تكون له نتائج سيئة للغاية، لكن هذه الفئة موجودة، وقد أتاح لهم الانترنت فرصة الإعلان عن هذا الوجود، من خلال العديد من المواقع التي تعلن عنهم وعن أفكارهم وهمومهم، بل وزيادة التعارف بينهم، ولعل موقع «جمعية المثليين والمثليات العرب- glass.org» هو الموقع الأقدم والأشهر إلى وقت قريب، ثم تلاه العديد من المواقع الناطقة باسم مثليي الميول الجنسية العرب، وكذلك المواقع الأجنبية التي تفرد للمثليين العرب أقسامًا بها.

مزيد من الزوار لهذه المواقع

وقد بدأت تلك المواقع المعبرة عن المثليين تزداد، لاسيما بعد الحملات الأمنية ضدهم وازدياد أعداد مستخدمي الانترنت في المنطقة، وبدأت تظهر مواقع تعبر عن مجموعات أكثر تحديدًا، مثل موقع مثليي مصر، والمثليين العرب، ومثليي لبنان، وغيرها من المواقع الأخرى. وبالرغم من حجب العديد من تلك المواقع ومنعها في أغلب الدول العربية فإنها مازالت تلاقي رواجًا هي الأخرى، بحيث أصبحت أخبار القمع الذي تواجه به من السلطات الحاكمة، مثل الحملة الأمنية الموجهة ضد المثليين المصريين، عاملًا جاذبًا لمزيد من الزوار للتعرف على آخر أخبار تلك الحملة!

مشكلة الأسماء المستعارة!

جرائم الجنس عبر الإنترنت تزداد يومًا بعد يوم، وهناك جهود عدة تبذل من جانب الدول العربية للوقوف ضد هؤلاء الخارجين على القانون، فقد نشرت الصحف خلال الأسابيع الماضية أن أكثر جرائم الجنس كانت تختص بالشواذ وتبين وجود شبكة دولية من شباب يمارسون الشذوذ وقامت أجهزة الأمن بمطاردة هؤلاء الشباب الشواذ المقيمين في مصر والقبض عليهم وتقديمهم للمحاكمة وألقي القبض على أكثر من ٤٠٠ شخص، وقد قادت الجهود إلى ضبط شاب كان يتخذ من منزله وكرًا لاستقطاب الرجال وأعد لنفسه موقعًا على شبكة الإنترنت ونجح في إقامة علاقة مع شخص يدعى «راؤول» عن طريق موقعه وقد استخدمت إدارة المباحث اسم «راؤول» وهو اسم مستعار لاصطياد هؤلاء الخارجين على القانون.

الشرطة المصرية تلاحق «الشذوذ»

وفي الوقت الذي تسعى فيه الدول العربية إلى الوقوف ضد هذه الجرائم، خاصة ما يتعلق منها بالشذوذ نجد منظمة مثل «هيومان

رايتس ووتش» تصدر بياناً باسم المنظمة على الإنترنت يؤكد أن مصر يجب أن تتوقف عن الإيقاع بذوي الميول الجنسية المثلية عن طريق الإنترنت ومقاضاتهم، مؤكدة أن إحدى المحاكم المصرية أصدرت حكمًا ضد أحد الشواذ المصريين وأن الشرطة المصرية بدأت في الإيقاع بأشخاص مشتبه فيهم بأنهم مثليون جنسيًا، وطالبت المنظمة بإلغاء حكم الإدانة كما حثت السلطات المصرية على إعادة النظر في جميع الأحكام التي صدرت في مثل هذه القضايا، وأكدت المنظمة أن الشرطة المصرية نجحت في إحباط ١٧٤٠ موقعًا جنسيًا خاصًا للشواذ، لينخفض عدد المواقع من ٢٥٥٥ إلى ٢٦٠ موقعًا فقط!

جواري الانترنت

وقد تم ضبط إحدى العصابات التي تقوم بتجميع الفتيات القاصرات وتعليمهن الرقص بدعوى إعدادهن للعمل في مجال الإعلانات وفرق الفنون الشعبية، ولكن اكتشف في النهاية أنه يسعى إلى تشغيلهن في أعمال منافية للآداب أو تسفيرهن للعمل كخادمات في بعض الدول العربية والأجنبية بمبالغ مغرية أو تزويجهن لبعض الأثرياء الذين لا يهتمون كثيرًا بما يدفعون مقابل شراء جاريات جميلات يقمن بخدمتهم وتمريضهم وتلبية رغباتهم.

تجاوزات صارخة!

وقد يعتقد البعض أن تلك النشاطات المشبوهة بعيدة تمامًا عن أعين رجال الأمن والشرطة وهو اعتقاد خاطئ تمامًا، ويبدو ذلك بوضوح في مسلسل جرائم الكمبيوتر التي يتم ضبطها يوميًا وأصبحت تتصدر صفحة الحوادث في صحفنا اليومية.

هذه هي مجرد أمثلة لبعض ما يجري على شبكة الإنترنت من تجاوزات صارخة وجرائم حقيقية يعاقب عليها القانون، وعادة يكون ضحاياها بعض الذين يحلمون بالثراء السريع ولا يريدون أن يصعدوا سلم النجاح خطوة خطوة في إطار من القيم والأخلاق ثم يجدون أنفسهم في النهاية في قاع المجتمع.

«إسرائيل» تستخدم برامج الدردشة للتجسس على مجتمعاتنا!

الهروب من المشاكل

وتعليقا على ذلك تقول أستاذة علم الاجتماع بالمعهد العالي للخدمة الاجتماعية د .هالة سليمان: إن الشباب يحاول الهروب بهذه المشاكل إلى خارج المنزل أو إلى الانطواء بها بعيدًا عن الآخرين أو محاولة التحرر من كل القيود التي يفرضها عليهم أولياء أمورهم وهى قيود طبيعية إلى حد بعيد بسبب التقاليد التي تحكم علاقة الرجل بالمرأة في مجتمعاتنا العربية، ومن هنا فإن هروب الفتيان والفتيات إلى مقاهي الإنترنت أو قضاء ساعات كثيرة

أمام الكمبيوتر داخل المنزل والتحدث مع الجنس الآخر أمر طبيعي، ولكن خطورة غرف المحادثة تكمن في الحوارات الغير أخلاقية وتنكر الشباب في أسماء بنات والعكس لأن الهدف من وراء هذا التنكر يكون غير واضح المعالم في معظم الأحيان.

هذا، وترجع أستاذ علم الاجتماع د .سوزان أبورية السبب في اقتصار أغلب الحوارات بين الشباب العربي عبر شبكة الإنترنت على الموضوعات السياسية أو الجنسية، إلى أن الشباب العربي لديه نوع من الإحباط والكبت الجنسي والسياسي والذي يمكن تفريغه عبر شبكة الإنترنت، كما أن بعض العرب يشعرون بالخوف والتشكك إزاء بعضهم وهم لا يستطيعون التعبير عن ذلك على أرضية الواقع فيظهرونه عبر الإنترنت.

اعترافات مسؤولين إسرائيليين!

قد يكون ما سبق إيضاحه أمر عادى- بالرغم من خطورته- إلا أن أخطر ما يواجه الشباب العربي هو التحدث عبر برنامج للدردشة أنتجته المخابرات الإسرائيلية وهو برنامج «ICQ» وهو من أشهر برامج المحادثة التي يستخدمها الشباب المصري بالإضافة إلى أنه يتيح التحدث بأكثر من ٢١ لغة، هذا إلى جانب الخدمات الأخرى التي يوفرها البرنامج مثل رسائل الجوال المجانية، والبريد الإلكتروني، وهذا البرنامج قدمته إحدى الشركات الإسرائيلية في ١٥ نوفمبر ١٩٩٦، واعترف المسؤولون الإسرائيليون أن هذا البرنامج هو إحدى وسائلهم لمعرفة ما يدور في العالم، وتكمن الخطورة الحقيقية في برامج الدردشة في استدراج الشباب للإدلاء بمعلومات تضر بالأمن القومي العربي، وهذا ما حدث لـ«عمرو الخواجة» من مصر والذي يستعمل «ICQ» منذ ثلاث سنوات ويقول: إنه تحدث مع أحد الإسرائيليين من قبل عبر هذا البرنامج وقد طلب منه أن يحدثه حول الإرهاب والمشكلات الاقتصادية في مصر فرفض عمرو الحديث معه، وقد تكررت هذه الواقعة مع العديد من الشباب العربي الذي يتحدث مع فتيات أجانب يحاولن استدراجهم بالإدلاء عن حياتهم والصعوبات التي يواجهونها.

وعلى الصعيد ذاته يقول «ذكي الطويل» من مصر إنه ظل لمدة عام كامل يتحدث مع فتاة أميركية عن الأحلام والطموحات والآراء الشخصية وقد توطدت علاقتهما حتى إنها طلبت منه تغيير ديانته ومحاولة الحصول على الجنسية الأميركية فرفض رفضًا قاطعًا، فاصطنعت السعادة وأن ما فعلته كان مجرد اختبار له، ثم طلبت منه بعد ذلك معلومات عن أصدقائه الذين يعملون بالمؤسسات الرسمية وطبيعة عملهم والمشكلات التي يواجهونها، فقرر التوقف عن مراسلتها نهائيًا وعدم مراسلة الأجانب أو الدردشة معهم مرة أخرى!

الطفل التوحدي (الذاتوي)
كيف نفهم طبيعته وما سُبُل التعامل معه؟

وفيق صفوت مختار
خبير في الشؤون الأسرية

الأوتيزم Autism يُسمى بالعربية «التوحد» ونسمى الطفل الذي تظهر عليه أعراض هذا الاضطراب بالطفل «التوحدي» أو «الذاتوي»

وقد عرف الباحثان «مورين آرونز» Moureem Arons و«تيسا جينز» Tessa Gittens هذا الاضطراب بأنه: صعوبة التواصل فى العلاقات الاجتماعية ، مع قلة الاهتمام بالعالم المُحيط. ويُقرِّر علماء الصحَّة النفسية أن «الأوتيزم» إعاقة متعلقة بالنمو، عادة ما تظهر خلال السنوات الثلاث الأولى من عُمْر الطفل، وتتراوح نسبة الإصابة به بين ٣-٥ أطفال لكل ١٠ آلاف طفل، وتزيد النسبة في الذكور عنها فى الإناث بنسبة ٤ : ١.

المظاهر العامة للطفل التوحدي

تتحدَّث الأمّ وهي تصف سلوك طفلها قائلة: لا يستجيب لضمتي له إلى صدري، ينفر من قبلاتي الحانية على وجنتيه، يتجنَّب النظر في عيوني، لا يستجيب لمشاعري ومشاعر أبيه، يعشق الوحدة والصمت.

وهو طفل يُعاني من مشكلات التواصل، أي يكون تطوُّر اللغة لديه بطيئًا وقد لا يتطوَّر بتاتًا، ويكون التواصل عن طريق الإشارات بدلًا من الكلمات، ويكون الانتباه والتركيز لمدة قصيرة، وكذلك التفاعُل الاجتماعي يكون قليلًا فلا صداقات ولا ابتسامات ولا اندماج مع الآخرين. وهذا الطفل يُعاني أيضًا من نقص فى اللَّعب التلقائي أو الابتكاري أو حتى التقليدي، وسلوكه يكون نشطًا أكثر من المعتاد، أو أقل من المعتاد مع نوبات من السلوك غير السوي.

سمات السلوك المعتادة

يقوم الطفل التوحدى (الذاتوي) بطقوس أو حركات متكررة مثل الجري فى دوائر، أو التأرجح المستمر دون

هناك أطفال توحديون حققوا تحصيلا دراسيا عاليا والأمر يتوقف على حماس الأسرة وإصرارهم على برامج تدريب ابنهم التوحدي

كلل أو ملل، وقد يستمر ساعات طويلة فى اللَّعب بالماء مثلًا، أو تقطيع الورق إلى قطع صغيرة، وهو طفل يميل إلى اللَّعب بمفرده، ويصل احتمال النوبات الصرعية فيهم إلى نسبة ٢٠٪، أمَّا عن مستوى الذكاء فهناك ٢٥٪ منهم يكون ذكاؤهم طبيعيًا أو أقل من الطبيعي بنسبة بسيطة، حتى إن الجمعية القومية للتوحد توصلت إلى أن الأطفال التوحديين ليسوا متخلفين عقليًا. ومن الغريب أن بعض هؤلاء الأطفال يُظهرون بعض القدرات التى يتفوقون فيها على أقرانهم مثل: القدرات الحسابية والموسيقية.

أسباب الإصابة باضطراب التوحد

الأسباب غير معروفة بالتحديد إلى الآن، إلاَّ أن بعض الدراسات أظهرت علاقة بين وجود أحد الكروموزومات في الجسم وبين ظهور هذا الاضطراب في ١٧٪ من الحالات التى أجريت عليها الدراسة.

وهناك أيضًا إصابات الجنين أثناء فترة الحمل إمَّا ببعض الفيروسات أو نتيجة إجهاض منذر وخاصَّة في أول ثلاثة شهور للحمل، هذا إلى جانب أسباب عضوية في الجهاز العصبي، فقد وُجدت بين هؤلاء الأطفال نسبة كبيرة من المصابين بضمور فى بعض أجزاء المخ وخاصَّة المخيخ، وقد ينشأ كذلك عن نقص الأوكسجين للطفل عند الولادة.

التشخيص

يعتمد تشخيص هذا الاضطراب فقط على الصورة الإكلينيكية التي يأتي بها الطفل، والتي يجب التفريق بينها وبين بعض الاضطرابات المشابهة مثل: القصور الفكري، الذي يكون فيه الطفل ذهنيًا، وهنا يجب ملاحظة أن الأوتيزم أو التوحد متلازمة وليست مرضاً، وتكفي علامات ثلاث- حتى ولو لم تكن كلها في حالات واحدة- منها لتشخيص الحالة، ومنها ما هو حالات خفيفة أو اعتقادية أو بدرجة توحد الطفل وانعزاله واضطراب مزاجه بفرح أو بكاء لا يتناسب مع الموقف الذي هو فيه، وهذا لا يعني أننا أمام حالة صعبة على الإطلاق، فقد رأينا أطفالاً توحديين حققوا تحصيلًا دراسيًا عاليًا، والبعض الآخر تحسن لدرجة سرد قصة وعمل

محادثة. ونحن لا ننكر أن بعض الحالات عنيدة، ولكن عناد الاضطراب يذوب مع حماس الأسرة وإصرارها على الاستمرار في برامج التدريب فردية أو جماعية.

وسائل العلاج المتاحة

١- ضرورة تلقى مثل هؤلاء الأطفال للعلاج الطبي والنفسي بجانب العلاج التعليمي، لأن علاجهم ميسور بمزيدٍ من الجهد ومزيد من التعرف على خصائصهم.

٢- يكون العلاج في صورة تعديل للسلوكات غير المرغوب فيها، وبالتدريب على اللغة والكلام في جلسات التخاطب.

٣- قد يحتاج البعض منهم إلى التدخل بالعلاج العقاقيري في حالة وجود نوبات صرعية.

٤- يمكن علاج مثل هؤلاء الأطفال بالموسيقى حيث إن لهم أذنا حساسة بالموسيقى وبعضهم موهوب فيها بطريقة فائقة، كما أن استجابتهم لها تفوق الوصف ممَّا يجعلها أداة علاجية، وقد تبيَّن في العديد من الدراسات العلمية أن أسهل شيء يكتسبه هؤلاء الأطفال التوحديون هو الشيء المُلحن الذي له إطار غنائي مثل الإعلان أو أذان الصلاة وغيرها ، وهذا ما ينبغي أن يتم معهم في تدريبات التخاطب.

٥- يجب دمج هؤلاء الأطفال في جميع المدارس العربيَّة مع أقرانهم العاديين بلا سخرية منهم أو ملل لأنَّهم بالفعل يحتاجون لاكتساب مهارات التواصل مع قرنائهم وهذا شيء مهم لعلاجهم، وقبل هذا الدمج لابد أن يعرف كل المُعلِّمين والمربين خصائص اضطراب الأوتيزم وكل أساليب العلاج حتى يكونوا على دراية وخبرة بمعاملة هؤلاء المعاملة اللائقة التي تجعلهم يصلون إلى أعلى المراتب العلمية وأدق المهارات الشخصيَّة وتجعلهم يحصلون على الشفاء العاجل والأكيد بمزيدٍ من العلم والصبر وقوة الإرادة.

الأسرة.. وسُبُل التعامُل مع الطفل التوحدي

١- تحديد الأشياء التى يفضلها الطفل والسلوكات أو الأشياء التي تُثير ضيقه وانزعاجه.

٢- التعرُّف على النظام الروتيني الذي يحبه الطفل واتباعه.

٣- التقرُّب إليه بعلاقة جسدية من الملامسة والكلمات الرقيقة.

٤- توجيه النشاط الزائد باستخدام الأشياء التي يفضلها الطفل من أجل استقراره.

٥- مواصلة التحدث مع الطفل حتى وإن لم يرد، ما دمنا متأكدين من سلامة السمع .

٦- تجنب استخدام كلمات كثيرة أو أوامر وتعليمات طويله مربكة.

٧- تشجيع هؤلاء الأطفال على ممارسة الرسم والعزف على إحدى الآلات الموسيقية أو التعامل مع الحاسوب.

٨- التعرُّف على أنسب الطرق التي تستهويهم للتعليم من خلال الحروف أو الكلمات.

٩- حماية هؤلاء الأطفال من الأصوات المرتفعة لأن حساسيتهم عالية.

١٠- عدم تعرُّضهم للأضواء العاكسة الوهاجة التي تسبب الإزعاج لهم.

١١- يمكن للآباء التواصل معهم وهم يلعبون.

١٢- على الأسرة أن تتجنب عدم تعجيل النتائج ومعرفة أن التغييرات التي تطرأ عليهم للأحسن بطيئة وتتم بصورة بسيطة ومتدرجة.

١٣- عدم دفعهم إلى القيام بأعمال تفوق قدراتهم حتى لا يعتريهم الإحباط.. الأمر الذي يؤدي إلى مزيد من الانطواء والانزواء.

١٤- تشجيع الطفل على إقامة علاقات مع أقرانه والاعتناء بمظهره الشخصي.

١٥- عدم تدليل الطفل تدليلاً زائدًا، ومحاولة إشراكه في بعض الأنشطة المناسبة له داخل الأسرة حتى يتعوَّد الاندماج مع الجماعة ويتفاعل معها.

المراجع

أهم المراجع و المصادر

١- د.محمَّد محمَّد عيسوي الفيومى، انيميا الذات لدى الأطفال، مجلة الخفجي، جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ.

٢- أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠م.

٣- وفيق صفوت مختار، سيكولوجية الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، القاهرة، دار غريب، ٢٠١٠م.

٤. كريمة الخطيب: التوحد، مجلة العربي، الكويت، وزارة الإعلام، يناير ١٩٩٤م، العدد: ٤٢٢.

٥ - إسماعيل عبدالفتاح عبدالكافي: الأوتيزم، مجلة الخفجي، ذو الحجة ١٤٢٤هـ / يناير - فبراير ٢٠٠٤م.

٦ - محمد علي كامل: الأوتيزم .. الإعاقة الغامضة بين الفهم والعلاج، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٣ م.

البطانة وأثرها في الأمة

محمد شعبان

كثيرًا ما ينتابنا شعور بالغم والهم والحزن من أولئك المتسلقين الذين يتقربون، لأجل منافع شخصية محضة، من أصحاب القرار في أي إدارة أو مؤسسة أو دولة، إنهم بكل سهولة يصفون أنفسهم بأنهم أهل الثقة، أهل الحظوة والقرب، الذين يرون ما لا يراه الآخرون!

والحق أنني كثيرًا ما بحثتُ عن الأسباب السيكولوجية والأخلاقية التي تدفع هؤلاء إلى فعل ما يفعلون، فوجدتُ أمرين يدفعان هؤلاء في طريقهم المجهول، أما السبب الأول، فيكمن في الشعور بالنقص، وعدم الثقة في الذات، وأما الثاني فالبحث عن المصلحة الشخصية المحضة التي تغمط حقوق الآخرين، ومن ثم تقوي شوكتهم، وتجعلهم مثل «حكومات خفية» في ظل الشرعية المتعارف عليها بين الجميع، كل هذا في غياب التربية الإيمانية والعملية الصحيحة.

لقد حسب هؤلاء أنهم يُحسنون صنعًا لأنفسهم وللآخرين حينما يُقحمون رأيهم لأصحاب القرار، وحول رؤيتهم الثاقبة للآليات المثلى لإدارة أي مكان كان، فالدور المحوري لهم يكمن في كونهم- من وجهة نظرهم- أنشط العناصر الفاعلة في إنجاز العمل- الذي يعني سرعة + جودة- إنهم، كما يرون، «لُقطة» لأي مؤسسة كانت، وغرة على جبين جميع الموظفين الآخرين الذين يفتقدون للباقتهم وحسهم المهني العالي... هذه هي أوهامهم، وتلك هي فلسفتهم، فغايتهم في الحياة أن يكونوا من أهل الثقة، ومن دونهم مجموعة من التروس الجاهلة التي تدور في موتور المؤسسة الكبير!

ومن اللافت أن الإسلام قد حذّر كل أمير ووال ومسؤول من بطانة السوء، فقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (آل عمران: ١١٨)، ونرى الإمام ابن كثير (رحمه الله) يُفسر هذه الآية الكريمة بقوله: «يقول تبارك وتعالى ناهيًا عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة، أي يُطلعونهم على سرائرهم، والمنافقون بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمنين خَبَالا أي يَسْعَوْنَ في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن، وبما يستطيعونه من المكر والخديعة، ويودون ما يُعْنتُ المؤمنين ويخرجهم ويُشقّ عليهم» والآية، وإن

من أسباب انهيار حكم فرعون تقريبه لأهل الظلم والفساد وعلى رأسهم هامان

كانت مخصوصة بالمنافقين والكفار وغيرهم، تحذّر بصفة عامة من اتخاذ بطانة السوء وأهل الهوى ومعدومي الكفاءة والخبرة، كما حذّر النبي ﷺ كل أمير ومسؤول فقال ﷺ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى» (البخاري: كتاب الأحكام، باب بطانة الإمام، وأهل مشورته- ٦٧٧٣)، وفي رواية النسائي: «ما من وال إلا وله بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خبالا، فمن وُقِيَ شرّها فقد وقي، وهو من التي تغلبُ عليه منهما» (سنن النسائي: كتاب البيعة، باب بطانة الإمام (٤٢٠١)، وقال الألباني صحيح)، فتأمل أيها القارئ العزيز هذا الحديث الشريف، بتلك الروايتين الصحيحتين اللتين تخبرانا بحقيقة خالدة تبرز نفس الإنسان، وتكشف ستر أهل الثقة العظيم.

إن الحديث الشريف ينصح كل أمير ووال، فينبهه إلى البطانة الصالحة التي تأمره بالمعروف، وإن كان كلامها ثقيلًا على النفس؛ ليطلب ودها، ويقربها إليه، كما يحذّره من البطانة الفاسدة، وإن كان كلامها محببًا إلى النفس، وأفعالها الظاهرة تُحسبك أنهم من أحب أحبائك.

لكن اللافت في رواية الإمام النسائي، قوله ﷺ: «وهو من التي تغلبُ عليه منهما»: أي والوالي أو الأمير أو أي مسؤول كان، يتأثر بمن حوله، فإن كان مقربًا لأهل المعروف والخير كان منهم، وإن كان يسمع لأهل السوء، وبطانة الفساد فهو منهم؛ فـ«الرجل على دين خليله» (سنن الترمذي- ٢٣٧٨، وسنن أبي داود - ٤٨٣٣، وقال أبوعيسى الترمذي: حديث حسن غريب، وقال الألباني: حسن). وبالمناسبة فلا أحد يستطيع أن يتهم أهل الثقة الحقيقيين بشيء، ولا نستطيع أن نقول في حقهم نصف كلمة، إن كانوا أهل ثقة فعلًا، فإن كانوا ممن يتقنون أعمالهم، ولا يتلونون حسب المواقف والوقائع فلا غبار عليهم، ولا مشاحّة فيهم، لكن البطانة التي تحسب نفسها أهل ثقة، وهي في نظر الجميع ليست كذلك، فهي واهمة كل الوهم، تعيش في ظلمات وهي لا تعي، ثم تكون عواقب مشوراتها مدمرة!

ولقد حذّر النبي ﷺ النمامين الذين ينقلون الوقائع والكلام بغية الإفساد بين الإخوة، ولرغبة نابعة من حسد دفين لمحو الحب والاحترام المتبادل بين المتحابين، فقال ﷺ: «أَلَا لَا يُبَلِّغْنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ» (سنن أبو داود ٤٨٦٠، ومسند أحمد ٣٧٥٩، وسنن البيهقي الكبرى ١٦٦/٨، حديث رقم ١٦٤٥٢، ومسند أبي يعلى ٥٣٨٨، قال الألباني: ضعيف- الألباني: صحيح وضعيف سنن أبي داود ٣٦٠/١٠).

ولذلك فقد تنبّه كثير من أمراء وخلفاء الإسلام لهذا الأمر، وكانت القاعدة التي يفهمونها جيدًا، ويعملون بها تكمن في حسن الظن بجميع الرعية حتى يثبت العكس بالأدلة والشواهد والبينات، وعندها يعملون وفق ضوابط التشريع الحكيم، لا ما يمليه عليهم الهوى أو الانتقام، ولذلك لم يكن الخليفة الأموي

كاتب صحافي

عبدالملك بن مروان يسمح لأحد أن يداهنه أو يتحدّث عن أحد من الرعية بدون وجه حق، أو يضيع وقته فيما لا يفيد، فقد رُوِيَ أن رجلاً «سأل عبد الملك أن يخلو به، فأمر عبدالملك مَن عنده بالانصراف، فلما خلا به، وأراد الرجل أن يتكلم، قال له عبدالملك: احذر من كلامك ثلاثًا: إياك أن تمدحني فإني أعلم بنفسي منك، أو تكذبني فإنه لا رأي لكذوب، أو تسعى إليّ بأحد من الرعية فإنهم إلى عدلي وعفوي أقرب منهم إلى جوري وظلمي، وإن شئت أقلتك، فقال الرجل: أقلني فأقاله» (ابن عساكر: تاريخ دمشق ١٤٢/٣٧)، وإنه مما يلفت الانتباه حقا أن المنهج الإسلامي في التعامل مع البشر يقوم وفق فلسفة الميزان، أي معرفة حسنات المرء وسيئاته، ومعرفة تاريخه وحقيقة أخلاقه العامة، ثم التعامل معه وفق الغالب على أمره، هذا التعامل لا يكون وفق الهوى الشخصي المحض بل يتكئ على شرع الله المنزّه، ولنا في تعامل النبي ﷺ مع الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة أسوة حسنة، وقدوة طيبة للتدليل على ذلك، فقد روى البخاري في صحيحه عن علي رضي الله عنه، قال: «بَعَثَنِي رَسُولُ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ فَقَالَ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ (مكان قريب من المدينة)، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً (أي امرأة في هودج) مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا، فَذَهَبْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ. فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ. فَقُلْنَا لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ، أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِمَّنْ بِمَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا هَذَا يَا حَاطِبُ؟ قَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مِنْ قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِمَكَّةَ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَصْطَنِعَ إِلَيْهِمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ. فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ. فَقَالَ: إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ، قَالَ عَمْرٌو (بن دينار أحد رواة الحديث): وَنَزَلَتْ فِيهِ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ

أَوْلِيَاءَ﴾» (البخاري: كتاب التفسير، باب سورة الممتحنة- ٤٦٠٨)، فهذه الحادثة الجليلة التي حدثت من صحابي شهد بدرًا، قوبلت من رسول الله ﷺ، وهو القائد الأعظم لهذه الأمة بموقف كله حلم وأناة، حيث نظر إلى تاريخ حاطب رضي الله عنه فوجده مشرفًا، ومجاهدًا في سبيل الله، فقارنه بما اقترفه من جرم- وهو جرم لا ريب عظيم- فلم يكن منه ﷺ إلا أن يعفو عنه، في ظل إلحاح من عمر رضي الله عنه ليقتله.

إن هذه النظرة المقاصدية للأمور الحياتية العامة ترشدنا إلى الآليات الحقيقية في التعامل مع بعضنا البعض، فالموقف رغم أهميته، لا يجب أن يكون العامل الأول والأخير في الحكم على الشخص المعني، فتاريخه خير شاهد عليه، ثم شهادة الجميع عليه- لا ثلة قليلة اختزلت الرأي لنفسها- أفضل حاكم وشاهد.

ولا ريب أنه كانت للبطانة الفاسدة دورها المحوري العظيم في انهيار الأمم، ومما يلفت الانتباه في قصة فرعون موسى، أن أحد الأسباب الرئيسة التي أودت بحكمه وملكه، وانهيار قوته وهلاكه، تكمن في تقريبه لأهل الظلم والفساد والبغي، وعلى رأسهم هامان؛ فلقد ذكره القرآن الكريم في ستة مواضع، ثلاثة في سورة القصص، وواحد في سورة العنكبوت، واثنين في سورة غافر، كلها تصفه بالمجرم العاتي، المتزعم البطانة الفاسدة التي وقفت أمام الحق، واستهزأت بالبرهان الواضح، والدليل البين الذي جاء به موسى عليه السلام إلى فرعون وملئه.

ولنا في تاريخنا الإسلامي عشرات الأمثلة التي تؤكد لنا خطر البطانة الفاسدة على هذه الأمة، فابن العلقمي وزير المستعصم آخر خلفاء الدولة العباسية، كان له أثره البالغ في انهيار الخلافة، ومقتل أهل بغداد عن بكرة أبيهم، وزوال الملايين من الكتب الشرعية والعلمية نتيجة إغراقها في النهر، وما ذلك إلا لتعاونه مع التتار الغزاة، فضلا عن مشوراته الفاسدة التي قللت عدد الجيش من مائة ألف مقاتل إلى عشرة آلاف، ونهيه الناس أن يقاتلوا التتار، وغيرها من قراراته الهادمة.

وفي مصر الحديثة، وجد الخديو إسماعيل في عام ١٨٦٣م أن النظام القضائي الذي يخضع له الأجانب في حالة فوضى شديدة، وفكر إسماعيل في إنهاء كل هذه الفوضى وإعادة الحكم بالشريعة الإسلامية، ولكن بطانة السوء التي لا تأمر إلا بالشر ولا تدعو إلى خير أبدا خذلته عن ذلك، حيث عمل الحاقد نوبار الذي كان يعمل وزيرا للخارجية إلى إيجاد فكرة المحاكم المختلطة، وقد وافقت الدول صاحبة الامتيازات على فكرة نوبار باشا، لأنها تهدف في المقام الأول لإقصاء الشريعة، وبالفعل قامت المحاكم المختلطة سنة ١٨٧٠م، وقد اشترطت الدول الأجنبية أن تكون مصادر تلك المحاكم المختلطة مستمدة من القوانين الفرنسية! وقد كلف محام فرنسي يدعى مونوري بوضع القوانين التي ستطبق في تلك المحاكم!

ومما سبق نتيقن أن للبطانة دورها المحوري العظيم في قيام الأمم وانهيارها، ولذلك حذّر الإسلام كل مسؤول من اتخاذ بطانة السوء، وأعوان الباطل، فهم المنتفعون الحقيقيون بهذا القرب، وتلك النجوى، وصدق معاوية بن يزيد بن معاوية حينما قال- عندما خلع نفسه من الخلافة وجعل الأمر شورى- لمن أرادوا أن يعدلوه عن قراره هذا؛ أو يجعلوا أمره في أهل بيته: والله ما ذُقْتُ حلاوة خلافتكم، فكيف أتقلد وزرها وتتعجلون أنتم حلاوتها، وأتعجل مرارتها؟!

المراجع

- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ١٠٦/٢.
- انظر: ابن كثير: البداية والنهاية ٢٣٤/١٣.
- دكتور عبدالحق حميش، بحث بعنوان «عوامل انحسار القضاء الشرعي في بعض المجتمعات الإسلامية في العصر الحاضر»، مؤتمر القضاء الشرعي في العصر الحاضر: الواقع والآمال، كلية الشريعة جامعة الشارقة، ١٣ – ١٥ ربيع الأول ١٤٢٧هـ/ ١١–١٣ أبريل ٢٠٠٦م.
- المسعودي: مروج الذهب ٨٢/٣.

مسجد «قوّة الإسلام» أو «قُطب مَنار» في دلهي

تركي محمد النصر

قال ابن بطوطة ت: ٧٧٩هـ في كتابه تحفة النظّار: «... دِلْهي قاعدة بلاد الهند، وهي المدينة العظيمة الشأن، الضخمة، الجامعة بين الحسن والحصانة، وعليها السور الذي لا يُعلم له في بلاد الدنيا نظير، وهي أعظم مدن الهند ...».

تقع دلهي في موقع جغرافي متميز، حيث تحيط بها التلال من جهتين، ونهر جمنة من الجهة الثالثة، وهي إقليم يتألف من ثلاث مناطق: دلهي القديمة، ودلهي الجديدة نيودلهي، ومعسكر دلهي، وتبلغ مساحة الإقليم ١٤٨٣كم٢، وعدد سكانه ١٣مليون نسمة، يشكل المسلمون فيه أكبر أقليَّة.

وتتألف دلهي القديمة من متاهة من الشوارع الضيِّقة الملتوية، تتخللها بعض الشوارع العريضة، وتضم أجمل المعالم الإسلاميَّة، مثل منارة مسجد «قُطب منار» التي أسست سنة ٥٩١هـ .١١٩٣م، ومسجد «دلهي الجامع»، أكبر مساجد الهند، ومن أعظم مساجد الدنيا وأجملها، أَمرَ ببنائه السلطان «شاه جهان» سنة١٦٦٠م، ومسجد «اللؤلؤة» الذي بناه «أورنجزيب» خليفة «شاه جهان»، وهو مسجد صغير، لكنه تحفة فنية نفيسة.

كما توجد في دلهي جامعات عدة منها: جامعة دلهي، وجامعة نهرو، والجامعة المِلِّية الإسلامية، كما يوجد فيها الكثير من الأكاديميات الخاصة بالفنون التطبيقية واللغات، وغيرها.

وتعد اللغة الهندية الأكثر شيوعًا في الهند، كما تستخدم اللغة الإنجليزية بكثرة، ومن اللغات الأخرى المستخدمة البنجابية، والأوردية، والبنغالية.

تنقلت العاصمة الهندية بين عدة مدن؛ فنقلها «تيمورلنك» من «دلهي» إلى «آكر»، ثم أعادها «بابر» إلى دلهي التي تعرضت لهجوم كاسح في عهد «نادر شاه» سنة ١٧٣٩م، ثم استولى عليها البريطانيون عام ١٨٠٣م، واتخذوا «كلكتا» عاصمة للهند البريطانية، وفي سنة ١٩١١م أعلن الملك «جورج الخامس» أثناء زيارته للهند نقل العاصمة إلى «دلهي» التي ظلت عاصمة للبلاد بعد أن نالت استقلالها سنة ١٩٤٧م.

الإسلام في الهند

الإسلام في الهند ثاني أكثر الديانات، وتعتبر الهند ثالث أكبر بلد من حيث عدد المسلمين في العالم حيث بلغ عدد المسلمين فيها أكثر من ١٠٠ مليون، بحسب آخر الإحصاءات، حيث يشكلون فيها وحدة حضارية لها شخصية مستقلة تستمد مكوناتها من التراث العربي الأصيل والحضارة الهندية العريقة.

ويرجع فضل انتشار الإسلام في شبه القارة الهندية إلى دعاة العرب الذين تشبعوا بروح الإسلام السمحة، فأناروا الطريق لنشر الدعوة الإسلامية في ربوعها عقب ظهورها في الجزيرة العربية مباشرة، وبذلوا الجهود في سبيل نشر دين الله الحنيف بطريق الموعظة والإرشاد والقدوة الحسنة، الأمر الذي ساعد على استمرار السيادة الإسلامية على الهند ما يقارب ألف سنة.

كان محمد بن القاسم ت: ٩٥هـ أول قائد مسلم تظلل راياته أطراف الهند، إلا أنَّ الفتح الشامل لم يتم إلا في عهد الأمير الغزنوي «سبكتكين» وابنه «محمود» في الفترة من ٩٧٧م حتى ٩٩٧م، ثم أعقبتها الدولة الغورية التي امتدت حتى العام ١٢١٥م، وكان السلطان «محمد الغوري» يشتري المماليك ويخصّهم بعنايته، ويعدهم للغزو والجهاد، ويرقي منهم من تؤهله ملكاته ومواهبه للقيادة ومناصب الحكم، وعُرف من بين هؤلاء المماليك «قطب الدين أيبك» ت: ٦٠٨هـ- ١٢١٠م الذي ولّاه «الغوري» ولاية دلهي.

بعد وفاة السلطان «محمد الغوري» تهيأت الظروف لأن تبرز مدينة دلهي، باعتبارها عاصمة لدولة سلاطين المماليك بالهند، وانفرد «قطب الدين أيبك» بحكمها، بموافقة القادة الأتراك، الذين كانوا يعلمون برغبة السلطان في أن يظل «أيبك» في منصبه، فعمل على تصريف الأمور واستتباب الأمن

إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

في ولايته، حيث كان قائدًا ماهرًا وحاكمًا عادلاً، يتمسك بالإسلام، ويكره الظلم، ويبغض نظام الطبقات الذي كان سائدًا في الهند، ويُنسب له في دلهي مسجد رائع ضخم ذو منارة شاهقة شامخة، لا تزال قائمة حتى اليوم تُعرف باسمه «قطب منار».

أسماؤه

١- مسجد «قوَّة الإسلام»، نسبة إلى فترة القوَّة والمَنَعَة التي كانت تتمتع بها دولة المماليك أثناء بناء المسجد.

٢ - مسجد «قُطب مَنار»، نسبة للسلطان «قُطب الدين أَيبك» أول سلاطين المماليك في الهند، أو نسبة إلى «خواجه قطب الدين» أحد المتصوفة القادمين من بغداد وحظي بمكانة رفيعة عند السلطان «إلتمش».

٣ - مسجد «السلطان علاءالدين» الذي اهتم بالمسجد وزخرفه وعمل على توسعته.

موقعه وتأسيسه

أراد السلطان «قطب الدين أيبك» أن يخلِّد عهده، فقام في

أوَّل مسجد بُني في دلهي عام ٥٩١هـ ... وهو أضخم المعالم التاريخية في الهند

سنة ١١٩٣م ببدء الأعمال لبناء مسجد ضخم لا مثيل له في الهند، إلا أن الظروف لم تسعفه إلا في إكمال المستوى الأول، حيث وقع من على ظهر فرسه وتوفي سنة ٦٠٨هـ- ١٢١٠م، فقام بعده السلطان إلتمش (ت: ٦٣٤هـ- ١٢٣٦م) بإضافة ثلاثة مستويات أخرى، ثم قام فيروز شاه (ت: ١٣٨٨م) بإضافة المستوى الخامس وهو آخرها.

تم تخطيط هذا المسجد ليتكون من فناء أوسط، يكتنفه من جهة القبلة بيت الصلاة، ومنبر جميل مصنوع من الحجر الجيري والرخام، أما المجنبتان فتتكون كل منهما من رواقين، بينما تتكون مؤخرة المسجد من ثلاثة أروقة. وأهم ما يمتاز به المسجد تلك المئذنة الهائلة التي تسمى بالقطب منارة، وهي أشبه بنصب تذكاري، حيث يبلغ ارتفاعها نحو ٧٣م تقريبًا، ويزيد قطر قاعدتها على ١٥م، ثم تضيق المئذنة في صعودها شيئًا فشيئًا حتى يصل قطر أعلاها إلى ٣ أمتار، ويوجد بداخلها درج حلزوني يعد٣٧٩ درجة، يمكن عن طريقه الوصول إلى القمة، قال ابن بطوطة في وصفها: «... وهذه الصومعة من عجائب الدنيا في ضخامتها وسعة ممرِّها، بحيث تصعده ثلاثة من الفيلة متقارنة...».

أما بدن المئذنة فهو مضلَّع الشكل، تتخلَّله ثلاث شُرفات للأذان، ترتكز كل شُرفة منها على صفوف من المقرنصات.

يجمع المسجد بين أسلوبي العمارة الإسلامي والهندي، واستُعملت في بنائه الأحجار الرمليَّة حمراء اللون، بينما أُكمل المستويان الأخيران بالرخام الأبيض، وتم زخرفة جدران المبنى بالنقوش والآيات القرآنية، وتعتبر جدرانه العالية، وقبابه البصلية من أهم المعالم التي ميَّزت المسجد من الناحية المعمارية، حيث يُعتبر أعلى مبنى حجري في الهند، وأحد المعالم الإسلامية الفريدة من نوعها.

وإلى الغرب من المسجد يوجد ضريح السلطان «إلتمش» شُيِّد عام ١٢٣٥م، الأمر الذي لم يألفه أهل الهند، لأن العادة جرت عندهم أن يتم حرق جثث الموتى لا دفنها.

تجديده

وقد جُدِّد المسجد ووُسِّعت مساحته مرات عدَّة:

التجديد الأول، في سنة ١٢٢٠م، حيث تم زيادة المسجد زيادة ضخمة ضاعفت مساحته أكثر من ثلاث مرات، مع العناية به وبتجميله.

التجديد الثاني، في سنة ١٢٩٥م، حيث تم زيادة مساحة المسجد مرة ثانية، فوصل طوله إلى ٢٢٥ مترًا، وعرضه١٥٠مترًا، لتصبح مساحته الإجمالية نحو ٣٤ألف كم٢، وصار يتسع لنحو٧٠ ألف مصلٍ دفعة واحدة.

التجديد الثالث، في سنة ١٣٠٥م، حيث فتحت في سور المسجد أبواب عدة، جُعِلَ كل واحد منها على صورة مصلَّى صغير، تقوم فوقه قبة.

التجديد الرابع، في سنة ١٣١٠م، وما بعدها، حيث كانت تقوم أعمال الترميم الدورية في المسجد.

وغير بعيد عن المسجد يوجد عمود حديدي ضخم يبلغ طوله ٧ أمتار، يعود تاريخه إلى القرن السابع للميلاد، قام بتنصيبه «الراجا كوبتا»، على شرف «فيشنا» آلهة هندوسية، استطاع هذا العمود أن يصمد أكثر من ١٦٠٠عام في وجه الصدأ والمناخ الرطب في الهند.

تاريخه العلمي

كان لمسجد دلهي الجامع أثر كبير في تأسيس وتنامي النهضة العلمية والدينية في البلاد، حيث أُنشئ المسجد في فترة زمنية كانت البلاد تنعم خلالها بالقوة والمنعة والعزَّة، فبالإضافة إلى الدور الذي قام به المسجد من أداء للصلوات الخمس، وخطبة الجمعة، وصلاة التراويح، وغيرها من المناسبات الدينية.. امتلأت زواياه بحلقات العلم التي كانت تدرِّس شتى الفنون الدينية من قراءة قرآن، وفقه، وعقيدة، ولغة عربية، وغيرها من الفنون، ومسجد بهذه المكانة والعراقة والقدم لابد أن يكون علماء الهند الكبار قد وفدوا إليه واستقوا مما فيه، خصوصًا أولئك الذين أدوا أدوارًا رائعة، وتركوا آثارًا خالدة في مجال الدعوة والتصنيف والتأليف، منهم:

● في القرآن وعلومه:

١. نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري، كان حيًّا سنة ٧٢٨هـ، هو أول من فسر القرآن باللغة العربية في الهند، وكتابه «غرائب القرآن

ورغائب الفرقان».

٢. علي علاء الدين بن أحمد بن علي المهائمي الهندي، ت٨٣٥هـ، وهو من أعلام الهند ومن علماء الأحناف الأجلاء، وكتابه «تيسير المنان في تفسير القرآن».

في الحديث، فقد كان له علماؤه النجباء، منهم:

١. رضي الدين حسن بن محمد الصاغاني، ت: ٦٥٠هـ، وهو من أشهر المحدثين الفقهاء في زمانه، ومن أشهر مؤلفاته «مشارق الأنوار النبوية في صحاح الأخبار المصطفوية».

٢. عبدالأول بن العلاء الحسيني الجونفوري، ت:٩٦٨هـ، وكتابه «فيض الباري في شرح صحيح البخاري».

● في الفقه، حيث اهتم علماء الهند بالفقه اهتمامًا كبيرًا، وركزوا عنايتهم على الفقه الحنفي، وأشهرهم:

سراج الدين الغزنوي الهندي، ت:٧٧٣هـ، أو «سراج الهند» قاضي الحنفية، تفقه على «وجيه الرازي»، وله كتب عديدة منها «زبدة الحكام في اختلاف الأئمة الأعلام»، و«الغرة المنيفة في ترجيح مذهب أبي حنيفة»، و«الفتاوى الحمادية»، وهو من أهم ما كتب في شبه القارة عن الفقه الحنفي.

● في التاريخ الذي حظي باهتمام بالغ، ومن أشهر المؤلفين في مجال التاريخ: الشيخ زين الدين بن عبدالعزيز الشافعي المليباري، ت:٩٨٧هـ، صاحب كتاب «تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتكاليين»، وكتاب «إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد».

● في اللغة العربية حيث أسهم علماء مسجد «قوَّة الإسلام» وغيرهم من علماء الهند في استقرار اللغة العربية في الأرجاء الهندية، وراح الهنود يقبلون على تعلم اللغة على أنها لغة دينهم، فكان منهم:

● أمير خسرو بن سيف الدين الدهلوي، ت:٧٢٥هـ، الإمام العلامة الذي قيل إنه أشهر مشاهير الشعراء في الهند، والعلامة السيد عبدالجليل الحسيني الواسطي، ت:١١٣٨هـ.

● في الأدب، الشيخ الأديب: عبدالحق الدهلوي، ت: ١٦٤٢م، المحدث والأديب الهندي الكبير، ألَّف بالعربية والفارسية، وأهم آثاره: «مدارج النبي»، و«تاريخ حقي» أو «تاريخ عبدالحق».

● في الزهد اشتهر الشيخ الإمام: ركن الدين الملتاني، ت: ٧٣٥هـ، أبوالفتح بن محمد بن زكريا القرشي، أحد مشاهير الأولياء بأرض الهند، له شأن كبير في إرشاد الناس وهدايتهم إلى طاعة الله.

هذا ولا يتسع المقام لذكر العلماء والمحدثين والأدباء والفلاسفة والمفكرين الذين وفدوا، ودرسوا، وتخرجوا من المسجد، حيث كوَّنوا مع بقية علماء الهند أشبه بجامعة شاملة للفنون كافة، حيث تُعَدُّ الهند اليوم بآثارهم من المراكز الرئيسية للثقافة الإسلامية في العالم؛ إذ تضم مئات المعاهد والمدارس التي تقوم بتعليم الكتب الحديثة، واللغة العربية وآدابها والعلوم الإسلامية وتراثها، وأهمها المدرسة الإسلامية التي أُقيمت عام ٣٨٤هـ، وكانت نواة

لعدد من المعاهد الدينية التي شيدت بعد ذلك على غرارها، هذا إلى جانب الجامعات الحكومية والمؤسسات الرسمية العديدة التي تعنى بالبحوث الإسلامية في شتى جوانبها، ولكن من الملاحظ أنه قلَّما نجد أحدًا في البلاد العربية يتحدث عن الحضارة الإسلامية واللغة العربية في شبه القارة الهندية، لا عن عصبية جنسية أو نزعة سياسية، ولكن لقلة وجود المصادر العربية والمراجع العلمية في هذا المجال.

هذا، ولا يمكن أن تُنسى الخدمات الجليلة التي تركها علماء دلهي خاصة والهند عامة في خدمة كتب الحديث المسندة وشرحها والاعتناء بها، وفيما يلي بعض هذه الجهود غير ما تم ذكره أعلاه:

١- شرح تراجم أبواب صحيح البخاري، للشاه ولي الله الدهلوي ت: ١١٧٦هـ.

٢- المعلم في شرح مسلم، للشيخ يعقوب البناني ت: ١٠٩٨هـ.

٣ - فتح الودود حاشية على سنن أبي داود، للشيخ محمد بن عبدالهادي السندي ت: ١١٣٩هـ.

٤- شرح على جامع الترمذي، للشيخ محمد طاهر الفتني ت: ٩٨٦هـ.

٥- المحلّى شرح الموطأ، للشيخ سلام الله بن شيخ الإسلام البخاري الدهلوي ت:١٢٣٣هـ.

٦- شرح مسند الإمام أحمد بن حنبل، للشيخ أبي الحسن السندي ت: ١١٣٨هـ.

وغيرها الكثير من الخدمات الجليلة، التي لا يمكن لأهل الصنعة نسيانها.

المصادر

١-الكامل لابن الأثير.
٢- رحلة ابن بطوطة.
٣- من أعلام الفكر العربي، د.ليلي الضباع.
٤- تاريخ المساجد الشهيرة في العالم.
٥- اللغة العربية في الهند عبر العصور، لخورشيد أشرف إقبال الندوي.
٦- الأعلام للزركلي.
٧- جهود محدِّثي شبه القارة الهندية، د.سهيل حسن عبدالغفار.

العلامة الشيخ عبدالله الغديان - يرحمه الله -

١٣٤٥-١٤٣١هـ

أ.د. وليد المنيس

فقد العالم الإسلامي وعلى الأخص منطقة الجزيرة العربية علمًا وعالمًا مبرزًا هو العالم العلامة الأصولي الفقيه الشيخ عبدالله الغديان الذي توفي في الرياض، ظهر الثلاثاء ١٨ جمادى الآخرة ١٤٣١هـ عن عمر يناهز الحادي والثمانين عامًا رحمه الله تعالى.

- التعريف بالشيخ ومولده:

هو العلامة الفقيه الأصولي عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالرزاق بن قاسم آل غديان، من بني تميم، كان عضوًا في هيئة كبار العلماء وعضوًا للجنة الدائمة للإفتاء، انتفع به العلماء وطلاب العلم والمسلمون كافة سنين طويلة، ولد عام ١٣٤٥هـ في مدينة الزلفي، وسافر الى الرياض مبكرًا عام ١٣٦٣هـ وهي التي أمضى فيها جل عمره.

- طلبه للعلم ومشايخه:

طلب العلم مبكرًا كعادة أهل زمانه، حيث قرأ في صغره على عدد من المشايخ بسعي ومتابعة من والده، منهم عبدالله بن عبدالعزيز السحيمي، وعبدالله بن عبدالرحمن الغيث، وفالح الرومي، كما تلقى مبادئ الفقه والتوحيد والنحو والفرائض على الشيخ حمدان بن علي الباتل، ثم أكمل دراسته في مدارس الرياض، فدرس الابتدائية وأكملها عام ١٣٦٨هـ، وعين مدرسًا في المدرسة العزيزية، ثم دخل المعهد العلمي عام ١٣٧١هـ وفي أثناء ذلك كان يتلقى العلم على سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم واصل دراسته إلى أن تخرج في كلية الشريعة عام ١٣٧٦هـ، ثم عين رئيسًا لمحكمة الخبر، ثم نقل للتدريس في المعهد العلمي عام ١٣٧٨هـ، وفي عام ١٣٨٠هـ عين مدرسًا في كلية الشريعة، وفي عام ١٣٨٦هـ نقل كعضو للإفتاء في دار الإفتاء، وفي عام ١٣٩١هـ عين عضوًا للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، إضافة الى عضوية هيئة كبار العلماء.

- انتفاعه بكبار العلماء:

استفاد الشيخ عبدالله بن غديان رحمه الله من كبار علماء زمانه وانتفع بهم، ومن أبرزهم العلامة البحر الشيخ محمد بن إبراهيم المفتي العام، والعلامة المفسر محمد الأمين الشنقيطي في الفقه والتفسير، وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ عبدالله الخليفي في الفقه وغيرهم مما زوده بحصيلة وافرة من العلم مع ما وهبه الله من همة عالية وذكاء فطري فانتفع به الناس.

- طرف من سجاياه ومنهجه وسمته في مجالسه العلمية:

امتاز العلامة الشيخ ابن غديان بعدد من السجايا كما أن له منهجًا في دروسه العلمية، ظهرت في كتابات تلامذته ومن لازمه مدة طويلة، وكذلك يتلمسها كل من جلس الى الشيخ أو سمعه أو شاهده وهي:

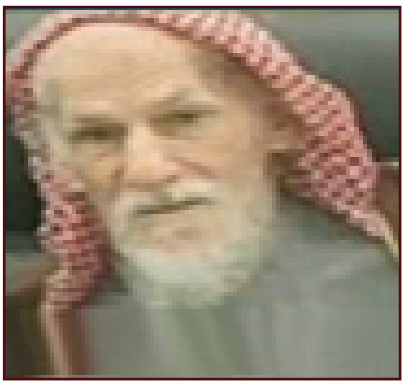

- قربه من طلبته في مجالسه العلمية:

يشاهد هذا في مجالسه العلمية الخاصة في مسجد الإفتاء حيث إن له مجالس علمية تتكرر في الأسبوع يُقرأ فيها عليه عدد من الأبواب والفصول من فنون العلم المختلفة، وقد شاهدت هذا بنفسي، وكيف يعرف الشيخ كل طالب باسمه أثناء القراءة عليه.

- وضوح لغته مع ترسله في العرض:

يلاحظ على الشيخ كذلك أنه واضح في لغته ويتحدث بالفصحى أحيانًا، مع تأن واضح في كلامه وترسل بحيث لو تابعه أحد الجالسين بقلمه لأمكنه تقييد كل كلامه بسهولة ويسر.

- تأصيله وتقعيده لإجاباته:

المتأمل لإجابات الشيخ عن الاسئلة الواردة إليه أو أثناء شرحه لدروسه يجد أن الشيخ كثيرًا ما يؤصل إجاباته ويقعدها فيربطها بالقواعد الأصولية والفقهية ما يوضح إجاباته ويجعلها سهلة الفهم للمتأملين والمتابعين.

أستاذ في جامعة الكويت

كان الشيخ الغديان واضحاً في لغته يتحدث بالفصحى أحيانا مع التأني في كلامه

- قراءة أكثر من فن في المجلس الواحد:

يلاحظ في مجلسه العلمي أنه يقُرأ بين يديه عدد كبير من العلوم والفنون في المجلس الواحد مما يدل على غزارة علمه وحسن فهمه وشرحه لكل فن بحسب حاجة المجلس.

- تنوع شروحه بحسب المقام:

يلاحظ على الشيخ كذلك، تنوع درجات شرحه ولغته بحسب المقام، فتجد شرحه في الإذاعة في برنامج «نور على الدرب» يعتمد اللغة المباشرة فيجيب بحسب حاجة السائل الذي يحتاج إلى الاجابة المباشرة والقصيرة، وتجد شرحه في الحرم المكي في دروسه أكثر تفصيلا لخصوصيته لمن يجلس إليه ما لم يكن مجلسًا عامًا، وكذلك تجد طريقته تأخذ منهجًا خاصًا إذا كان الدرس في مسجده، وكذلك في محاضراته في الجامعة أو مناقشته الرسائل العلمية ونحو ذلك مما يدل على مقدرته في مراعاة أحوال مجالس العلم.

- تبسطه وعدم تكلفه:

امتاز الشيخ رحمه الله كذلك بتبسطه وتواضعه في هيئته وملبسه مع مهابة وسمت لا يفارقه، فلا يجد المتحدث إليه أو الجالس صعوبة في الحديث إلى الشيخ خاصة إذا لمس من الطالب التأدب وحسن الكلام.

- الإمامة:

رغم مشاغله، رحمه الله، إلا أنه يتولى الإمامة في مسجد دار الإفتاء وكان سكنه قريبًا منه حينذاك وكانت صلاته تامة مخففة، ويطيل القراءة أحيانًا في المغرب، وصوته وترتيله على الطريقة النجدية، ما أحسنها حتى إني سجلت قراءته في إحدى الصلوات، واذكر أني صليت خلفه صلاة الظهر فلما قضيت الصلاة، جلس سماحة الشيخ ابن باز وشرح الآية ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف﴾(التوبة:٦٧) مع ضد ذلك فكان شرحه من أحسن ما سمعت عليه الرحمة والرضوان.

- وصف مفصل لمجلس من مجالسه العلمية:

كنت أسافر سنويًا إلى الرياض في فترات سابقة وكنت أحرص على زيارة دار الإفتاء وكنت أزور الشيخ في مكتبه وكان يرحب ويستأنس بي، وقد طلبت منه أن أقرأ عليه قواعد العلامة ابن سعدي فوافق مشكورًا، وهاهنا وصف كامل لهذا المجلس **بقدر الوسع:**

كان المجلس بعد صلاة العشاء في مسجده والطلبة جالسون على شكل حلقة والشيخ ظهره للمحراب في مقدم المسجد وينتقل المكرفون من طالب إلى آخر كل يقرأ من الكتاب الذي اعتاد أن يقرأ منه، وعلى يمين الشيخ ويساره طلبته المقربون، وفي تلك الجلسة كانت الكتب التالية التي قرئت بين يدي الشيخ وأنا أسمع، كل يقرأ ما تيسر له بحسب ما يسمح المجلس، والشيخ يعلق باختصار:

١- «الكوكب المنير» لابن النجار في أصول فقه الحنابلة.

٢- «قواعد المقري» في المذهب المالكي.

٣- «الرسالة» للإمام الشافعي.

٤- «الموافقات» للشاطبي.

٥- «نيل الأوطار» للشوكاني.

٦- «فتح المغيث» للعراقي.

٧- «الجمع بين الصحيحين» للأشبيلي.

٨- «رفع الملام» لابن تيمية.

٩- «الإيمان» لابن تيمية.

١٠- «تشنيف السامع لجمع الجوامع» للسبكي.

١١- «قواعد الأحكام» للعز بن عبدالسلام.

١٢- «الكافي» في الفقه لابن قدامة.

١٣- «الإنصاف» للمرداوي (ج١٢).

١٤- «الفروق» للقرافي.

١٥- «القواعد والأصول الجامعة» لابن سعدي.

«القراءة من القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة»، وهي ستون قاعدة.

● فائدة من الشيخ: لما سألته عن الفرق بين القاعدة الفقهية والأصولية في مكتبه؟

- أجاب الشيخ عبدالله الغديان - رحمه الله- ولما شرع في الكلام أخرجت القلم لأكتب فقال لي: أولاً افهم ثم اكتب، ثم قال: القواعد الفقهية متعلقة بأفعال العباد والمكلفين، والمكلفون أصناف أربعة:

١- مشرك خالص وكافر .

٢- مؤمن خالص ممتثل.

٣- جزئي وهو مؤمن لكنه يزني ويشرب الخمر.

٤- صاحب نية حسنة لكن فعله غير صواب وهم المبتدعة، أحوال هؤلاء مباحث القواعد الفقهية، أما القواعد الكلية فهي قواعد كلية تتعلق بأحكام الدين، ثم قال لي لما زرته في مكتبه، ماذكرته لك هو فرق واحد وهناك خمسة فروق سأكتبها لك في ورقة (١٤رجب ١٤٢٠ هـ)..

- مختارات لأقواله أثناء القراءة عليه في القواعد الفقهية:

القاعدة الأولى

الشارع لا يأمر بما مصلحته خالصة أو راجحة ولا ينهى إلا عما مفسدته خالصة أو راجحة.

- قال العلامة الشيخ عبدالله الغديان:

لا يستثنى إلا بدليل مثل قوله تعالى: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون﴾ (الأنعام: ١٠٨) فحرم السب لسد ذريعة سب الله تعالى.

القاعدة الثانية

«الوسائل لها أحكام المقاصد، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ما لا يتم المسنون إلا به فهو مسنون، وطرق الحرام والمكروهات ثابتة لها، ووسيلة المباح مباحة، ويتفرع عليها أن توابع الأعمال ومكملاتها تابعة لها».

قال العلامة الشيخ عبدالله الغديان

أي لها حكم الغايات، فالواجب وسائله واجبة والحرام وسائله حرام، والمباح وسائله مباحة، وقال عن قوله «توابع الأعمال... الخ» هذه غير الوسائل فهي مكملات كالشروط، فرجوعه الى بلده بعد الحج تابع، ودعوته في الصلاة تابع، والتوابع عبارة عن أمور متعلقة بالشيء الذي أمر به لكنها تقع بعد الانتهاء منه.

القاعدة الثالثة

«الوجوب يتعلق بالاستطاعة، فلا واجب مع العجز ولا محرم مع الضرورة»

قال العلامة الشيخ عبدالله الغديان.

هذه القاعدة متفرعة من القاعدة الثالثة: «المشقة تجلب التيسير».

القاعدة الرابعة

الشريعة مبنية على أصلين: الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله ﷺ.

قال شيخنا العلامة عبدالله الغديان:

هذه متفرعة من قاعدة «الأمور بمقاصدها»، وهذه القاعدة مركبة من ركنين أو شرطين: الإخلاص للقلب، والمتابعة وهي موافقة الشرع، والإخلاص مدخل المنافقين إذ لا إخلاص عندهم، والمتابعة مدخل المبتدعة إذ عندهم إخلاص لكن عملهم باطل.

ختامًا هذه مختارات لبعض أقوال الشيخ أثناء قراءتي عليه في مجلسه في مسجد دار الإفتاء في رجب ١٤٢٠هـ، وقد تيسر إتمام سماع تعليقه على القواعد فيما بعد.

● أقوال بعض طلابه الملازمين له،فمن طلابه الذين لازموه طويلا الأخ الشيخ أنس بن عبدالرحمن بن العلامة شيخنا عبدالله بن عقيل الذي لازم العلامة الشيخ ابن غديان من عام ١٤١٨ هـ إلى عام ١٤٣١ هـ وإلى قبل وفاته بأشهر رحمه الله.

يقول الشيخ أنس العقيل أبرز سمات الشيخ مايلي:

١- تبسط الشيخ في الملبس، فيلبس ملابس أوساط الناس وتشعر فيه مفهوم حديث «البذاذة من الإيمان».

٢- انفتاحه وتبسطه مع طلبته خاصة من سبرهم وعرف حالهم وتلطفه معهم على غير ما يظنه البعض أن فيه انغلاقا لقلة معرفته به، بل ويشجعهم على إتمام دراستهم كما في نصحه لتلميذه الأخ الشيخ أنس.

٣- تقديره لكبار العلماء، فمثلًا لما علم الجد الشيخ عبدالله بن عقيل أني ملازم للشيخ ابن غديان طلب زيارته فزاره وتذاكرا معًا واستمر الود بينهما ولا أحصي المرات التي قالها الشيخ الغديان في حق الجد الشيخ عبدالله بن عقيل بقوله عنه: جدك لحق زمن الخير... واستمر التزاور بينهما فترة إلى قريب وفاة الشيخ.

٤- تقديره لأقرانه وذلك أن الشيخ عبدالله الغديان لاحظ أني انقطعت عن درسه نحو أسبوعين فسألني أين كنت، فقلت له ذهبت إلى القصيم وقرأت على المشايخ وذكرت منهم أحد أقرانه فأيد سفري، ولما سمع قرينه قال في حقه: هو ثقة ثبت خاصة في العقيدة، ولما ذكرت له الشيخ عمر بن عبدالعزيز الشيلخاني فرغب في زيارته فزرناه في الفندق وتذاكرا المسائل الأصولية، وعلمت أن الشيخ عبدالله الغديان هو الذي اقترح على الشيخ عمر بن عبدالعزيز عمل كتاب «المعدول به عن القياس عند ابن تيمية».

٥- تنوع الفنون في مجالسه، فهو يعطي مفاتيح لكل علم حيث يقرأ بين يديه معظم الفنون والمذاهب الفقهية في المجلس الواحد.

٦- يدخل في المطولات ولا يتهيب من الصغير ولا الكبير من المصنفات، ويهتم بأن يعرف منهج الكتاب وطريقته وخلاصة كتابه وطرق الخلاف حتى وإن لم يتم الكتاب فيحصل النفع لطلاب العلم.

٧-نظرته الكلية للمسائل الشرعية، فيرد المسائل إلى أصولها، ويربط العلوم ببعضها، إلى الأصول أو القواعد، أو العقائد، ويستخرج الفروق، وهو من المتقنين لكتابي «الفروق» للقرافي، و«الموافقات» للشاطبي يحسن استحضارهما كاستحضاره لآيات الكتاب.

هذا آخر ما تيسر جمعه والحمد لله رب العالمين، ورحم الله شيخنا العلامة عبدالله ابن غديان وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الإصلاح والتجديد عند المسلمين في العصر الحديث

د. محمود مسعود

قضايا الإصلاح تشغل كل الأمم في القديم والحديث، حيث إن الإنسانية تبحث دائما عن الأصلح لها، وكيف تسير إليه؟ وما الوسائل التي يمكن الاعتماد عليها للوصول إلى الإصلاح المنشود؟ سواء أكان هذا الإصلاح سياسيا أم اقتصاديا أم اجتماعيا، أم عقليا أم دينيا أم أخلاقيا...إلخ، لكن الإصلاح العقلي والديني هما محور كل إصلاح، فالغرض الرئيس منهما هو تجديد مسار الإنسان، ليجدد هو كل المسارات الأخرى، ولما كان محور إصلاح الإنسان هو عقله وقلبه، كان الإصلاح الديني والعقلي هما أهم شواغل الإنسان، فإذا كان عقل الإنسان بمثابة القاطرة التي تقوده إلى عمل الخير وعمل ما يفيده وما يصلحه، ليصلح هو الكون من حوله، كما يمكنها أيضا أن تقوده إلى ما يضره ويضر غيره من الكائنات، فإن روحه تعد بمنزلة السفينة التي يستريح عليها من همومه لينشط في استعمار الكون؛ لهذا يبحث الإنسان عن إصلاح عقله وفكره الديني ليحسن أداء رسالته، وقد سعى الغربيون إلى ذلك فنهضوا بأمتهم من التخلف العقلي إلى قمة السلم الحضاري، وحاولوا إصلاح التفكير الديني مع حركة الإصلاح وغيرها، ونجحوا في أشياء ولم ينجحوا في أخرى، فاضطروا في نهاية الأمر أن يحولوا الدين من سفينة عامة تحمل الأمة بأسرها، إلى مراكب صغيرة يمتطيها الأفراد، وكلما تقدم الإصلاح العقلي ومستلزماته الحضارية بعدت مراكب الأفراد بعضها عن بعض وضربتها الأمواج العاتية، فأصبح الغربيون في سعة العقل وفي تيه الروح معا.

أما المسلمون فقد انشغلوا هم أيضا بالإصلاح العقلي والديني إلا أنهم ظلوا يربطون الاثنين معا لكون الإنسان لا يبقى إنسانا إلا بعقله وروحه، ومقالنا هذا عن كتاب: مصادر التجديد عند المسلمين: من جمال الدين الأفغاني إلى حسن البنا، (aux sources du renouveau musulman d'al-Afgânî à Hasan al Bannâ) ومؤلف الكتاب مسلم غربي، مهموم بمواطنيه المسلمين الغربيين في المقام الأول، وهو المفكر المسلم طارق رمضان، وقد قدمنا له في العدد ٥٢٧ حين قدمنا كتابه: التحديات التي تواجه المسلم الأوروبي، وغرضنا من تقديم هذا الكتاب أن نبين دور الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي وصداها الواسع اليوم، حيث إن هذا الكتاب كان في الأصل أطروحة جامعية في جامعة جنيف بسويسرا، مما يدل على صدى الحركة الإسلامية وتتبع نشاطها الفكري وصداه في الجامعات ومراكز البحث الغربي.

الكتاب يدور في مقدمة وثلاثة أقسام تحوي تسعة فصول، يبدأ بفصل عن مصادر الإصلاح والتجديد في القرآن والسنة، وينتهي بفصل عن إعادة التفكير في الإصلاح من جانب بعض الحركيين المسلمين في نهاية الخمسينيات من القرن الماضي، وفي تقديمنا لهذا الكتاب سنسير بمنهج مختلف شيئا ما عما تعودنا طرحه في هذا الباب، حيث لن ننشغل بعناصر الكتاب وبتفاصيل الجانب التاريخي بقدر انشغالنا بالقسم الأول منه وهو مصادر الإصلاح الإسلامي في العصر الحديث، وهل الإسلام يمكن أن يكون عونا للإنسانية، بفتح آفاق جديدة من التعارف والتقارب والتعاون.. قدم لهذا الكتاب «ألان جرش» رئيس تحرير جريدة «لوموند دبلوماتيك» وقال: إن صوتا إصلاحيا مثل طارق رمضان يمكنه أن يوقف الصدام بين الحضارتين الغربية والإسلامية. ومن جانبنا نظن أن أي صوت إسلامي حقيقي ومتعقل يمكنه أن يتصالح مع الآخر، إذ إن الإسلام رسالة حانية على الإنسان تحب له الخير والأمن والسلام.

يبدأ مؤلف الكتاب حديثه مبينا أن القرن التاسع عشر كان محطة مهمة من محطات الإصلاح في العالم الإسلامي، حيث نظر المسلمون فوجدوا أن الغربيين قد قطعوا شوطا طويلا في التقدم العلمي والحضاري، وأنهم- أي المسلمين- تخلفوا عن ركب الحضارة، فلابد من الإصلاح وكان هناك رؤيتان عند المسلمين للتجديد والإصلاح، رؤية أرادت أن تلحق بالغرب عن طريق الغرب نفسه، فتجدد الإسلام كما جدد الغربيون المسيحية في القرن الخامس عشر، وعلى رأس هذه المدرسة كان هناك منصور فهمي وطه حسين وعلي عبدالرازق وغيرهم، وأخرى كانت ترى أن التجديد لابد أن ينطلق من ثوابت الإسلام نفسه، وإن لم تمانع من الإفادة من الغرب المتقدم في الجانب الحضاري، غير أنها كانت ترى أن الإصلاح الديني للغرب المسيحي لا يعنيها، ومن هؤلاء جل أتباع الحركة الإصلاحية المسلمين.

وانشغل المؤلف كثيرا في القسم الأول بدور جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده، اللذين رسما خطوط الإصلاح والتجديد العقلي والديني للمسلمين مستندين على رسالة الإسلام ومنفتحين على غيرهم

أستاذ الفلسفة في جامعة المنيا

من الأمم والشعوب الأخرى، وما صارت إليه من تقدم مادي وحضاري، وفي حين كان الإصلاح السياسي الديني المحور الرئيس عند الأفغاني كان الإصلاح التربوي الديني هو الأهم عند تلميذه محمد عبده، وكل إصلاح جاء بعد هذين الرجلين استند إليهما، فالقوميون يرون في كتابات عبده الوطنية مصدرا لهم، والإسلاميون يرون في فكر محمد عبده الإصلاحي أيضا مصدرا لهم، وقد عملوا على تعميقه ومحاولة تطبيقه، وكان الإمام حسن البنا أكثرهم ميلا لهذا التطبيق العملي.

وفكرة تجاوز النظرة الضيقة والسطحية لنصوص الوحي، ومحاولة إيجاد نظرة حية وقادرة على العطاء والاستمرار، فيما يسمى بالتجديد ليست فكرة جديدة على المسلمين، فقد ظهرت منذ أن انحنى مؤشر الصعود الحضاري للأمة في نهاية القرن الخامس الهجري، فحاول علماء أفذاذ كأبي حامد الغزالي وابن تيمية أن يعيدا مؤشر الصعود للأمة من خلال تجديد النظر في نصوص الوحي وفهم المراد منها في عصرهم، ومنذ ذلك الحين والمسلمون يبحثون عن طرق التجديد، خاصة في القرن الخامس عشر الميلادي عندما فتح العثمانيون القسطنطينية في عام ١٤٥٣م ونجحوا في تجديد الوعي الديني والحضاري بإحياء التنظيمات السياسية والاجتماعية والتربوية، وبصفة خاصة في عصر السلطان سليمان القانوني، لكنه بدءا من القرن السابع عشر الميلادي عاد مؤشر النهضة والتجديد في العالم الإسلامي إلى الوراء،

د. طارق رمضان

وغلب التقليد والنظرة السطحية للنصوص على فكر المسلمين، فجاءت محاولات الإصلاح تمهد الطريق للمسلمين ليفهموا رسالة الإسلام وفق عصرهم، ولم تكن حركات الإصلاح تسير على وتيرة واحدة، ففي حين كانت حركة محمد بن عبدالوهاب ترى أن إصلاح العقيدة هو الركيزة الرئيسة والأهم، كانت محاولة السلطان محمود الثاني في عام ١٨٠٨م هي بناء جيش قوي على منوال الجيوش الغربية.

وحاول جمال الدين الأفغاني أن يسير على نهج ابن تيمية في محاولته «درء تعارض العقل والنقل» حيث ذهب الأفغاني إلى أن إصلاح المسلمين لا يأتي إلا بالعودة إلى فهم السلف لرسالة الإسلام، فذهب إلى أن القرآن هو الذي فتح الطريق للمسلمين الأوائل للتفكير والتفلسف، ومن ثَم تعقل السلف رسالة الإسلام، لهذا يجب على المسلمين إن أرادوا العودة لسلفهم الصالح أن يقدروا العقل قدره كما فعل أسلافهم، وأن يعطوا الفلسفة (الحكمة) مكانها اللائق بها، فالإسلام مرجع دائم والوحي مصدر الإحياء و«العقل» وسيلة تستبين بها رؤية الوحي ومراده وطريقته، ومعنى أن تفهم الإسلام عند الأفغاني يعني أنك تفهم فلسفة العلم والحضارة، حيث يتعانق الإسلام مع العقل ومع العلم، فإذا وصلنا للإمام محمد عبده كنا على أعتاب فهم أوسع لدور العقل والإصلاح العقلي في رسالة الإسلام، فالإسلام كما يفهمه عبده ليس فقط يتعانق مع العقل ويدفع نحو احترامه، إنما هو ذاته مصدر العقل والعقلانية، إذ إن رسالة الإسلام ذاتها لا تفهم بتمامها إلا بنور العقل، الذي هو نفسه هبة من الله تعالى، والعقل عنده هو وسيلة لفهم الرسالة ومراد المرسل، فهو الذي يناط به إدراك أن الله موجود وأنه يرسل رسلا ويفهم الغرض من إرسالهم، كما يستطيع هذا العقل أن يتحقق من صحة الرسالة أو تحريفها، بل يذهب محمد عبده إلى أن القرآن ليس كتابا في الفنون والآداب إنما هو مرشد للعقل لكي يتغير من حال إلى حال، أملا في الوصول لسعادة الدارين، والقرآن يحث المسلمين ليكتشفوا العالم حولهم ويحلوا شفرات الكون ويكتشفوا أسرار الطبيعة، ومع ذلك فالقرآن ليس كتابا في العلم الطبيعي أو غيره. وحارب الإمام محمد عبده التقليد ودعا إلى الاجتهاد الذي كان يسير عليه السلف، وربط إصلاح المسلمين بإصلاح عقولهم وتفكيرهم وفتح باب الاجتهاد وتقوية شوكته ومحاربة الأمية التي تمنع القدرة من الانطلاق الواسع في هذا الباب، مما جعل د.محمد عمارة يصفه بالسلفي العقلاني، واستمرت محاولات الإصلاح بعد محمد عبده تأتي بثمارها خاصة عند رشيد رضا الذي سار على نفس خطوات أستاذه، ثم جاء سعيد النورسي في تركيا ليغرس ثمار تلك الإصلاحات في رسائل قصيرة وهي «رسائل النور»، وفي مدرسته الزهراء التي أنشأها على غرار الأزهر، وكذلك مصطفى كامل في محاربته للاستعمار وتزعمه للحزب الوطني الحر، ثم استمرت محاولات الإصلاح على يد عبدالحميد بن باديس في المغرب العربي، الذي أسس نوعا جديدا من الإصلاح المرتكز على الجانب العملي بتعليم اللغة العربية والدين، وإنشاء المدارس والصحف ثم في تأسيسه لجمعية علماء المسلمين الجزائرية، وقد تعاصر معه في المشرق الإسلامي محمد إقبال الذي استمر على نهج الإصلاحيين السابقين في تطبيقه الإصلاح عمليا بمحاربته البدع الصوفية، وتقليد المسلمين للغرب، ومحاولته إعادة غرس الجانب الروحي للإسلام من خلال رسالة الإسلام ذاتها، وليس من خلال التقاليد التي تراكمت حولها.

وهكذا نتوقف مع هؤلاء الإصلاحيين الذين شغلوا القسم الأول من هذا الكتاب القيم وربما تكون لنا عودة مع القسم الثاني الذي خصصه لحسن البنا ومدرسته كأهم تجربة إصلاحية حدثت عند المسلمين في العصر الحديث.

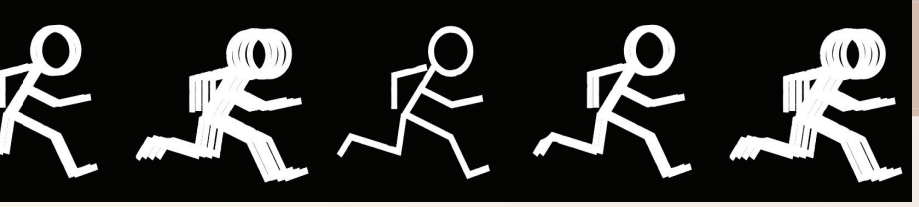

إعداد: خالد خلاوي

استعن بالله ولا تعجز

كان العالم والطبيب المسلم ابن سينا إذا أشكلت عليه مسألة في العلم توضأ وقصد المسجد الجامع ودعا الله عز وجل أن يسهلها عليه ويفتح مغلقها له..

إذا حددت هدفك بدقة واتخذت كل الأسباب الممكنة لتحقيقه فأنت بحاجة ولاشك إلى عون الله تعالى للنجاح والتميز، وإذا تعرضت إلى الصعاب وأحسست بالعجز فاستعن بالله ولا تعجز وردد مع القائد العظيم صلاح الدين الأيوبي «إلهي، قد انقطعت أسبابي الأرضية في نصرة دينك، ولم يبق إلا الإخلاد إليك، والاعتصام بحبلك، والاعتماد على فضلك، أنت حسبي ونعم الوكيل».

فالتماس التوفيق من الله تعالى طريق التميز الحقيقي، فهو سبحانه بيده مقاليد كل شيء، قال رسول الله ﷺ موصيًا عبدالله بن عباس «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله» (من حديث رواه الترمذي).

وفي غزوة بدر أعد الرسول ﷺ جيشه وأخذ بكل أسباب النصر الأرضية ثم دخل عريشه وجعل يدعو الله عز وجل يلتمس منه العون والنصر ويقول كما جاء في صحيح البخاري : «اللهمّ أنشدك عهدك ووعدك، اللهمّ إن شئت لم تُعبد، اللهم إنهم حفاة فاحملهم، وعراة فاكسهم، وجياع فأشبعهم، وعالة فأغنهم من فضلك» فقال أبوبكر: حَسْبُك فإن الله سينجز لك وعده، فخرج ﷺ من العريش وهو يقول : «سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ».

وكان من دعاء الرسول ﷺ في طلب العون من الله عز وجل: «رب أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، واهدني ويسر الهدى لي وانصرني على من بغى علي» (رواه الترمذي).

وكان ﷺ يقول: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير. احرص على ما ينفعك، واستعنْ بالله ولا تَعْجَز.. وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا، كان كذا وكذا، ولكن قل: قدّر الله، وما شاء فعل، فإن لَوْ تفتح عمل الشيطان» (رواه مسلم).

والصلاة هي أهم وسائل الاستعانة بالله، وهي التي يردد المسلم فيها في كل ركعة من ركعاتها مخاطبًا المولى عز وجل ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾.

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: ما أفقرنا إلى من يلهمنا الصواب، ويهدينا إلى الحق كلما اشتبهت علينا الأمور، والإنسان معرض للآلام من كل ناحية فيه، إنه كمدينة مفتوحة يمكن أن تدك في أي وقت ومن أية جهة، والمرء إذا نظر إلى بدنه وجد أن كل ذرة فيه يمكن أن تكون منفذًا لمرض عضال يبعثه على الأنين العالي، وإذا نظر إلى شأنه كله وجد أن أي أمر من أموره يمكن أن ينقلب عليه ليجر وراءه الشقاء الطويل، ما أفقرنا إلى استدامة النعمة، واتقاء النقمة، والاسترواح في الحياة، إلى ما يجعل الله في الحياة من يسر وبركة وسكينة.. إن هذا كله هو ما تكفله الصلاة للمؤمن.

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: وأما الاستعانة بالله عز وجل دون غيره من الخلق فلأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه، ودفع مضارّه، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله عز وجل.. فمن أعانه الله، فهو المُعانُ، ومن خذله فهو المخذولُ، وهذا تحقيقُ معنى قول: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

ويقول ابن القيم عن الاستعانة بالله: والاستعانة تجمع أصلين، الثقة بالله والاعتماد عليه، فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس، ولا يعتمد عليه، في أموره مع ثقته به لاستغنائه عنه. وقد يعتمد عليه مع عدم ثقته به لحاجته إليه، ولعدم من يقوم مقامه؛ فيحتاج إلى اعتماده عليه مع أنه غير واثق به.

وقد كان بعض الصالحين يوصي إخوانه بكلمات نافعة عظيمة الأثر يقول: أما بعد: فإن كان الله معك فمن تخاف، وإن كان عليك فمن ترجو؟

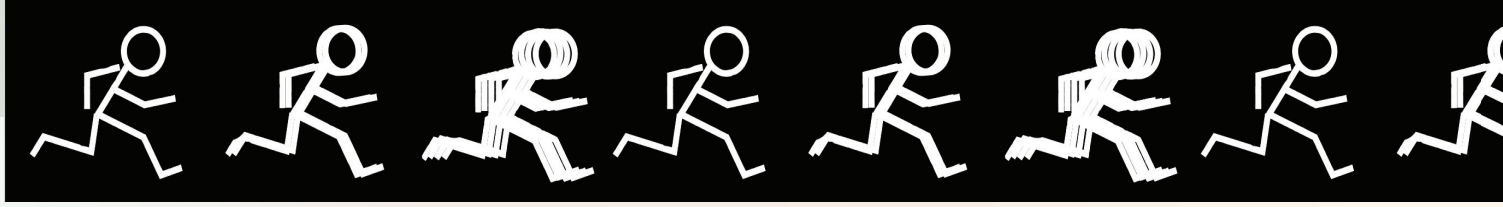

صور من حياة المتميزين

نورالدين زنكي

نورالدين محمود زنكي (١١ فبراير ١١١٨ - ١٥ مايو ١١٧٤) أحد الأبطال الذين تركوا بصمة كبيرة في التاريخ الإسلامي وقد حقق انتصارات كبيرة على الصليبيين، وهو من حكام المسلمين الذين عرفوا بالعدل والورع وحسن الاستعانة بالله، والتوكل عليه مع الأخذ بكل أسباب النصر.

قال عنه ابن كثير: «كان يقوم في أحكامه بالمعاملة الحسنة واتباع الشرع المطهر.. وأظهر ببلاده السنة وأمات البدعة»

ويصفه ابن الأثير بأنه: «كان يتحرى العدل وينصف المظلوم من الظالم كائنًا من كان، القوي والضعيف عنده في الحق سواء، فكان يسمع شكوى المظلوم ويتولى كشف ذلك بنفسه، ولا يكل ذلك إلى حاجب ولا أمير، فلا جرم أن سار ذكره في شرق الأرض وغربها».

وكان نورالدين يصلي كثيرًا بالليل وحكي عنه أنه يصلي فيطيل الصلاة، وله أوراد في النهار، فإذا جاء الليل وصلى العشاء نام، ثم يستيقظ نصف الليل، ويقوم إلى الوضوء والصلاة والدعاء إلى بكرة، ثم يظهر للركوب ويشتغل بمهام الدولة.

وكان يدعو الله قبل كل معركة قائلًا: «اللهم انصر دينك ولا تنصر محمودًا.. من محمود حتى ينصر»، وكان يدعو أيضًا: «إنك يا رب إن نصرت فدينك نصرت، فلا تمنعهم النصر بسبب محمود، إن كان غير مستحق للنصر».

ونورالدين محمود هو الابن الثاني لعماد الدين زنكي وبعد وفاة والده حكم حلب أولًا وحارب الصليبيين واسترجع منهم مدينة «الرها» سنة ١١٤٦م، وتمكن نورالدين بالاستعانة بالله وجمع الصف والحرص على وحدة المسلمين أن يحقق انتصارات كبيرة على الصليبيين وقد استولى منهم على إمارة أنطاكية وبعض الإمارات والقلاع، ومستعينا بالله تم على يديه إفشال الحملة الصليبية الثانية على الشام سنة ١١٤٧م والتي تزعمها لويس السابع وكونراد الثالث، وضم بعدها إلى سلطانه كل الشام ومصر وأصبحت دمشق عاصمة دولته. وقد مهدت انتصارات نورالدين الطريق لتحرير القدس على يد صلاح الدين في معركة حطين.

كلمات في التميز

الاستعانة بالله

لا تستعن بغير الله، فيكِلَكَ الله إليه.

الحسن البصري

لا يقلق من كان له أب، فكيف بمن كان له رب.

الشيخ الشعراوي

إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق دونك بابه وجعل دونك حجابه، وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة، أمرك أن تسأله ووعدك أن يجيبك.

طاوس بن كيسان

يا رب عجبت لمن يعرفك كيف يرجو غيرك، عجبتُ لمن يعرفك كيف يستعين بسواك.

أحد الصالحين

إذا لم يكن عون من الله للفتى ...
فأول ما يقضي عليه اجتهاده

شاعر

المحب الصادق، إن نطق نطق لله وبالله، وإن سكت سكت لله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فسكونه استعانة على مرضاة الله، فحبه لله وبالله ومع الله.

ابن القيم

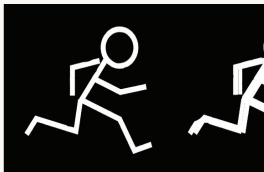

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com

وقت صلاة الجمعة

فتوى رقم «٥٢٤٢»

في بعض المساجد تقدم صلاة الجمعة عن وقت الظهر، وبعضها الآخر وهي الأغلبية، حتى الآن الا يصعد فيها الخطيب المنبر ويؤذن للصلاة إلا بعد دخول وقت الظهر، هل هذا الخلاف سائغ أم تفضلون توحيد الوقت للجميع تأكيدًا للوحدة ومنعًا للبلبلة وتحاشيًا للخلاف؟

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن أول وقت صلاة الجمعة هو أول وقت صلاة الظهر فيبدأ من زوال الشمس عن كبد السماء، وذهب الحنابلة إلى أن وقت الجمعة يبدأ من أول وقت صلاة العيد، وينتهي بخروج وقت الظهر، وقالوا: إن فعلها قبل الزوال رخصة، وتجب بالزوال، وفعلها بعد الزوال أفضل عندهم. وترى اللجنة الأخذ بما ذهب إليه الجمهور، وما هو الأفضل عند الحنابلة، لما روى سلمة بن الأكوع قال: «كنا نصلي الجمعة مع النبي ﷺ إذا زالت الشمس» (متفق عليه) وللخروج من الخلاف، وهو الأحوط. والله أعلم.

زكاة أرض استثمارية

فتوى رقم «٥٢٥٥»

لدينا أرض استثمارية ولم يتم ترخيصها من البلدية للبناء ونحن لم نحدد في حالة الترخيص للبناء هل نبنيها للاستثمار أم نبيعها أرضًا؟ هل تجب في مثل هذه الأرض زكاة أم لا؟

إذا اشتريت هذه الأرض بنية البناء عليها والتأجير، لم تجب الزكاة في قيمتها، ولكن في ريعها وإيجاراتها إذا استكملت هذه – مع باقي أموال مشتريها– شروط الزكاة الشرعية، من النصاب والحول وغير ذلك، أما إذا اشتراها بقصد بيعها فتجب الزكاة عليه في قيمتها إذا بلغت قيمتها مع أمواله نصابًا وحال عليها الحول، فإذا اشتراها بقصد البناء والإيجار ثم رأى بيعها، فلا تجب عليه زكاة قيمتها حتى يبيعها فعلًا، فإذا باعها ضم قيمتها إلى أمواله الزكوية وزكاها معها في حولها.

وجود حمامات أمام صفوف المصلين

فتوى رقم«٥٢٨٩»

هل يجوز وجود الحمامات في المسجد داخل السور؟ هل يجوز الصلاة في مكان تقع أمامه دورة مياه، ولا يفصل بينهما سوى حائط فقط؟ وهل الأفضل الصلاة في مكان آخر؟

لا مانع من إقامة الحمامات للمساجد داخل حرمها، على أن توضع في مكان لا تنبعث منه روائحها على المصلين، وأن توضع في غير جهة القبلة ما أمكن، ويستحسن أن تبنى بحيث يتوقى فيها استدبار أو استقبال القبلة ما أمكن ذلك، ولا يؤثر وجود هذه الحمامات – في أي اتجاه كانت – على الصلاة، مادام هناك حائط يفصلها عن المسجد. والله أعلم.

عدم إرجاع العربون

ما هي شرعية عدم إرجاع العربون على ضوء ما ذكر في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والفقه؟

إذا تم بيع العقار المذكور مستوفيًا لشروطه الشرعية كان لازمًا، ولا يجوز لأي من عاقديه فسخه بغير رضا الآخر، أما موضوع اخذ البائع للعربون إذا فسخ المشتري البيع بغير رضا البائع، فلم يقل به من الفقهاء غير الحنبلية، وقد أجازه الحنبلية مادام

قد شرطه البائع على المشتري في العقد، واللجنة ترى الفتوى بما ذهب إليه الجمهور لقوة دليلهم، إلا أن للعاقدين عند إرادة الفسخ الاتفاق بينهما على إقالة البيع بكامل إرادتهما على أن يكون العربون كله للبائع أو جزء منه، لأن الإقالة بيع جديد عند كثير من الفقهاء.

فتح حساب جار بدون فائدة في بنك ربوي

فتوى رقم «٥٣٢٧»

أولًا: لدي حساب الراتب ببنك ربوي، وأترك بالحساب دائمًا مائة دينار حتى لا يخصم مني مبلغ دينارين شهريًا، فهل بتركي هذا المبلغ أساهم بشكل أو بآخر في المعاملات الربوية؟

ثانيًا: بمجرد فتح حساب الراتب بهذا البنك الربوي يعطي هذا البنك كوبونًا بمبلغ ٢٥ دينارًا، فهل علي إثم باستخدامي لهذا الكوبون؟ ولو كان كذلك فما التصرف الصحيح: هل أعيده للبنك أو أصرفه وأعطيه لأحد الأشخاص؟ علمًا بأنني اخترت هذا البنك لتعامل الشركة التي أعمل بها معه، وبذلك ينزل الراتب بنفس اليوم ولا يتأخر يومين أو ثلاثة كما في البنوك الأخرى.

لا يجوز فتح الحساب الجاري الذي يترتب عليه إعطاء هدايا، لأن الحساب الجاري يعتبر قرضًا وقد شرطت فيه فائدة فيكون قرضًا بفائدة أو قرضًا جر نفعًا.

أما فتح الحساب الجاري من دون فوائد أو هدايا فمحرم لغير حاجة مشروعة، لما فيه من المساعدة على الربا، فإذا وجدت حاجة مشروعة لذلك يترتب على فواتها حرج، ولم يوجد طريق آخر لتغطية هذه الحاجة جاز ذلك، ولكن على قدرها من دون زيادة، للقواعد الفقهية الكلية التالية «الضرورات تبيح المحظورات» و «الضرورات تقدر بقدرها» و «الحاجة تنزل منزلة الضرورة».

العمل في مهنة المحاماة

فتوى رقم «٥٣٤١»

ما هو الحكم الشرعي بالعمل في مهنة المحاماة؟ وما هي المحاذير الشرعية إن وجدت؟

يجوز عمل المحاماة، إذا كان المحامي لا يعلم أن القضية التي يرافع فيها قضية باطلة، لأن ذلك من باب الوكالة في الخصومة، وهي مشروعة على ما بين الفقهاء في كتاب الدعوى، أما إذا علم أن موكله مبطل في دعواه فلا يجوز له، لأنه يعينه بذلك على الباطل، وإذا كان يجهل حال موكله فيجوز التوكل عنه بنية معرفة الحقيقة، فإذا ظهر له أنه محق واصل الدعوى، وإلا انقطع عنها.

قرار فقهي لمجمع الفقه الإسلامي (منظمة المؤتمر الإسلامي) بشأن تحديد أرباح التجار

أولًا: الأصل الذي تقرره النصوص والقواعد الشرعية ترك الناس أحرارًا في بيعهم، وشرائهم، وتصرفهم في ممتلكاتهم وأموالهم، في إطار أحكام الشريعة الإسلامية الغراء وضوابطها، عملاً بمطلق قول الله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ (النساء:٢٩).

ثانيًا: ليس هناك تحديد لنسبة معينة للربح يتقيد بها التجار في معاملاتهم، بل ذلك متروك لظروف التجارة عامة، وظروف التاجر والسلع، مع مراعاة ما تقضي به الآداب الشرعية من الرفق، والقناعة، والسماحة، والتيسير.

ثالثًا: تضافرت نصوص الشريعة الإسلامية على وجوب سلامة التعامل من أسباب الحرام وملابساته كالغش، والخديعة، والتدليس، والاستغفال، وتزييف حقيقة الربح، والاحتكار الذي يعود بالضرر على العامة والخاصة.

رابعًا: لا يتدخل ولي الأمر بالتسعير إلاّ إن حدث خلل واضح في السوق والأسعار، ناشئ من عوامل مصطنعة، فإن لولي الأمر حينئذ التدخل بالوسائل العادلة الممكنة التي تقضي على تلك العوامل وأسباب الخلل والغلاء، والغبن، الفاحش.

إعداد: هالة محمد

خلية اصطناعية حية

نجح فريق من العلماء في الولايات المتحدة في إنتاج أول خلية اصطناعية حية في العالم وذلك عن طريق تطوير برمجة جينية في خلية جرثومية، ومن ثم زرعها في خلية مضيفة، وقال فريق الباحثين من معهد «جي كريج فينتر» إن الميكروب الحي الناجم عن الزراعة الخلوية الجديدة تصرف مثل أنواع الكائنات التي تسير بموجب الحمض النووي الاصطناعي، وقد لقي المنتج الجديد ترحيبًا من قبل العلماء المختصين والمتابعين الذين اعتبروا الإنجاز علامة فارقة في تاريخ علم دراسة الخلية وعلوم الأحياء، ويأمل العلماء في نهاية المطاف بان يتمكنوا من تصميم خلايا بكتيرية تتمكن من إنتاج أدوية ووقود وتقوم حتى بامتصاص الغازات المسببة للاحتباس الحراري.

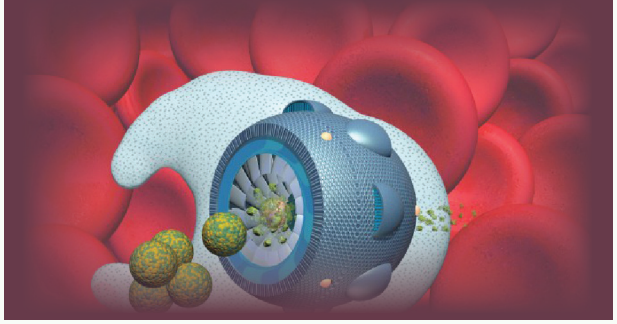

جهاز يوقف السيارة أثناء عبور المشاة

كشف المعهد العالي السويدي عن أن سيارات المستقبل ستتفاعل بصورة آلية مع المشاة أثناء عبورهم الشارع، بما يعمل على تقليل نسبة الحوادث باستخدام التكنولوجيا الحديثة، وهي عبارة عن جهاز استشعار مبرمج سيتم تزويد السيارات به، بحيث يستشعر الحركات والإشارات عند مرور المشاة عبر الشوارع، ويعمل على توقف السيارة.

ويوضح الباحث في المعهد، ميكائيل يوهانسون: أن الشخص عندما يريد عبور الشارع فإنه لا يتقدم بقدمه إلى الأمام فحسب بل ويميل بجسده كله إلى الوراء أثناء رفع ساقه قبل أن يتخذ الخطوة الأولى، مشيرا إلى أن هذه الحركة هي «نوع من الحركة المتأرجحة التي تحصل بشكل أوتوماتيكي»، هذه الاشارات والحركات هي التي يدرسها المعهد حاليا، التي يستشعرها الجهاز، ولهذه الغاية يتم تصوير اختبار، ومن ثم تجري الاستعانة بها ليتم تحديد الاشارات والحركات، والشكل النهائي لهذه الصور والإشارات والحركات سيستخدم ليربط إلى جهاز الاستشعار في السيارة الذي سيحذر السائق بدوره بصورة آلية عند مرور المشاة.

العام الحالي ٢٠١٠م أكثر الأعوام سخونة من ١٣٠ عامًا

ذكرت الإدارة الوطنية للمحيطات والغلاف الجوي في الولايات المتحدة الأميركية أن كوكب الأرض لم يشهد منذ بدء تسجيل بيانات الأرصاد الجوية في عام ١٨٨٠م درجات حرارة بهذا الارتفاع الذي شهده في العام الحالي وكانت درجات حرارة الأرض والمحيطات قد وصلت حدها الأعلى في شهر إبريل الماضي.

ووصلت خلال الفترة ما بين يناير وحتى إبريل إلى مستوى قياسي لم يشهده العالم من قبل، وتشير البيانات إلى أن عام ٢٠١٠م سيحافظ على المعدل المرتفع لدرجات الحرارة مقارنة بالسنوات الماضية وهذا يعزى للتغيرات المناخية في العالم.

الرؤية عند النحل أسرع من رؤية الإنسان

يرى النحل العالم حوله أسرع من الإنسان بخمس مرات.

هذا ما تؤكده دراسة جديدة أعدها علماء من جامعة الملكة ماري في لندن، أظهرت أن النحل ليس أسرع من البشر فقط في ذلك بل أسرع من جميع الحيوانات في رؤية الألوان، وهذا يمكنه من التحليق حول الشجيرات التي لا يصلها الضوء بشكل كاف من أجل البحث عن الأزهار والثمار لتلقيحها والحصول على قوته منها.

وبحسب معدي الدراسة، فإن الحشرات التي تطير بسرعة كبيرة لديها القدرة أيضًا على رؤية الأشياء حولها بسرعة كبيرة، وهذا يساعدها على الفرار من حشرات أخرى تريد التهامها، ولم يكن معروفا في السابق أن سرعة النحل في الطيران توازيها قدرتها الفائقة على رؤية الألوان، وعن هذا الأمر يقول الباحثون «لا نستطيع بسهولة مراقبة حشرة تطير بسرعة، ولكن بإمكان هذه الحشرات الطيران وراء بعضها ويعود الفضل في ذلك لقدرتها الكبيرة على رؤية الأشياء، وربما هذا يفسر صعوبة ضربها!».

والنحلة بحسب الباحثين هي أول حشرة باستطاعتها رؤية الألوان بسرعة مختلفة، وذلك يساعدها في البحث عن قوتها والتمييز بين الأشكال والاهتداء بسرعة إلى الطرق المؤدية إلى القفير، كما انها تستهلك طاقة أكبر عن رؤية أشياء ملونة وأقل إذا كانت بيضاء أو سوداء، مما يساعدها في الكشف عن الأزهار المفضلة لديها والعودة الى القفير.

فيروس إلكتروني يصيب الإنسان!

بات العالم البريطاني مارك غاسون أول إنسان في العالم يصاب بفيروس إلكتروني وذلك عن طريق رقاقة إلكترونية زرعت في يده وسرعان ما انتقل الفيروس إلى كمبيوتر المختبر الذي يعمل فيه مع احتمال أن يكون الفيروس قد انتقل إلى الرقاقات الإلكترونية في بطاقات العبور إلى جميع أجهزة الكمبيوتر في المبنى، وعرض غلاسون نفسه للإصابة بالفيروس عن عمد من أجل معرفة ما إذا كان بامكان الرقاقة الالكترونية التعرف على هوية حاملها وكيفية تحديد الترددات الرادايوية RFID مثل تلك التي تستخدم في تتبع تنقلات الحيوانات وانتشار ما يعرف بالأمراض التكنولوجية.

وأظهرت التجربة أن زرع هذه الرقائق الالكترونية الطبية لمراقبة نشاط القلب سيصبح أكثر تعقيدًا ولكن أكثر فائدة خلال السنوات المقبلة لأنها ستتيح متابعة حالة المريض بشكل آمن بسبب اختزانها

للمعلومات الطبية الضرورية عنه.

وقال غاسون: «باستطاعة الفيروس التكاثر وربما أخذ نسخًا عن نفسه ووضعها على بطاقات تسمح بقراءة بطاقات الدخول التي يستخدمها الناس».

وأضاف «أظهرت التجربة أن زرع الرقاقة الالكترونية التي تتواصل مع بقية الكمبيوترات بشكل لاسلكي قد تتعرض للفيروسات والعكس هو الصحيح.

سكان آسيا جاؤوا من الجنوب!

اسفرت جهود علمية دولية حديثة عن فك أسرار «الخارطة» الجينية المسؤولة عن التنوع في قارة آسيا، وذلك في دراسة اجرتها جمعية «الأشكال المتعددة للتركيبات النووية المنفردة» التابعة لمنظمة الخارطة الوراثية (الجينية) البشرية (هوغر) وذكر تقرير أن نتائج الدراسة التي أجريت على قرابة ٢٠٠٠ شخص من أنحاء مختلفة من القارة تدعم الفرضية القائلة إن آسيا أصبحت منطقة مأهولة بالسكان بشكل أساسي عن طريق موجة هجرة واحدة بدأت من الجنوب وانتشرت في ربوع القارة المختلفة.

ملاذات آمنة على سطح القمر!

يأمل علماء الفضاء استغلال قنوات الحمم البركانية على سطح القمر كملاذات آمنة بعد اكتشاف فريق الباحثين الألمان ما يعتقدون أنه (كوة) أنبوب أو قناة حمم بركانية بدت شديدة الوضوح في الصورة التي التقطها مسبار الفضاء الياباني «سيلين»، وفي هذا الشأن كتب الفريق العلمي الياباني في وكالة الفضاء اليابانية «جاكسا» أن أنابيب الحمم البركانية قد تمثل موقعًا مهمًا لبناء قواعد على سطح القمر في المستقبل سواء للاستكشاف المحلي والتطوير أو كموقع خارجي لخدمة استكشافات ما وراء القمر.

من هنا وهناك

● أعلن المجلس الاعلى للآثار المصرية العثور على ١٤ مقبرة في منطقة عين الزاوية بالقرب من مدينة الباويطي في الواحات البحرية (٣٠٠ كم جنوب غرب القاهرة) تعود للعصر اليوناني - الروماني (٣٠٠ ق.م) وفيها مومياء مكتملة الى جانب قطع أثرية اخرى.

● تشهد ولاية بافاريا الألمانية ثورة في تكنولوجيا تحويل الطاقة الشمسية الى طاقة كهربائية، وقد اجتاحت هذه التكنولوجيا أراضي الولاية الزراعية الأمر الذي دفع بالعديد من المناهضين لهذا التوسع غير المسبوق في استخدامات الطاقة الشمسية على حساب الأرض الزراعية الى رفع شعار «لن نأكل الشمس» في تعبير مجازي عن الغضب من تقلص حقول الولاية الخضراء.

● ذكرت دراسة جديدة ان فحصًا قد يساعد في تحديد المرضى المعرضين للاصابة بالنوبة القلبية وان لم تكن مستويات الكوليسترول مرتفعة لديهم.

● قال علماء اميركيون إن أخذ قيلولة قصيرة بعد تعلم أمر جديد يساعد الدماغ على تذكر ما تعلمه شرط ان يحلم به.

● توصل باحثون دانمركيون إلى أن الجنين الذي عمره يبلغ ٢١ أسبوعًا يستطيع حماية نفسه من الإصابة عن طريق الاستعانة بجهازه المناعي وخلاياه وليس الاعتماد على الأجسام المضادة التي يحصل عليها من الأم، وسيمهد الاكتشاف الطريق لايجاد أمصال فعالة وجديدة للاجنة والأطفال حديثي الولادة من الاصابات والعدوى الميكروبية.

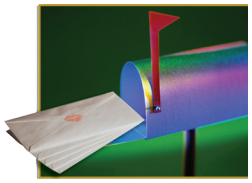

المرأة بين التكريم والإهانة

الإسلام ضمن للمرأة الكرامة والعزة إذا التزمت بالدين فهو سبيل السعادة في الآجلة والعاجلة، بيد أن ما نراه بالنسبة للمرأة في هذا الزمان يدمي القلوب ويبكي العيون فقد اختلط الحابل بالنابل في كل شيء، أصبحت المرأة تقلد الرجل وفي بعض الأحيان يختلط الأمر ولا نعرف ولا نميز بين الرجل والمرأة، ولا ننسى أن اللعنة تنزل على الذي يقلد الآخر سواء كان رجلًا أو امرأة، لماذا لا يكون هناك تقليد في العمل واتقانه والاخلاص له، وفي التنافس في العلم.

إن التقليد المنبوذ هو التقليد الأعمى الذي يكون في الأشياء الضارة الفاسدة التي لا يقبلها العقل ولا الشرع.

ومهما يكن من شيء فإن الإسلام ضمن للمرأة العزة والكرامة وحذرها من شياطين الجن والإنس ومن دعاة الباطل والفساد الذين يريدون اخراج المرأة من العز والسعادة إلى الردى والإهانة لتصبح لا وزن لها ولا قدر، ويجب الاعتبار من النساء اللتي وقعن في التعاسة، والندامة، بل إن بعضهن يئسن من الحياة وأقدمن على الانتحار مع ما وصلن إليه من شهرة في الفن.

قال الله تعالى: ﴿ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء﴾ (الحج: ١٨).

ويقول سبحانه فيمن اطاعه واتبع سبيله ﴿ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا﴾ (الأحزاب: ٧١).

عبدالسلام سومع

خطوات على الرمل

إن من علامات الإخلاص حب الخفاء وكراهية الشهرة ويصحب ذلك الزهد في الكلام والعمل في صمت ومسابقة الزمان قبل أن تطوى صفحات العمر دون أن يشعر الإنسان. والمسلم في رحلة حياته يجب أن ينهض بالأعمال العظيمة كي يترك الأثر الطيب الذي يخلد ذكراه بعد رحيله عن هذه الحياة، فهذه سمة الصادقين المخلصين العاملين فالأثر الطيب بهذا المعنى يعتبر صدقة جارية للعبد المؤمن في حياته وبعد مماته ولقد أشار الكتاب الخالد الى الأخلاق في قوله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾ (البينة: ٥).

ويقول الحبيب ﷺ «رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره ومنهم البراء بن مالك» (أخرجه ملسم من حديث أبي هريرة).

ودخل عمر رضي الله عنه المسجد فرأى معاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله ﷺ فقال ما يبكيك؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن اليسير من الرياء شرك ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة (رواه المنذري في الترغيب والترهب).

فيجب أن تكون خطوات حياتنا دون ضجيج ولا صياح خطوات هادئة متزنة وعاقلة تتم عن عقلانية، صاحبها كمن يمشي على الرمال لا يسمع عنه أحد أي يعمل في صمت والمسلم الفاهم يعمل في صمت خشية أن يحبط عمله ورجاء في أن يكون من الأخفياء الأتقياء، وان المسلمين في هذا الظرف الراهن أحوج ما يكونون لهذه الصفة - العمل في صمت- التي تربي الرجال الأقوياء الذين يتحملون المشاق في سبيل دعوتهم الاسلامية فلقد اقتضت الظروف ان نعيش هذه المرحلة الخطيرة من عمر أمتنا- مرحلة التنازع والمنافسة والاضطراب والتكالب مرحلة انطمست فيها المعالم ووقف على رأس كل طريق داع يدعو إليه في ليل دامس معتكر - مرحلة الفوضى والسلبية والتخاذل وأصبح إسلام الناس كأنه صناعة غربية اميركية صهيونية هكذا يريدنا الأعداء أن نأكل ونشرب ونتمتع بالحياة بعيدًا عن الايمان.. ألا فليخسأوا فالاسلام ناهض وقادم ووعد الله صادق والأمة التي تنهض لتحقيق وعد الله لا يصلح لها المسكنات أو أمنيات القاعدين وإنما تحتاج الى نفوس مؤمنة وعزيمة قوية صادقة وسخاء وتضحيات وإقدام عند الملمات، وسبيلنا في ذلك الدين الذي يحيي الضمير ويوقظ الشعور وينبه القلوب.. الدين الذي يجمع أشتات الفضائل ويلم أطراف المكارم الدين الذي يدعو الى التضحية العزيزة الغالية.. الدين الذي يحرك فينا كوامن الخير والفطر السليمة والذي يشتري من المرء أعراض الدنيا الزائلة بسعادة دائمة ولا تنتهي: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾ (النحل: ٩٦) الدين الذي يسمو بالوفاء الى درجة الشهادة ويعده فريضة ويعتبر الوفاء دليلا على الرجولة الحقة.

محمد أبوعبيد

قارئ لاينسى وملهم لايمحى

يهفو المسلم إلى قرآنه ويلوذ بكتابه ويتعبد به إذ إنه خطاب ربه والكلم الجامع والذي يخشع به السامع ويهطل دمع الدامع ويطمئن الفازع، وهذا القرآن الكريم له تجليات على بعض مريديه أداء وعملا وتلاوة فتجلى الله عليهم فمنحهم من فيوضاته أصواتا ليست ككل الاصوات وتلاوة ليست ككل التلاوات ولهذا ظلت محفورة في القلوب على مر السنوات مهما تغيرت العصور والأوقات.. ومن هؤلاء، القارئ والعبقري الراحل فضيلة الشيخ محمد صديق المنشاوي، والذي لم يتكرر إلى الآن حتى وان تشابه معه بعض الإخوان فهو من الكتيبة التي قال عنها الشيخ الشعراوي: إن هذه الكتيبة من القراء الذين شدوا بألحان السماء وبتأليف الله لهم لم يكونوا مكررين لا أداء ولا أصواتا ولا لحنا بل لكل واحد منهم نغم يخدم النص.

الحسن محمد حميد

حاكم وقضية

في سنة ١٨ هـ أصيب المسلمون بمجاعة شديدة وذلك بسبب انقطاع المطر وسمي هذا العام بعام الرمادة لأن الرياح الشديدة كانت تسفي رمادًا يلسع الجلود أو لأن رمل الأرض صار في لون الرماد أو لأن وجوه الناس كلحت من الضعف والمرض أو لأن الرمادة في اللغة بمعنى الهلاك.

● ما الإجراءات التي اتخذها عمر بن الخطاب عام الرمادة؟

١- إعلان القضية على الأمة لتتحمل المسؤولية معه.

٢- اللجوء الى الله سبحانه وتعالى وذلك عن طريق الدعاء والتضرع والابتهال والبكاء ومن كلامه «اللهم إني قد عجزت وما عندك أوسع لهم»، والاستغفار والذكر قال تعالى ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارًا﴾.

٣- فقه الحاكم، لم يقطع يد السارق للأكل خشية الموت من الجوع وهذا من باب الاضطرار.

٤- تجاوب طوائف الشعب والأمة مع الحاكم فلم نر فرقة ثائرة خارجة تقول بأن عمر ينعم بالحياة وهم في شقاء.

٥- مخاطبة ولاة الأمصار بخطاب استغاثة وطلب العون من المسلمين في المشارق والمغارب، فكتب الى عمرو بن العاص في مصر يطلب منه العون والمساعدة وكاتب معاوية بن أبي سفيان في بلاد الشام، واستجاب الجميع فأرسل عمرو بن العاص دقيقا وسمنا وملابس برا وبحرا، ألف بعير تحمل الدقيق في البر وعشرين سفينة تحمل الدقيق والزيت.

٦- حسن الظن بالله، فعندما استغاث عمر بن الخطاب وأمن الناس على دعائه كانوا على يقين وايمان راسخين أن الخير قادم، وبعد ان بلغ الجهد مبلغه وبكى الصغير ورق الكبير واخذ عمر بالاسباب تنزلت رحمات الله وانهمر الماء وانكشفت الغمة.

٧- تذكير أصحاب النعيم بما تحت أيديهم من فضل الله حتى يقفوا بجانب إخوانهم، وذلك من خلال المكاتبات، فقال لعمرو: «أفتراني هالكًا ومن قبلي وتعيش أنت ومن قبلك، فياغوثاه».

٨- قوة الحاكم وجلده في تحمل الشدائد، فقد كان عمر ثابتًا في تلك الشدة ولم يهتز ولم يتزعزع.

وفي اشد لحظات المحنة إيلامًا كانت المنحة والمطر الغزير وكان النصر على النفس وعلى الواقع وعلى المحن، فخرج عمر والمسلمون منها أفضل وأقوى عودا وقد عاشوا التضحية والثبات والأخوة النادرة.

مسلم غيور

انتفاع الميت بعمل غيره

قال الله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ (النجم: ٣٩).

هذه الآية الكريمة من النصوص المهمة التي يتمسك بها كثير ممن يجرون وراء ظواهر الألفاظ وعمومات النصوص المطلقة دون مراعاة للأصول والقرائن الأخرى التي تفيد تخصيصًا أو تقييدًا للنص، والتي يجب ألا تفهم النصوص العلمية إلا بها لتدور جميعًا في فلك واحد وتأتي متناسبة مترابطة في نسق واحد يليق بصاحب الشريعة المحفوظ من التناقض والتعارض، إذ ﴿لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾.

ثبت بالكتاب والسنة والإجماع انتفاع الإنسان بعمل غيره. جاء في تفسير صفوة البيان لمعاني القرآن، للشيخ حسنين مخلوف قال: نقل العلامة الجمل في حاشيته على الجلالين بحثًا نفيسًا لشيخ الاسلام تقي الدين أحمد ابن تيمية رحمه الله تعالى، ننقل خلاصته لمزيد فائدته قال: من اعتقد أن الانسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الاجماع، وذلك باطل من وجوه أحدها: أن الانسان ينتفع بدعاء غيره.

والشواهد والأدلة في ذلك كثيرة لا داعي لسردها هنا، ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الانسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى، فكيف يجوز أن نتأول الآية الكريمة على خلاف صريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة!؟ اهـ.

قال رسول الله ﷺ: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علمًا نشره، وولدًا صالحًا تركه، ومصحفًا ورثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، او صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته» (صحيح الجامع).

وقال ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» (رواه مسلم في الصحيح).

قال ابن أبي العز في شرح «العقيدة الطحاوية»: وأما استدلالهم بقوله ﷺ: ﴿إذا مات ابن آدم انقطع عمله» فاستدلال ساقط، فانه لم يقل انقطع انتفاعه، وانما اخبر عن انقطاع عمله، وأما عمل غيره فهو لعامله، فان وهبه له وصل اليه ثواب عمل العامل، لا ثواب عمله هو، وهذا كالدين يوفيه الانسان عن غيره، فتبرأ ذمته، ولكن ليس له ما وفى به الدين. أ هـ.

وسئل الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى عن قراءة أهل الميت تصل إليه؟ والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير إذا أهداه الى الميت يصل إليه ثوابه أم لا؟

فأجاب: يصل إلى الميت قراءة أهله وتسبيحهم وتكبيرهم وسائر ذكرهم لله إذا أهدوه إلى الميت وصل إليه والله أعلم.

واختلف العلماء في الصوم عنه، والراجح جوازه عنه، والمشهور من مذهب الشافعي ان قراءة القرآن لا يصل ثوابها للميت، وذهب أحمد وجماعة من العلماء ومن أصحاب الشافعي إلى أنها تصل، فالاختيار أن يقول القارئ بعد فراغه: اللهم أوصل ثواب ما قرأته الى فلان، ونحو ذلك.

فؤاد الغريب

إعداد: التحرير

مناظرة شعرية

تناظر الشَّافعي، وبشر المريسي رحمهما الله، في حضرة هارون الرشيد، فقال بشر:

أَهابُكَ يا عمرو ما هِبتَني
وخافَ بشراكَ إذ هِبتني
وتزعُمُ أُمِّي عن أبيهِ مِنْ
أولادِ حامٍ بها عِبْتني

فأجاب الشافعي بقوله:

أُحبُّ مَكارِمَ الأخلاقِ جَهدي
وأكرهُ أن أعيبَ، وأن أُعابا
وأصفحُ عنْ سبابِ النَّاسِ حلمًا
وشرُّ النَّاسِ مَنْ يهوى السِّبابا!
سليمُ العِرْضِ مَنْ حذرَ الجوابا
ومَنْ دارى الرِّجالَ فقد أصابا
ومَنْ هابَ الرِّجالَ تهيَّبُوهُ
ومَنْ حَقَرَ الرِّجَالَ، فَلَنْ يُهابا

(حلية الأولياء للأصبهاني)

الحليم وأعوانه

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أوَّل عوض الحليم مِنْ حلمه، أنَّ النَّاس كلهم أعوانه على الجاهل».

وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: «لا يبلغ الرجل مبلغَ الرأي حتى يغلب حلمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة الحلم».

وقال أكثم بن صيفي: «دعامة العقل الحلم، وجماع الأمر الصبر، وخير الأمور العفو».

(الحلم للحافظ ابن أبي الدنيا)

سَفَّانة تصف النبيَ ﷺ

لمَّا أطلق النبي ﷺ سفَّانة بنت حاتم الطائي من الأسر، رجعت إلى أخيها عَدِي، وقالت له: يا أخي إيتِ هذا الرجل -تعني النبي ﷺ- قبل أن تعلقك حباله، فإني رأيت هديًا ورأيًا، سيغلب أهل الغلبة، ورأيت خصالًا تعجبني.

رأيته يحب الفقير، ويفك الأسير، ويرحم الصغير، ويعرف قدر الكبير، وما رأيت أجود ولا أكرم منه، فإن يكن نبيًّا فللسابق فضله، وإن يكن ملكًا فلن تزال في عزِّ ملكه.

فقدِمَ عدي إلى الرسول ﷺ فأسلم، وأسلمت أخته سفَّانة.

(أخبار العرب ١/٥٣).

مصاحبة الأحمق

قال المعتمر بن سليمان: سمعت أبي يقول: كان يُقال: «تنكبوا عن مجاراة الأحمق فإنكم إن جاريتموه كنتم مثله، واجتنبوا صحبته فإنها الدَّاء العضال الذي لا دواء له».

وقال الحسن البصري: «إياكم وصحبة الأحمق، فإنَّ مصادقته جالبة العداوة، وعليكم بأهل التقى والعلم فإنكم لن تعدموا منهم رشدًا».

(عقلاء المجانين للحسن بن محمد بن حبيب)

أبٌ يعظُ ابنه

كان صالح اللَّخمي الدمشقي شاعرًا وحكيمًا وقد ذكر عنه أنه وعظ ابنه مرة وقال: يا بني إذا مر بك يوم وليلة قد سلم فيهما دينك، وجسمك، ومالك، فأكثر الشكر لله تعالى، فكم من مسلوب دينه، ومنزوع ملكه، ومهتوك ستره، ومقصوم ظهره في ذلك اليوم وأنت في عافية.

(طرائف عربية)

من حِكَم ابن حزم

- «مَنْ شَغل نفسه بأدنى العلوم وترك أعلاها وهو قادر عليه، كان كزارع الذرة في الأرض التي يجود فيها البر، وكغارس الشَّعراء حيث يزكو النخل والزيتون».
- «نشر العلم عند مَنْ ليس من أَهله مفسد لهم، كإطعامك العسل والحلواء مَنْ به احتراق وحُمَّى، أو كتشميمك المسك والعنبر لمن به صداع من احتدام الصفراء».
- «الباخل بالعلم، ألأم من الباخل بالمال، لأَنَّ الباخل بالمال أَشفق مِنْ فَنَاءِ ما بيده، والباخل بالعلم بخل بما لا يفنى على النفقة، ولا يفارقه مع البذل».

(مداواة النفوس)

لا يُستغنى عن السند

إن من تعلم ووصل إلى درجة عالية من العلم وفتح عليه بإلهام من الله فعليه أن يدخل تحت السند تأدبًا مع صاحب الشريعة، لأنه لو كان هناك أحد مستغنيًا عن السند لكان حبيبنا وسيدنا محمد ﷺ ومع هذا فإنه تلقى عن جبريل عليه السلام - رغم أن نبينا ﷺ أفضل منه -عن اللوح المحفوظ عن رب العزة سبحانه، وفي تلقي الفاضل عن المفضول يكمن سر الشريعة الإسلامية، ورحم الله القائل:

كتاب الله أفضل قيل
رواه محمد عن جبرائيل
عن اللوح المحيط بكل مسلم
من العلم الرفيع عن الجليل

جوامع نوافع

قال رجل لابن مسعود رضي الله عنه: علّمني كلمات جوامعَ نوافعَ، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: اعبد الله لا تشرك به شيئًا وزُل مع القرآن حيث زال، ومَنْ جاءك بالحقّ فاقبل منه وإن كان بعيدًا بغيضًا، ومَنْ جاءك بالباطل فاردد عليه وإن كان حبيبًا قريبًا. (الفوائد لابن القيّم ص ١٩٤).

أمر عجيب وأصل ظريف

قال ابن الجوزي رحمه الله: «تأملت أمرًا عجيبًا، وأصلًا ظريفًا، وهو انهيال الابتلاء على المؤمن، وعرض صورة اللذات عليه مع قدرته على نيلها، وخصوصًا ما كان في غير كلفة من تحصيله كمحبوب موافق في خلوة حصينة، فقلت: سبحان الله، هاهنا يبين أثر الإيمان لا في صلاة ركعتين، والله ما صعد يوسف عليه السلام ولا سعد إلا في مثل ذلك المقام، فبالله عليكم يا إخواني، تأملوا حاله لو كان وافق هواه، من كان يكون؟» (صيد الخاطر لابن الجوزي)

الثُقَلاء

قال ابنُ عبدالبَرِّ: سُئِلَ جَعفَرُ بن محمد: المؤمنُ يكونُ بغيضًا؟. قال: لا.. ولكِنْ يكونُ ثقيلًا .(شرح منظومة الآداب للحجاوي).

وكان أبوهريرةَ رضي الله عنه إذا اسْتَثْقَلَ رجُلًا، قال: «اللهم اغْفِرْ لنا ولهُ وأرحْنا منه» (التاريخ الكبير للبخاري)

وكانَ حمَّادُ بن سَلَمَةَ إذا رأى ما يَسْتَثْقِلُه، قال: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾(الدخان: ١٢) (ذم الثقلاء لابن المرزبان)

«وسَلَّمَ ثقيل على إبراهيمَ بنَ عبدالله القارئ صاحب هارون، فقال له: يا هذا! قَدْ والله بَلَغْتَ مِنِّي غايةَ الأَذَى، أَسْلِفْنِي سَلَامَ شَهْرٍ، وأَرِحْنِي مِنْك». (شرح منظومة الآداب للحجاوي)

أرجو أن يكون كلانا على خَيْر

كتب عبدالله العمري العابد إلى الإمام مالك بن أنس رحمه الله يحضّه على الانفراد والعمل. فكتب إليه مالك: «إنَّ الله قَسَمَ الأعمال كما قَسَمَ الأرزاق، فرُبَّ رجل فتح له في الصلاة، ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم، وآخرُ فتح له في الجهاد، فنَشْرُ العلم مِنْ أفضل أعمال البرّ، وقد رضيتُ بما فتح لي فيه، وما أظُنُّ ما أنا فيه بدونِ ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خيرٍ وبرّ» . (التمهيد لابن عبدالبر)

تَنَازُل بسرعة

ادعى مُدَّعٍ النّبوَّة، فطُلِبَ ودُعِي له بالسَّيف والنَّطع؛ فقال: ما تَصْنعونَ؟ قالوا: نقتُلُكَ، قال: ولِمَ تقتلونَني؟ قالوا: لأنَّك ادعيتَ النّبوَّة، قال: فَلَسْتُ أدَّعيهَا، قيلَ له: فأيُّ شيءٍ أنت؟ قال: أنا صدِّيق، فدُعي له بالسِّياط، فقال: لِمَ تَضربونَني؟ قالوا: لادِّعائك أنَّك صدِّيق، قال: لا أدَّعي ذلك، قالوا: فمن أنت؟ قال: من التابعين لهم بإحسان، فدُعي له بالدُّرَّة، قال: ولِمَ ذلكَ؟ قالوا: لادِّعائكَ ما ليسَ فيك، فقال: ويحكُم! أدْخُل عليكُمْ وأنا نبيّ، تريدون أن تحطّوني في ساعة واحدة إلى مرتبةِ العوامّ! اصبروا عليَّ إلى غدٍ حتى أصيرَ لكم ما شِئْتُم!. (نهاية الارب في فنون الأدب للنويري).

الكنز الثمين

د. يحيى سنبل

هل رأيت شخصًا يملك كنزًا ثمينًا، ويعيش عيشة الفقراء؟
كنز من الذهب والفضة واللؤلؤ والمرجان، يذهل عنه صاحبه، ويسأل الناس الكفاف!
هل تعلم من صاحب هذا الكنز الثمين؟!
أنا وأنت! وكل مسلم وكل مسلمة!
وهل تعلم ما هو هذا الكنز؟!
القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة.
ننبهر بمناهج الغرب، وفلسفات الشرق، والتقدم الأميركي، وأناقة الرجل الأوروبي، وإصرار الياباني، ونشاط الصيني.
وعندنا الكنز، الروح، الدستور، سلاسل الذهب والفضة، وقطع الماس الحر، واللؤلؤ والمرجان، والياقوت، والزمرد.
كان الطب بدائيًا، وساذجًا، والقرآن الكريم يأتي بالقول الفصل: ﴿هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلًا...﴾ (غافر: ٦٧)
﴿خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾ (النحل: ٤)، ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظامًا فكسونا العظام لحمًا ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (المؤمنون: ١٢-١٤).
كان الناس لا يعرفون شيئًا عن السماء والجبال والدواب، إلا القشور، فهم لا يلتفتون إليها، ولا يتفكرون في خلقها، وكان القرآن يأتي بالهداية: ﴿خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماءً فأنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ (لقمان: ١٠).
كان الناس في ضلال، يبغي بعضهم على بعض، وكان القرآن يأتي هاديًا ومرشدًا، وناصحا ومعلمًا: ﴿ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحًا إن الله لا يحب كل مختال فخور. واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ (لقمان: ١٨-١٩).
والآن يعيش العالم في انحلال أخلاقي، ويدعو إلى الحرية الجنسية والعري، والزنى، واللواط، والسحاق، وعندنا الكنز: ﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلًا﴾ (الإسراء: ٣٢)
﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بها رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ (النور: ٢).
﴿واللذان يأتيانها منكم فآذوهما، فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما﴾ (النساء: ١٦).
يعيش العالم بالتعامل الربوي، وعندنا الكنز: ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين. فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون﴾ (البقرة: ٢٧٨-٢٧٩)، وقبلهما قطعة الماس: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ (البقرة: ٢٧٥)، هذا هو الكنز! انتبهوا أيها السادة!

نداء

إلى كل محبي وقراء المجلة

يرجى ممن توجد لديه النسخ الأصلية

من مجلة « الوعي الإسلامي » من الأعداد:

التواصل مع ادارة المجلة

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ الكويت هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

من إصدارات مشروع رعاية القرآن الكريم في المساجد

«فتح الكريم في تحرير أوجه القرآن الكريم»

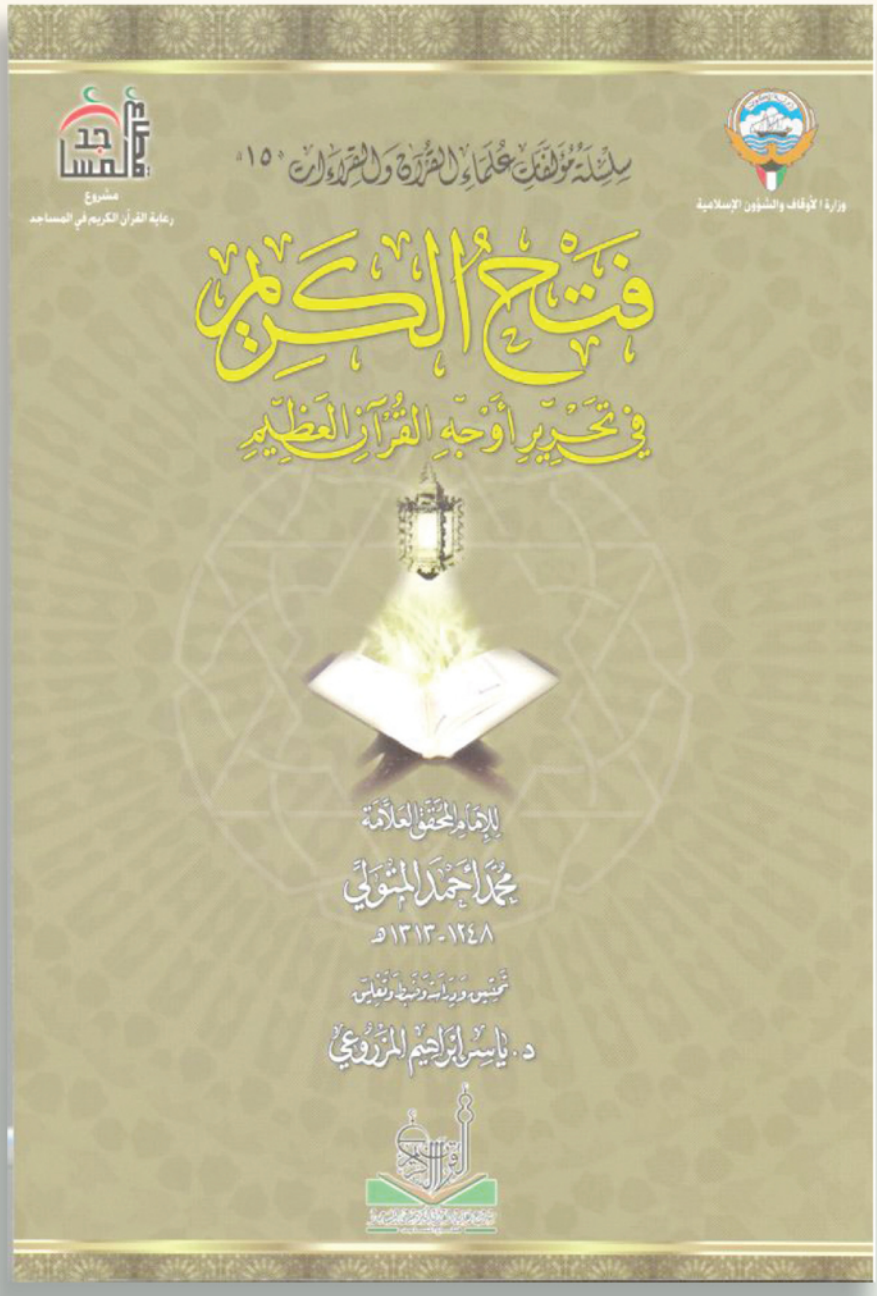

هذه المنظومة المسمّاة «فتح الكريم في تحرير أوجه القرآن العظيم» للشيخ محمد أحمد المتولي (ت/١٣١٣هـ) من المنظومات الجليلة النافعة في بابها، وهي منسوجة نظمًا ووزنًا على منوال الشاطبية، وبهما يتم لطالب العلم القراءات مبتغاه من هذا العلم الشريف.